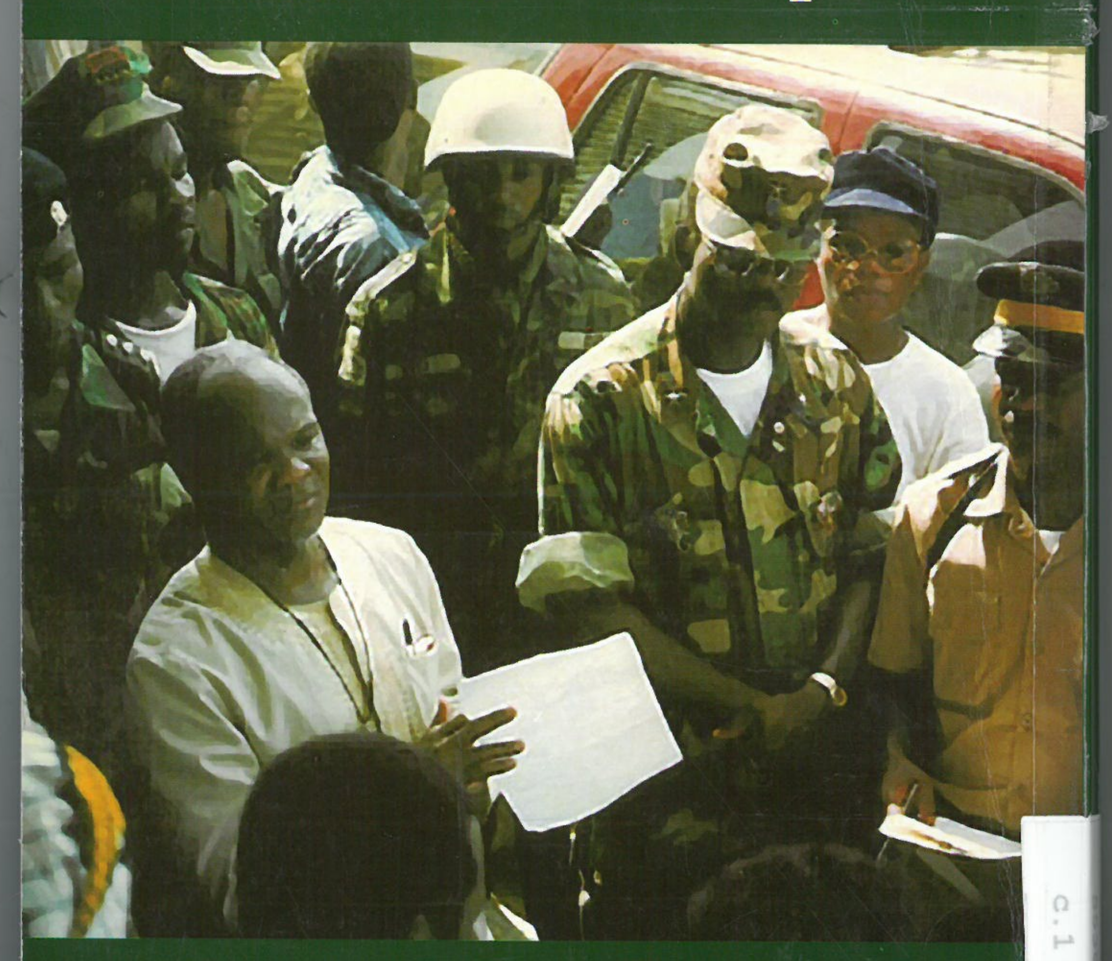
هذا ليس كل شيء

مذكرات لبناني
في الحرب الأهلية الليبيرية



مصطفى الشيخ علي

مصطفى الشيخ علي

هذا ليس كل شيء

مذكرات لبناني
في الحرب الأهلية الليبيرية

هذا ليس كل شيء
مذكرات لبناني
في الحرب الأهلية الليبيرية

المـؤلـف: مصطفى الشيخ علي
الطبعة الأولى: أيلول 2009م

التـوزيـع: الفرات للنشر والتوزيع
ص. ب: 6435 / 113 بيروت ـ لبنان
هـاتـف: 961 1 750054
فـاكـس: 961 1 750053
التوزيع عبر الإنترنت: WWW.alfurat.com

كنت متثاقلاً أصعد سلَم الطائرة، فالعودة إلى ليبيريا تعيد إلى كاهلي أعباء ما كنت أعانيه. كادت رحلة أسبوع واحد إلى غامبيا تريحني بعض الشيء. إذ أتيت لألتقي أحد رجال الأعمال الأميركيين ممن أرادوا توسيع أعمالهم باتجاه أفريقيا السوداء. ذهبت لملاقاته نزولاً عند رغبة صديق مشترك، وأملاً بأن أجد فرصة جديدة تعيدني إلى ساحة الإنتاج.

ارتميت في مقعدي ورحت أستعرض ما آلت إليه أوضاعي المادية السيئة، وأنا محبط، أعاني من بضع انتكاسات متتالية، بعضها مادي حين أسلفت الثقة لمن لا يستحقها، وبعضها معنوي حين فقدت الثقة بنفسي. ولم يبق لي من الأحلام سوى كابوس مرعب حين أراني عارياً والناس كلهم ينظرون إلى عورتي.

وما كان من الوضع الليبيري السيئ والذي ينذر بأننا قد نكون على أعتاب حرب أهلية، إلا ليزيدني إحباطاً ويأساً.

في خضم هذه المعاناة كنت أبحث عن شيء يعيد إليَّ بعض الثقة، فلا بد من أمر أستطيع التغلب عليه مهما كان صغيراً أو تافهاً. بعد أن أصبحت مغلوباً في كل ما أصبو إليه، وكأي مواطن عربي

يشعر بالهزيمة قبل أن يهزم. من يدري.؟ قد يكون الإقلاع عن التدخين أمراً مهمّاً، بل ربما إنجازاً عظيماً، أو انتصاراً باهراً قد يعيدني إلى ذاتي في مثل هذه الظروف: فعزمت، وأنا في قلب العاصفة والرياح تعبث بأشرعتي، أن أقلع عن التدخين، بعد أن تحكمت بي هذه العادة السيئة لأكثر من عشرين عاماً. فأهديت ولاّعتي الثمينة لمدخن كان يجلس بجانبي، فحسبني مجنوناً إذ لم أكن على معرفة مسبقة به. ورويداً رويداً بدأت ثقتي بنفسي ترتفع وترتفع معها معنوياتي، وتقوى عزيمتي كأن بركاناً من التحدي بدأ يملأ كياني، وأصبح بوسعي الادعاء بأني مستعد لمواجهة كل الصعاب.

بهذه المعنويات العالية وطأت قدماي في 11 سبتمبر 1989مطار منروفيا عاصمة ليبيريا.كانت التحديات كثيرة.. وأكثرها ملحّ، لكن إرادتي أصبحت أكثر استعداداً لبدء صفحة جديدة من العمل والإنتاج.

* * *

ليبيريا، هذا البلد الصغير الذي بدأت الاضطرابات تهز استقراره، منذ 14 نيسان 1979 حين قادت ثلة من الشباب الليبيري المثقف، ينتمون إلى مختلف قبائل الناتف (NATIVE) مظاهرة ضد ارتفاع سعر الرز المدعوم حكومياً في عهد الرئيس وليم تولبرت.

غير أن هذه المظاهرة انتهت بنهب حوالي 80٪ من المحلات التجارية في العاصمة منروفيا، وكل هذه المحلات كانت ملكاً للبنانيين وهنود. لوحق على أثرها منظمو هذه المظاهرة غير المرخّصة فألقي القبض عليهم وأودعوا السجن. ومنهم كان BACCUS MATHEW "وزير لاحق" Dr. TIPOTEH وBOIMA FANBULEH

و.OSCAR QUIAH وكلهم ذوو ميول يسارية اشتراكية. طبعاً، ما أرادو لمظاهرتهم هذه النهاية المخزية.

كانت ليبيريا تعتبر من أكثر الدول الأفريقية استقراراً على الصعيدين الأمني والسياسي، لكنه استقرار ناتج عن حكم الأقلية الغنية (الكونغو) للأكثرية الساحقة والمسحوقة (مجموع القبائل الليبيبرية–18–قبيلة). 133 سنة من القبول القسري لحكم (الكونغو) من قبل مجموع القبائل المحكومة، كان استقراراً خالياً من أي ازدهار يذكر، باستثناء حكم الرئيس (WILLIAM TOLBERT) آخر رؤساء الكونغو في عصر الجمهورية الأولى، ففي سنوات حكمه التسع 1971–1980 شهدت البلاد حالة ازدهار وعمران لم تشهده خلال عهود أسلافه من الرؤساء، خاصة خلال الخمسة وعشرين عاماً من حكم سلفه الرئيس WILLIAM TUBMAN . لا شك أن عهد الرئيس تولبرت كان من أفضل العهود بالمطلق، فالرجل كان ديناميكياً، محترماً، نادراً ما زار دولة إلا وكانت نتائج زيارته إيجابية من حيث العلاقات التي تسفر عنها أو المساعدات التي يحصل عليها. كما أنه اهتم بالمواصلات، فشق الطرق، وقام بالعمران، فأشاد البنيان. وازدهرت في عهده الحركة التجارية بشكل عام ومع دول الجوار بشكل خاص، كذلك نشطت نسبياً الحركة الصناعية.

أما الهزة الثانية فكانت على يد حفنة من العسكريين (17 عنصراً) لم يتجاوز أكبرهم سن الثلاثين وأعلاهم رتبة معاون يدعى SAMUEL DOE قادوا انقلاباً عسكرياً في 12 نيسان 1980 أوصلهم إلى سدة الحكم وأطاح بالرئيس وليم تولبرت. ولئن كان أهل البلاد الأصليين أكثر تعاطفاً مع الرئيس تبمان وأكثر انتقاداً للرئيس تولبرت، فهذا مرده إلى كونهم أطاحوا بحكم الكونغو في عهد الرئيس تولبرت. ولو حصل ذلك في عهد الرئيس تبمان لكان العكس هو الصحيح.

يشعر بالهزيمة قبل أن يهزم. من يدري.؟ قد يكون الإقلاع عن التدخين أمراً مهمّا، بل ربما إنجازاً عظيماً، أو انتصاراً باهراً قد يعيدني إلى ذاتي في مثل هذه الظروف: فعزمت، وأنا في قلب العاصفة والرياح تعبث بأشرعتي، أن أقلع عن التدخين، بعد أن تحكمت بي هذه العادة السيئة لأكثر من عشرين عاماً. فأهديت ولاّعتي الثمينة لمدخن كان يجلس بجانبي، فحسبني مجنوناً إذ لم أكن على معرفة مسبقة به. ورويداً رويداً بدأت ثقتي بنفسي ترتفع وترتفع معها معنوياتي، وتقوى عزيمتي كأن بركاناً من التحدي بدأ يملأ كياني، وأصبح بوسعي الادعاء بأني مستعد لمواجهة كل الصعاب.

بهذه المعنويات العالية وطأت قدماي في 11 سبتمبر 1989مطار منروفيا عاصمة ليبيريا.كانت التحديات كثيرة.. وأكثرها ملحّ، لكن إرادتي أصبحت أكثر استعداداً لبدء صفحة جديدة من العمل والإنتاج.

* * *

ليبيريا، هذا البلد الصغير الذي بدأت الاضطرابات تهز استقراره، منذ 14 نيسان 1979 حين قادت ثلة من الشباب الليبيري المثقف، ينتمون إلى مختلف قبائل الناتف (NATIVE) مظاهرة ضد ارتفاع سعر الرز المدعوم حكومياً في عهد الرئيس وليم تولبرت.

غير أن هذه المظاهرة انتهت بنهب حوالي 80٪ من المحلات التجارية في العاصمة منروفيا، وكل هذه المحلات كانت ملكاً للبنانيين وهنود. لوحق على أثرها منظمو هذه المظاهرة غير المرخّصة فألقي القبض عليهم وأودعوا السجن. ومنهم كان BACCUS MATHEW "وزير لاحق" Dr. TIPOTEH وBOIMA FANBULEH

و.OSCAR QUIAH وكلهم ذوو ميول يسارية اشتراكية. طبعاً، ما أرادو لمظاهرتهم هذه النهاية المخزية.

كانت ليبيريا تعتبر من أكثر الدول الأفريقية استقراراً على الصعيدين الأمني والسياسي، لكنه استقرار ناتج عن حكم الأقلية الغنية (الكونغو) للأكثرية الساحقة والمسحوقة (مجموع القبائل الليبيرية-18-قبيلة). 133 سنة من القبول القسري لحكم (الكونغو) من قبل مجموع القبائل المحكومة، كان استقراراً خالياً من أي ازدهار يذكر، باستثناء حكم الرئيس (WILLIAM TOLBERT) آخر رؤساء الكونغو في عصر الجمهورية الأولى، ففي سنوات حكمه التسع 1971–1980 شهدت البلاد حالة ازدهار وعمران لم تشهده خلال عهود أسلافه من الرؤساء، خاصة خلال الخمسة وعشرين عاماً من حكم سلفه الرئيس WILLIAM TUBMAN. لا شك أن عهد الرئيس تولبرت كان من أفضل العهود بالمطلق، فالرجل كان ديناميكياً، محترماً، نادراً ما زار دولة إلا وكانت نتائج زيارته إيجابية من حيث العلاقات التي تسفر عنها أو المساعدات التي يحصل عليها. كما أنه اهتم بالمواصلات، فشق الطرق، وقام بالعمران، فأشاد البنيان. وازدهرت في عهده الحركة التجارية بشكل عام ومع دول الجوار بشكل خاص، كذلك نشطت نسبياً الحركة الصناعية.

أما الهزة الثانية فكانت على يد حفنة من العسكريين (17 عنصراً) لم يتجاوز أكبرهم سن الثلاثين وأعلاهم رتبة معاون يدعى SAMUEL DOE قادوا انقلاباً عسكرياً في 12 نيسان 1980 أوصلهم إلى سدة الحكم وأطاح يالرئيس وليم تولبرت. ولئن كان أهل البلاد الأصليين أكثر تعاطفاً مع الرئيس تبمان وأكثر انتقاداً للرئيس تولبرت، فهذا مرده إلى كونهم أطاحوا بحكم الكونغو في عهد الرئيس تولبرت. ولو حصل ذلك في عهد الرئيس تبمان لكان العكس هو الصحيح.

استيقظت ذاك الصباح على أزيز الرصاص والإذاعة المحلية تعزف النشيد الوطني، والبلاغ رقم واحد، يعلن ويكرر المرة تلو الأخرى أن انقلاباً عسكرياً قد نفذ ضد الرئيس تولبرت، قامت به مجموعة من العسكريين بقيادة المعاون صموئيل دو والمجموعة كلها من قبائل الناتف. هكذا كان واضحاً منذ اليوم الأول للانقلاب بأنه موجه ضد قبيلة الكونغو، كما أكدت الإذاعة الليبيرية انتهاء حقبة حكم الغرباء وبدء العهد الوطني.

وأذكر جيداً كيف طورد البارزون من الكونغو، واعتقل السياسيون منهم وأعدموا فور محاكمة صورية على الرغم من استعداد بعضهم لموالاة العهد الجديد، أما التهم التي وجِّهت إليهم فكانت الرشوة والظلم الاجتماعي وسوء الإدارة.

في ذلك اليوم من نيسان 1980 انتهت الجمهورية الأولى و133 عاماً من حكم الكونغو المتواصل والاستقرار السياسي والأمني، لتبدأ حقبة جديدة من تاريخ ليبيريا.

وهكذا اعتبر يوم 12 نيسان يوم تحرير واستقلال بالنسبة للناتف، فدعوه بيوم الخلاص الوطني، حيث خف حماسهم ليوم 26 تموز ذكرى الاستقلال والذي كان يعتبر ثاني مناسبة من حيث الأهمية بعد عيد الميلاد.

وأذكر أيضاً كيف بدأ الحكم العسكري بإخلاء سبيل المساجين السياسيين، أي كل الذين نظموا تلك المظاهرة السالفة الذكر، إذ لم يكن من مساجين سياسيين غيرهم. وسلّموا هؤلاء حقائب وزارية هامة.

كما تم حينها إنشاء مجلس الخلاص الوطني من العسكريين الذين قادوا الانقلاب وقتلوا الرئيس تولبرت. ترأس هذا المجلس المعاون صموئيل دو دون أن يكون لديه أو لأي من أعوانه المدنيين

والعسكريين أية خبرة في إدارة البلاد، فزادت الرشوة وعمَّ الفساد وبدأ مجلس الخلاص بالتآكل من الداخل، إذ لم يمر شهر واحد دون إعدام أحدهم بتهمة محاولة انقلابية، أما المدنيّون فقد هرب معظمهم إلى الخارج فهم أيضاً كانت تنقصهم الخبرة.

بهذا الإنقلاب تحرك الشعور القبلي على أكثر من صعيد، وبدأ الصراع على السلطة يوجه هذا الشعور ويؤججه.

فهذه الجمهورية التي تقع على الساحل الغربي لأفريقيا، يحدها المحيط الأطلسي جنوباً وجمهورية غينيا شمالاً وساحل العاج شرقاً وسيراليون غرباً. لم تكن مستعمرة بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل كانت شبه مستعمرة أميركية نسبة للهجرات المنظمة لزنوج أميركا إليها والتي بدأت عام 1822 طلباً للحرية وهرباً من الاستبداد. قبل قدوم أولئك المهاجرين لم تكن ليبيريا قد أخذت شكل الدولة بعد، وكانت مجموع قبائلها تخضع لشرائعها القبلية. لذا فقد شرع أولئك المستوطنون الجدد في تنظيم مظاهر الحياة السياسية، من تشكيل المدينة إلى المحافظة إلى الدولة. هكذا أصبحوا قادة هذه الدولة الجديدة وترأسوها منذ تأسيسها (وهذا ما أعتبر استقلالاً) في 26 تموز 1847 واتخذوا (توقنا إلى الحرية قادنا إلى هنا) شعاراً لدولتهم. أطلق على هؤلاء المواطنين الجدد اسم أميركو- ليبيري أو أكثر شيوعاً كونغو ربما لأن غالبيتهم كانت أصلاً من بلاد الكونغو.

ومن جهة أخرى، كان دو الذي ينتمي إلى قبيلة (krahn) من محافظة (Grand Geddeh) التي تقع على بعد 300 كلم شرقي البلاد قد واجه 36 محاولة انقلابية (على حد قوله)، قضى على أثرها على معظم زملائه وشركائه العسكريين في الانقلاب الذي توَّجه رئيساً. الأمر الذي وضعه مع قبيلته في مواجهة الكثير من القبائل الأخرى، خاصة قبيلة ال Gio التي كان ينتمي اليها .Thomas Quiwonkpa

لقد فعل دو كل شيء ممكن للاحتفاظ بالسلطة، ومن أجلها ضحى بكل غال ونفيس وكلما زاد وضعه الأمني سوءاً زاد تمسّكه بالحكم، وأحاط نفسه بأبناء قبيلته لعدم ثقته بغيرهم، الأمر الذي أثار حفيظة القبائل الأخرى ضده.

هكذا زج دو قبيلته في تناحر قبلي كان هو أحد أسبابه، وإيقاف هذا التناحر بات فوق قدرته حتى ولو كان ذلك بانتهائه شخصياً. والعداء القبلي لم يعد لشخصه كرئيس فقط بل أصبح لكل أفراد قبيلته، وهذا ما لم يسمح له باتخاذ أي قرار بمعزل عنها.

وهكذا أيضاً دخلت ليبيريا مرحلة جديدة والأمور كلها تسير من سيىء إلى أسوأ، فشُلت البلاد وتردَّى وضعها الاقتصادي حتى غرقت في ديون خارجية مما أدى إلى وضعها على اللائحة السوداء من قبل البنك الدولي. وزاد في الطين بلة تجميد كل المساعدات الخارجية والقروض المالية المخصصة لليبيريا، من الولايات المتحدة وأوروبا والأمم المتحدة والبنك الدولي الخ... وأصبحت تلك المساعدات كلها مشروطة بتعدد الأحزاب وانتخابات حرة تعيد الحكم إلى المدنيين.

"سئل الرئيس موبوتو (MOBUTU) رئيس دولة زائير ذات مرة، وكان متهماً بالديكتاتورية (وهو كذلك)، لماذا لا يسمح بتعدد الأحزاب في بلاده كخطوة باتجاه الديموقراطية فأجاب:

في زائير 40 قبيلة، إذا ما سمحت بتعدد الأحزاب سينشأ 40 حزباً في غضون أسبوع واحد، إذ سيكون لكل قبيلة حزبها. فتكون الديمقراطية سبباً في التناحر القبلي."

لا شك أن في كلام هذا الديكتاتور الكثير من الحق، فالديمقراطية لعبة إذا مارسها من لا يفهمها تعود عليه بالويلات.

من أهم شروط ممارسة الديمقراطية هو أن يعي الإنسان ويتحسس وطنيته، كي يكون ولاؤه للوطن وليس للقبيلة أو الطائفة التي ينتمي إليها. عندها فقط تكون الديمقراطية صراعاً سياسياً نحو الأفضل في خدمة الوطن والمواطن، مهما كان الأصل الإتني الذي يتحدر منه أو الدين الذي ينتمي إليه.

أما إذا كانت الديمقراطية طريقاً إلى التناحر القبلي أو الطوائفي، فلا شك إذن بأن الاستقرار في ظل ديكتاتور هو الوسيلة الفضلى للحكم، حتى يتسنى للمواطن أن يعي مسؤولياته الوطنية، وحقوقه وواجباته وعياً صحيحاً.

فالحكم والمعارضة في دول ما يسمى بالعالم الثالث هما وجهان لعملة واحدة، لأنهما يمثلان عقلية واحدة في التعاطي مع المصلحة العامة، والتخلف السائد في هذا العالم يجعل من الرأي العام بغلاً يمتطيه كل من أراد الوصول إلى السلطة.

لقد وجدت الأنظمة والقوانين كي تضبط وتعالج أمور الشعب وقضاياه وفق ما ينسجم مع ظروفه وحاجاته وعاداته وتقاليده. فالدستور الأميركي لا يعبِّر عن حاجات الشعب الليبيري، كما أن الدستور الفرنسي قد لا يخدم مصلحة الشعب اللبناني. قبل أن يقوم في الغرب نظام الديمقراطيات، قامت نهضة القوميات، فتحسس المواطن الغربي مواطنيته وأدرك حقوقه وواجباته، فانصهرت كل العنصريات والسلالات والفروقات الإتنية والدينية في بوتقة اجتماعية واحدة. فكانت وحدة المجتمع وكان الإنسان المجتمعي القادر على التعبير عن مصالحه وخدمتها بالشكل السليم.

لذا، إن فرض أو طلب ممارسة الديمقراطية على شعب مثل الشعب الليبيري، هو كلام حق يراد به باطل. لأن غالبية هذا الشعب لا تفهم مغزى الديمقراطية، فيتحول الصراع السياسي المفترض به أن يكون ديمقراطياً إلى تناحر قبلي. فالإنسان الليبيري اللاهث وراء لقمة عيشه، تحتل هذه اللقمة أولويات اهتماماته شأنه بذلك شأن كل الشعوب الفقيرة. فلا يولي تفكيره غير ما يخدم مصلحته الشخصية. فهذا الإنسان لا تحركه عقيدة تخدم مجتمعاً أو وطناً.

ليس هناك فرق بين التناحر القبلي في ليبيريا والاقتتال الطائفي في لبنان، فكلاهما تتحكم به عصبية متخلفة، سواء كانت عصبية القبيلة أو عصبية الطائفة، لكن الشعب الليبيري لا يدّعي المعرفة كما ندّعيها نحن اللبنانيين. فحالتهم القبلية قابلة للتطور لأنها غير مكرسة في دستورهم، أما حالتنا الطائفية فتعيد إنتاج ذاتها بعد كل حرب أهلية،

لأنها مكرسة في دستورنا. القوانين والأنظمة وجدت في كل أصقاع الأرض لتوحد شعوبها وتصهرهم في مجتمع واحد، وكل ما هو غير ذلك يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون، إلا في لبنان إذ وجدت الأنظمة والقوانين لتفصل بين شرائح المجتمع الواحد.

سنرى ما آلت إليه (فتيشة) الديمقراطية التي رمت بها أميركا على الأرض الليبيرية، عندما فشلت باحتواء الرئيس الجاهل دو سياسياً وبالانقلاب عسكرياً عليه. فقطعت مساعداتها عن ليبيريا مشترطة الديمقراطية وتعدد الأحزاب والعودة إلى الحكم المدني. فتبعها بذلك بعض الدول الأوروبية والمنظمات الدولية، مما شجع المعارضة الليبيرية على الكشف عن وجهها، فأنشأت أحزاباً تطمح إلى الوصول إلى السلطة لا إلى تصحيح المسار. خلقت أجواء من الفوضى والشغب وحركات تخلو من المسؤولية، حيث كان هذا مع دوافع وأسباب أخرى، الطريق الذي أدى إلى هذه الحرب الأهلية وعشرات الآلاف من الضحايا الأبرياء ومليارات الدولارات من الخراب الاقتصادي.

وكأي ديمقراطية مفروضة في أي دولة من دول العالم الثالث، أسس الحكم حزباً سياسياً ورخص لأحزاب المعارضة، وعدل الدستور وأجرى الانتخابات .. والكل يعرف النتيجة .. طبعاً فاز الحزب الحاكم بأغلبية 99٪. فخلع دو بدلته العسكرية وارتدى بدلة مدنية، خرج من باب ودخل من آخر وأصبح أول رئيس للجمهورية الثانية. جرى كل ذلك في العام 1985 (في ذات العام حصلت محاولة كوي ونكبا الانقلابية)

كوي ونكبا هو أحد أفراد المجموعة التي قادت الحركة العسكرية ضد الرئيس تولبرت، وعددها 17 عسكرياً ولم يبلغ الثلاثين من عمره في حينها.

فالحكم والمعارضة في دول ما يسمى بالعالم الثالث هما وجهان لعملة واحدة، لأنهما يمثلان عقلية واحدة في التعاطي مع المصلحة العامة، والتخلف السائد في هذا العالم يجعل من الرأي العام بغلاً يمتطيه كل من أراد الوصول إلى السلطة.

لقد وجدت الأنظمة والقوانين كي تضبط وتعالج أمور الشعب وقضاياه وفق ما ينسجم مع ظروفه وحاجاته وعاداته وتقاليده. فالدستور الأميركي لا يعبّر عن حاجات الشعب الليبيري، كما أن الدستور الفرنسي قد لا يخدم مصلحة الشعب اللبناني. قبل أن يقوم في الغرب نظام الديمقراطيات، قامت نهضة القوميات، فتحسس المواطن الغربي مواطنيته وأدرك حقوقه وواجباته، فانصهرت كل العنصريات والسلالات والفروقات الإتنية والدينية في بوتقة اجتماعية واحدة. فكانت وحدة المجتمع وكان الإنسان المجتمعي القادر على التعبير عن مصالحه وخدمتها بالشكل السليم.

لذا، إن فرض أو طلب ممارسة الديمقراطية على شعب مثل الشعب الليبيري، هو كلام حق يراد به باطل. لأن غالبية هذا الشعب لا تفهم مغزى الديمقراطية، فيتحول الصراع السياسي المفترض به أن يكون ديمقراطياً إلى تناحر قبلي. فالإنسان الليبيري اللاهث وراء لقمة عيشه، تحتل هذه اللقمة أولويات اهتماماته شأنه بذلك شأن كل الشعوب الفقيرة. فلا يولي تفكيره غير ما يخدم مصلحته الشخصية. فهذا الإنسان لا تحركه عقيدة تخدم مجتمعاً أو وطناً.

ليس هناك فرق بين التناحر القبلي في ليبيريا والاقتتال الطائفي في لبنان، فكلاهما تتحكم به عصبية متخلفة، سواء كانت عصبية القبيلة أو عصبية الطائفة، لكن الشعب الليبيري لا يدّعي المعرفة كما ندّعيها نحن اللبنانيين. فحالتهم القبلية قابلة للتطور لأنها غير مكرسة في دستورهم، أما حالتنا الطائفية فتعيد إنتاج ذاتها بعد كل حرب أهلية،

لأنها مكرسة في دستورنا. القوانين والأنظمة وجدت في كل أصقاع الأرض لتوحد شعوبها وتصهرهم في مجتمع واحد، وكل ما هو غير ذلك يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون، إلا في لبنان إذ وجدت الأنظمة والقوانين لتفصل بين شرائح المجتمع الواحد.

سنرى ما آلت إليه (فتيشة) الديمقراطية التي رمت بها أميركا على الأرض الليبيرية، عندما فشلت باحتواء الرئيس الجاهل دو سياسياً وبالانقلاب عسكرياً عليه. فقطعت مساعداتها عن ليبيريا مشترطة الديمقراطية وتعدد الأحزاب والعودة إلى الحكم المدني. فتبعها بذلك بعض الدول الأوروبية والمنظمات الدولية، مما شجع المعارضة الليبيرية على الكشف عن وجهها، فأنشأت أحزاباً تطمح إلى الوصول إلى السلطة لا إلى تصحيح المسار. خلقت أجواء من الفوضى والشغب وحركات تخلو من المسؤولية، حيث كان هذا مع دوافع وأسباب أخرى، الطريق الذي أدى إلى هذه الحرب الأهلية وعشرات الآلاف من الضحايا الأبرياء ومليارات الدولارات من الخراب الاقتصادي.

وكأي ديمقراطية مفروضة في أي دولة من دول العالم الثالث، أسس الحكم حزباً سياسياً ورخص لأحزاب المعارضة، وعدل الدستور وأجرى الانتخابات .. والكل يعرف النتيجة .. طبعاً فاز الحزب الحاكم بأغلبية 99٪. فخلع دو بدلته العسكرية وارتدى بدلة مدنية، خرج من باب ودخل من آخر وأصبح أول رئيس للجمهورية الثانية. جرى كل ذلك في العام 1985 (في ذات العام حصلت محاولة كوي ونكبا الانقلابية)

كوي ونكبا هو أحد أفراد المجموعة التي قادت الحركة العسكرية ضد الرئيس تولبرت، وعددها 17 عسكرياً ولم يبلغ الثلاثين من عمره في حينها.

ينتمي إلى قبيلة الغيو (GIO) من محافظة النمبا (NIMBA) وكان من أقرب المقربين إلى صموئيل دو حيث كان يعتبر ذراعه اليمنى.

اشتهر بحزمه واستقامته كما أنه حافظ بعد الانقلاب كقائد للجيش برتبة جنرال على نمط حياته نفسه قبل الانقلاب كجندي متطوع. لم ينغمس في رغد العيش ولم تظهر عليه علامات الغنى كما بدت واضحة على باقي أعضاء مجلس الخلاص الوطني. تعاطى مع الحكم وكأنه تاركه غداً، بينما كيّف زملاؤه أنفسهم وكأنهم باقون أبداً.

كان مقتنعاً بإعادة الحكم إلى المدنيين عبر انتخابات حرة، لذا بدأت خلافاته تظهر مع دو حتى وصلت إلى أشدها سنة 1983 . وبعد اعتكاف دام أكثر من شهر في الثكنة العسكرية حيث كان يقيم، اختفى بطريقة أثارت الكثير من التساؤلات والشكوك، إلى أن أكدت بعض المصادر وجوده في الولايات المتحدة الأميركية.

وفي 20 نوفمبر من العام ذاته قامت حركة عسكرية في محافظة نمبا قادها كوبر تييه COOPER TEAH من قبيلة الغيو وسام دوكي SAM DUKI من قبيلة المانو MANO هدفها تصفية تشارلز جولو CHARLES JULU من قبيلة دو الحاكمة، والذي كان يشغل منصب مدير جهاز الأمن الخاص في شركة لامكو LAMCO لإنتاج الحديد، والذي أصبح في ما بعد أقوى شخصية عسكرية اعتمدها دو (سأروي لك لاحقاً قصتي مع هذا الرجل). لم يكن جولو موجوداً حين قام الاثنان السالفا الذكر بالحركة التي تهدف إلى تصفيته. وقتل حينها ابن شقيقته كما أصيب ابنه بجروح لكنه تمكن من الهرب. لقد أخمدت هذه الحركة على الفور، غير أن أصابع الاتهام أشارت إلى الجنرال كوي ونكبا.

وقد أسس كوي ونكبا في العام 1984 الجبهة الوطنية الليبيرية



Nicholas Podier, Thomas Quiwonkpa, Samuel K. Doe and Thomas Weh-Syen.

THE NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA وهو خارج البلاد. وقاد في 12 نوفمبر 1985 حركة انقلابية ضد الرئيس دو، كادت أن تنجح لولا تدخّل الموساد الإسرائيلي. إذ ألقى القبض على معظم الوزراء ورجال الدولة، دون أن يقتل أحداً لأنه أراده انقلاباً سلمياً، وحين تأكد من الأمرالرئيس دو الذي كان لا يزال طليقاً مع بعض أعوانه، فاستجمع قواه وقبض على زمام الأمور بمساعدة الموساد الإسرائيلي الذي كان معنيّاً حينها بحراسة دو، الذي كان قد أعاد العلاقات مع إسرائيل قبل أشهر قليلة. لقد استعمل الموساد التشويش اللاسلكي حيث سيطروا على الاتصال اللاسلكي بين أفراد الحركة الانقلابية. ولما بدأت الدفة ترجح لمصلحة دو فر المناصرون من حول كوي ونكبا فاضطر إلى الفرار حيث قتل بعد بضعة أيام.

بعد هذه المحاولة مباشرة قام دو بعملية تطهير طالت الجيش وكل وزارات الدولة، وحصدت المئات من الذين ينتمون إلى قبيلتي الغيو والمانو وعموم منطقة نمبا.

هكذا تحولت خلافات الحكم إلى نزاع قبلي، أشدها بين الغيو والمانو من جهة والكران من جهة أخرى. في ذات الوقت قام الجنرال جولو بردة فعل على حادثة 20 نوفمبر 1983 وقتل كلاًّ من ديكي

ويسلي (غيو) والجنرال فلومو (مانو) واعتقل 28 شخصاً من قيادي المنطقة، لم يخرج منهم حياً سوى اثنين هما الدكتور ألفرد كولا وريفز دولو والاثنان (مانو). هدأت بعدها حدة النزاع القبلي هذا إلى أن انفجر مجدداً في ديسمبر 1989 بحرب أهلية اجتاحت البلاد كلها.

في ذات العام أيضاً صكّ الرئيس دو عملة معدنية جديدة من فئة الخمسة دولارات ليبيرية، قيل إنها تذكارية بمناسبة يوم الخلاص الوطني، (من المعروف أن العملة المتداولة في ليبيريا كانت الدولار الأميركي الذي أصبح في ما بعد عملة نادرة، لأن العملة الجديدة وغير المكفولة دولياً والتي سميت بعملة دو، انتشرت بسرعة وحلت محل الدولار الأميركي الذي هرب واختفى من الأسواق).

كان لهذه المبادلة انعكاسات سيئة على الوضع الاقتصادي، حيث زعزع ثقة أصحاب الرساميل .. وعن غير قصد كان لهذه العملة الدائمة التدهور حسنة واحدة، إذ وبسبب صعوبة تحويلها إلى الخارج اضطر العديد من المواطنين لاستعمالها في مشاريع عمرانية فازدادت بذلك نسبة الملاّكين في عهده.

في 6 كانون الثاني 1986 أدى دو القسم الدستوري للرئاسة، بالتالي اشتد الصراع السياسي وراح يتسع بينه وبين أحزاب المعارضة التي طعنت بمصداقية الانتخابات التي فاز بها دو، الأمر الذي أدى لإلقاء القبض على قياديين في المعارضة وإيداعهم السجن عدة مرات لأسباب مختلفة و مختلقة، مما دفع بالكثير منهم للهرب إلى الولايات المتحدة، بالتالي اتسعت رقعة المعارضة الشعبية وكثرت مشاكل حكم الرئيس دو.

إلى أن لاحت في الأفق شرارة الحرب الأهلية في 24 ديسمبر 1989 والتي أطاحت به في ما بعد وحصدت آلاف الأبرياء من كل

الأفرقاء. ففي ليلة عيد الميلاد هذه سمعنا عن هجوم عسكري يقوم به بعض المتمردين في منطقة Gboto المتاخمة لساحل العاج.

* * *

لا أدري لماذا كانت تشغلني كل هذه الأمور وأنا في طريق عودتي إلى ليبيريا ، ربما كنت أبحث عن أزمة أكبر من أزمتي فيهون عليَّ وضعي. وربما أني سئمت أزمة فلسطين وكل أزمات العالم العربي، أو لعلي أدمنتها فلم يعد ينفعني اللجوء إليها. كما أني استنفذت كل ما ادخرته من انتصارات الماضي، دون أن تخفف شيئاً من انكسارات الحاضر. نعم، أنا مفلس ولا أملك سوى بضع مئات آلاف الدولارات..تحت الصفر.. بعد اثنين وعشرين عاماً من الهجرة. هذه أصبحت حقيقة لا أدري كيف التعايش معها.

على كل حال، أنا لا أحسد الرئيس دو على وضعه السيِّىء ولا الشعب الليبيري على وضعه الأسوأ، ولا أحسد نفسي على ما قد يطالني وأنا أعيش بين هذين الوضعين.

هل كان إخوتي يدركون كل هذا وهم يدفعون بي دفعاً للهجرة إلى ليبيريا، ولم أبلغ السادسة عشرة من عمري بعد. دون أن يأخذوا رغباتي بعين الاعتبار، أو دون أن يعيروا اهتمامي بالتعلّم أي شأن يذكر، أو دون أن يشفع لي اكتفائي الذاتي من عمل يغطي تكاليف دراستي. ولا حتى هربي من البيت لبضعة أيام.

كنت الأصغر سنًّا فكان لكل إخوتي الحق بممارسة سلطتهم عليَّ، والهجرة (برأيهم) كانت أصدق أنباءً من الكتب.

كانت أمورنا تزداد تعقيداً، أعني أنا والرئيس دو وليبيريا، غير أنه كان يحاول المستحيل للاحتفاظ بالحكم، فراح يثقف نفسه على أيدي

أساتذة يحضرون إلى القصر الجمهوري كي لا تبقى ثقافته مأخذاً عليه، وأعاد العلاقات الديبلوماسية مع إسرائيل - لعله يرضي أميركا- واستعان بالموساد لحماية حكمه كما ذكرت سابقاً، وكان قد رخّص لأحزاب المعارضة وأجرى الانتخابات. كان مستعداً لكل شيء وأي شيء ما عدا الاستقالة أو التنحي.

أما المعارضة السياسية في الداخل فقد صعّدت وتيرة معارضتها وكثفت تحركاتها ومظاهراتها. وأخبار الهجوم المسلح الذي بدأ على الحدود مع ساحل العاج كانت تتوالى وتتناقض مما أضفى على الوضع إرباكاً وتعقيداً.

والشعب الليبيري كان أشبه بشاهد زور في خضم هذا الصراع على السلطة... وأكبر الخاسرين في كل ما يجري.

وأنا كان لديّ بضعة مشاريع تطبخ على نار هادئة، في حين أنا جائع أريد طعاماً وإن «سليقاً».

* * *

الجاليات الأجنبية

باستثناء بعض الإرساليات الأجنبية (الغربية) والشركات الكبرى كشركات الحديد والمطاط والخشب. يعتبراللبناني هو الوحيد الذي اتسعت دائرة نشاطاته التجارية والعمرانية لتشمل كل مناطق الريف الليبيري البعيد مئات الأميال عن العاصمة. حيث الطرقات ترابية، وعرة ومحفوفة بالمخاطر، ففي أيام فصل الشتاء تجرف الأمطار جانبي الطريق أو كله. مع أن البناء الذي شاده اللبناني في تلك المناطق البعيدة حيث لا شبكة مياه أو كهرباء، اقتصرعلى بناء متجر يستثمره

أو على منزل يسكنه، غير أنه ساعد وبشكل أساسي على أمرين مهمين:

1- إيصال المواد والحاجات الأساسية في حياة الناس من غذاء ودواء ومواد بناء، مما وفر لسكان تلك المناطق مقومات الحياة فأوقف نزوحهم إلى المدينة.

2- إن توفر متطلبات الإنسان هو من أهم عوامل الاستقرار الذي يساعد على بناء تجمعات سكنية، حيث تتدرج هذه التجمعات لتصبح مدناً.

لذا كان للوجود اللبناني المنتشر في طول البلاد وعرضها النسبة الكبرى من الضرر الاقتصادي الذي سببته الحرب، علماً أنه لم يكن مستهدفاً. فبدأت خسائرنا المادية والبشرية مع بداية الحرب في الأحراش وفي المناطق النائية. كانت تصلنا إلى منروفيا حيث كثافة الوجود اللبناني أخبار مضخمة جداً، فعشنا حالات صعبة من القلق غير المبرّر في كثير من الأحيان.

السيد سمير حايك كان أول لبناني يتعرض لحادث حيث وقعت السيارة التي كانت تقله وهي تابعة للدولة في كمين أقامه الثوار - كما كانوا يطلقون على أنفسهم أو المتمردون كما كان يسميهم النظام - فجرح على أثره وهو يحاول الانتقال من مدينة Sanniquole إلى مدينة Yekepa في محافظة نمبا.

في سنيكولي أهم مدن نمبا كان لدينا سبع عائلات لبنانية، كانوا مجتمعين في بيت أحدهم عندما استولى عليها الثوار، أخذوهم إلى أول قرية حدودية في ساحل العاج، دون التعرض لأحد منهم بأذى، فاقتصرت خسائرهم على الممتلكات.

كان الثوار يأخذون احتياجاتهم من محلات اللبنانيين في المناطق

التي خضعت لسيطرتهم، مقابل أوراق يتعهدون فيها بالدفع عندما تنتصر الثورة. بهذا الأسلوب نهبت تدريجياً معظم محلات اللبنانيين.

أقفلت كل الطرق في تلك المنطقة، وأصبحت معظم المدن مثل سنوكولي وغنتا وبنغا شبه خالية من السكان.

تدبر اللبنانيون الذين في هذه المدن أمرهم بالرحيل، كل حسب رغبته، ولم يبق سوى الرفقاء عبدالله سبيتي وأحمد بشير وأشقائه في يكبا وهذه تقع في أقصى مناطق نمبا على الحدود الغينية، حيث توجد أهم شركة لإنتاج الحديد (لامكو)، والتي رحّلت بدورها كل موظفيها من مواطنين وأجانب.

أما مدينة بيوكنن (Buchanan) ثاني أهم المدن الليبيرية بعد العاصمة، والتي تبعد 88 ميلاً عن منروفيا، ففيها مرفأ هام لتصدير الحديد والأخشاب، ومركز مهم لشركة الحديد "لامكو" وسكة حديد تربطها بيكبا. فيها جالية لبنانية مهمة، كما فيها مديرية حزبية ناشطة.

دخلها الثوار في 19 أيار 1990 وفي 24 منه وقعت فيها الحادثة التالية كما وردت على لسان مواطن شامي يدعى محمود الخطيب.

"كنت مع كل من حسين بو هدير وصبحي حمادة وأمين الدهيني في طريقنا إلى شركة (LAC) (شركة أجنبية تهتم بالزراعة تبعد 38 ميلاً عن بيوكنن). وكنا بصحبة بعض الثوار، حيث توقفت سيارتنا لعطل ميكانيكي، ففاجأتنا دورية لقوى الجيش الذي ما زال في بعض المناطق، وأطلقت علينا النار، ففر الثوار ومعهم أمين الدهيني بينما قتل حسين بوهدير على الفور - في البدء اعتقدت أنه فر مع أمين - بقيت أنا وصبحي حمادة مع الجيش ومكثنا معهم أربعة أيام، حتى قرّرت عناصر الجيش الانسحاب إلى منروفيا، فعزمت مع صبحي على مرافقتهم إلى العاصمة. كنا موكباً مؤلفاً من سيارتين وجيب وشاحنة

نسير ليلاً وما إن بلغنا منطقة فايرستون - بالقرب من المطار الدولي - حتى وقعنا في كمين للثوار، قتل على أثره صبحي حمادة غير أني لم أرَهُ قتيلاً فاعتقدت بأنه قد يكون هرب إلى الغابات تحت جِنْح الليل.

أما أنا فقد تابعت طريقي مع من بقي حيّاً من عناصر الجيش إلى منروفيا."

منروفيا التي ما زالت هادئة طوال هذه الفترة، ولم يعكر صفو الأمن فيها سوى بعض الجثث المكتشفة هنا وهناك بين الحين والآخر لمواطنين من قبيلتي المانو والغيو، وأحياناً تكون قد بترت بعض أعضائهم. وفي كل مرة كانت أصابع الاتهام تشير إلى جيش الرئيس دو وأفراد قبيلته.

ولإنهاء هذه الأوضاع كانت كل الآمال معلقة على تنحّي الرئيس دو، ومغادرته البلاد على متن طوافة أميركية. العرض الذي طالما تقدمت به أميركا، أو على نجاح المفاوضات التي نشطت مؤخراً بين طرفي النزاع في عاصمة سيراليون (فريتاون).

بين الفترة والفترة كانت تصدر بعض البيانات من السفارة الأميركية تحث مواطنيها على مغادرة البلاد، أو ترشدهم إلى الاحتياطات اللازمة بحال اضطرار بعضهم للبقاء. وفي هذا المنحى خطت كل السفارات الخطوة الأميركية.

أما السفارة اللبنانية التي تمثل أكبر الجاليات الأجنبية وأوسعها انتشاراً على الأراضي الليبيرية، فقد نسقت مع أعضاء الجامعة الثقافية اللبنانية، وتم شراء أجهزة اتصال لاسلكي وبيعها لمن يرغب من اللبنانيين، لإبقاء الاتصال قائماً بين أعضاء الجالية والسفارة. حصل هذا دون الأخذ بعين الاعتبار أمرين مهمين:

- لم يكن توزيع الأجهزة أو بيعها، توزيعاً جغرافياً صحيحاً حيث

في منطقة سكنية واحدة خمسة أجهزة، بينما فقدت تماماً في مناطق أخرى.

– معظم الذين حازوا على الأجهزة كانوا أول الراحلين عندما اشتد الوطيس وسمحت لهم الفرصة بذلك.

أما منفذية ليبيريا في الحزب السوري القومي الاجتماعي فاعتمدت أسلوب الزُمر بما يتناسب مع الوضع الجغرافي للرفقاء. وحددت أماكن التجمع بحال الضرورة آخذة بعين الاعتبار تأمين الاحتياطي من المؤن. كانت كل هذه الحسابات مبنية على توقعات تدخّل خارجي ما، يمنع حصول الكارثة أو الانهيار أو حتى وصول الحرب إلى منروفيا، أو أن يكون هناك حسم عسكري سريع لأحد أطراف النزاع. لذلك كان ما خططنا له من أساليب وقائية، وما ادخرناه من مؤن لا يكفي لأكثر من أسبوعين في أقصى حال.

أما على صعيد الجالية فارتأى الجميع ترحيل من ليس لبقائه ضرورة. فرحلت معظم العائلات من نساء وأطفال ولم يبق إلا القليل من الرجال والشباب تبعاً لظروفهم الخاصة.

وهكذا انخفض عدد أبناء الجالية اللبنانية من حوالي السبعة آلاف إلى ما يقارب الثمانمئة شخص.

شخصياً، آثرت البقاء إذ داهمتني الحرب وأنا في وضع مادي لا أحسد عليه، بعد أن وقعت ضحية إشاعة أفادت بأن مواطني ي.ن من قضاء عكار هو رجل (آدمي) فأسلفته الثقة كما يليق بالأوادم، ودخلت معه في مشروع عمل. وقبل أن أتأكد من صحة تلك الإشاعة كنت قد أعطيته ما فوقي وتحتي، وخسرت في أقل من عام ما جنيته في عشرين عاماً.

قبل هذا الحدث كانت أعصابي تضطرب وتتوتركلما سمعت رنين

الجرس لأسباب سأقصها عليك في ما بعد. أما اليوم فقد نشأت لديّ حساسية ثانية إذ تتنبه أعصابي وتأخذ موقف الحذر كلما سمعت كلمة (آدمي).

نعم لقد آثرت البقاء ورصيدي بضاعة أنا مديون بثمنها، علماً أني كنت مقتنعا بأن وجودي غير محميّ إن حمي الوطيس، لكني بقيت على قاعدة...ودافع ما استطعت لها دفاعاً.

منذ ما سمي بالاجتياح الذي بدأ في 24 ديسمبر 1989 والمعارضة تقوى يوماً بعد يوم، فمع تقدمها العسكري في الشمال، دبت النخوة في المعارضة السياسية في منروفيا فنظمت مظاهرة في 28 حزيران 1990 تطالب بسقوط الرئيس دو، على غير عادة، لأن معظم مظاهرات شعوب العالم الثالث تقام تأييداً للرئيس وليس ضده .

أما نحن (رجال الأعمال) فتعودنا في الآونة الأخيرة، وفي ظل الأوضاع الأمنية المتوترة إقفال محلاتنا التجارية كلما تشاجر اثنان، أو انفجرت عجلة سيارة أو سمعنا إشاعة عن هجوم وهمي اختلقتها زمرة من اللصوص طمعاً في إحداث فوضى يستفيدون منها.

أما هذه المرة فلم تكن حالة الذعر نتيجة إشاعة وهمية، بل بسبب إطلاق النار لإرهاب المتظاهرين كلما اقتربوا من ثكنة الجيش القريبة من القصر الجمهوري. فتوهّم الناس أن هجوماً قد حصل، فبدأت الشوارع تخلو من البشر والمحلات تقفل أبوابها والناس تركض في كل الاتجاهات. حتى بائعو الكشة الذين لا يملكون شيئاً غيرها، تخلوا عمّا لم يستطيعوا حمله، فكان من نصيب من لا حمل له. السيارات تسير بسرعة جنونية والقليل منها لم يصطدم بحائط أو بسيارة أخرى، تمتع حينها كل السائقين بروح رياضية عالية، إذ لم يشتم أحدهم الآخر ولم يطالبه بعطل وضرر.

لم تكن سوى دقائق حتى خلت الشوارع من كل حركة، ما عدا بعض أفراد الجيش الذين بدأوا يظهرون في كل مكان. بعضهم يسير ببطء وبعضهم مهرول، وكلهم يطلقون النار كما يحلو لهم.

كنا سبعة رفقاء، تجمعنا على شرفة شقة يقطنها الرفيق رائف عياد، تقع في مبنى عال على شارع فرونتستريت .(Front street) كنت ومنذ إطلاق الرصاصة الأولى وأنا أفكر في كيفية العودة إلى شقتي الواقعة على بعد سبعة أميال في الطرف الآخر للمدينة. لا أدري لماذا يشعر الإنسان بالطمأنينة والأمان في بيته أكثر من أي مكان سواه، خاصة في مثل هذا الظرف حيث بات الرعب يحبس أنفاس المدينة.

بكلمات مقتضبه ومستعجلة ودَّعت رفقائي وخرجت دون أن أعير نصائحهم بالبقاء الاهتمام اللازم. تعمدت أن أسلك الطرق الفرعية تحاشياً لعناصر الجيش وخوفاً من مصادرة السيارة، كعادتهم في مثل هذه الظروف - نيسان 1980 ونوفمبر 1985 - وكانت السيارة ملك الرفيق جورج فزع الذي ذهب لزيارة شقيقه في منطقة بونغ ماين (BONG MINE) وتعثَّرت عليه العودة بعد أن دخلها الثوار. وما إن بلغت جسر جونسون بريدج حتى أوقفتني جريدة من الجيش وطلبوا مني نقلهم إلى المرفأ، فقبلت بحماس ظاهر إذ لم يكن بوسعي غير ذلك. فنقلت ما لا يقل عن أحد عشر نفراً بين من كان راكباً أومتعلقاً بكامل عتادهم وعدتهم. وعند بلوغنا مدخل المرفأ ترجل بعضهم وتابع البعض الآخر معي حتى وصلت إلى شقتي عند المدخل الخلفي للمرفأ، فشكروني شكراً جزيلاً ثم طلبوا مني تسليمهم مفاتيح السيارة لأنهم في مهمة رسمية تتطلب وجود سيارة. وطبعاً، رفضي يعني تعاملي مع المتمردين...وبعد أخذ وردّ تفضلوا بقبول ما في جيبي، وهكذا "زمطت" سيارة الرفيق جورج.

لم يكن أمر هذا النهار أكثر من مظاهرة نظَّمتها المعارضة وفرَّقها الرصاص. لكنها نجحت في إقفال المدينة وخلق حالة ذعر عامة لم تشهدها العاصمة منذ 24 ديسمبر 1989.

* * *

شيئاً فشيئاً بدأت الطمأنينة تعود إلى العاصمة، إذ فتحت بعض المحلات أبوابها ونشطت حركة السير وبقي الحذر سيد الموقف حتى صباح الإثنين الثاني من تموز 1990 ، حين ذعر الناس فراحوا يركضون في مختلف الاتجاهات، وعادت السيارات تتناطح على أفضلية الهروب. كنت في طريقي إلى المكتب فسألت من صادفت على مقربة مني عما يجري؟ الأغلبية أجابت ب لا أعرف والبعض قال إن هناك هجوماً للمتمردين. فقفلت راجعاً ولزمت بيتي من جديد. كذلك أقفلت المحلات التجارية والمصارف، أما وزارات الدولة فكانت أصلاً مقفلة منذ أسابيع "غير رسمي" إذ إن غالبية المسؤولين من وزراء ومدراء كانوا قد تركوا البلد بحجة العلاج في الخارج.

في هذه المرة انتشرت حواجز الجيش بشكل عشوائي في كل أحياء المدينة، لم يكن لهذه الحواجز مبرراتها الأمنية بقدر ما كانت لابتزاز المواطنين والأجانب على حد سواء .

كانت الأخبار صحيحة هذه المرة، حيث تقدمت قوات المتمردين إلى ما قبل إذاعة (ELWA) التي تبعد حوالي عشرة أميال جنوب شرقي منروفيا على طريق المطار الدولي. فتجمعت قوات تابعة للجيش على بعد ثلاثة أميال من المتمردين، وأخذت تطلق نيرانها في الهواء من أسلحتها الرشاشة كافة، قد لا نجد تفسيراً مقنعاً لإطلاق النيران في الهواء، فعزونا الحكمة من هذا التصرف للأسباب التالية:

1- التخلص من الذخيرة التي بحوزتهم للتهرب من المواجهة.

2- لإخافة العدو من كثافة النيران، لعله يتراجع أو يهرب.

3- بدافع الخوف خاصة أنهم يطلقونها خلال الليل.

من سوء حظ الحكم الذي كان عسكرياً بزعامة دو، ثم أصبح مدنياً برئاسة دو أيضاً، الذي لم ينظم جيشه ولم يحسن تدريبه، لذلك لم يكن جيشاً منضبطاً وبالتأكيد لم يكن وطنياً، بل كان كيدياً بكل صفوفه ورتبه. واستعماله ضد المتمردين أساء إلى الحكم بقدر ما أفاد المتمردين. عندما أرسل الرئيس دو جيشه بقيادة الجنرال سميث (SMITH)، إلى محافظة نمبا للقضاء على التمرد في مهده. فما كان من أمر هذه الحملة إلا إطلاق النار على كل من افترضوه متمرداً، فأهدروا حياة مئات الأبرياء من المدنيين، بحجة أن المتمردين يرتدون ثياباً مدنية. وأوقف المزارعون عن عملهم لأن وجودهم في مزارعهم النائية سيعرضهم للقتل، فالمتمردون يتغلغلون في الغابات والمزارع. كما أنهم نهبوا البيوت بحجة التفتيش عن متمردين، وأكلوا ما طاب لهم من الأغنام والماعز والدجاج. لقد كان الدافع القبلي هو المحرك الأساسي وراء هذا العبث الذي مارسه جيش الرئيس دو. وهذا كان من أهم العوامل التي جيّشت كل أهالي المنطقة ضد الرئيس وجيشه.

حتى بعد ما سحب الجنرال سميث وعيّن مكانه الجنرال جولو، الذي كان أفضل من سلفه. لم يستطع تحقيق انتصارات مهمة لأن الأمر كان قد استفحل.

والجدير ذكره أن أحد أهم العوامل الذي ساهم في إحباط معنويات الجيش كانت إذاعة ال BBC . عن قصد أو غير قصد لم تكن معلوماتها دقيقة، بل كانت منحازة بصورة واضحة إلى جانب المتمردين. مما حدا

ببعض المراقبين المحليين إلى القول إن ال BBC قد حاربت نصف معارك شارلز تايلور. وبدوري أستطيع أن أؤكد الأمور التالية:

1- إنها كانت تذيع خبر سقوط موقع ما قبل سقوطه بعدة أيام، مما كان يؤدي إلى إحباط معنويات الجيش وأنصاره من ناحية، وإلى رفع معنويات المتمردين وأنصارهم من ناحية أخرى.

2- كانت تقوم بتغطية كاملة لأخبار فريق شارلز تايلور، يواجهه تعتيم كامل على أخبار الحكم.

3- الأسلوب التحريضي ضد الحكم في إذاعة أخبار الأزمة الليبيرية.

ها قد مر أسبوعان والحالة ذاتها، المحلات مقفلة، وكل مرافئ المدينة، والاجتماعات بين الطرفين المتنازعين مستمرة في فريتاون ولكن دون جدوى. والأميركان ما زالوا مستعدين لنقل الرئيس دو وعائلته إلى خارج البلاد، والرئيس ما انفك يرفض عرض الأميركان ويتهمهم بدعم المتمردين. وإشاعات تلعب بأعصاب العباد، أسوأها خبر أذاعته ال BBC عندما راحت المعلقة تشرح بطريقتها السندبادية منظر الكلاب التي تنهش جثثاً هنا وهناك، فتوحي للمستمع بأن منروفيا أصبحت كلها جثثاً وكلاباً مفترسة.

❋ ❋ ❋

في هذه الفترة انقطعت المياه والكهرباء، فحمدنا الله وشكرناه إذ كنا في فصل الشتاء. وهكذا بدأ كل من في منروفيا يعيش تجربة جديدة. فأنا، تحولت اهتماماتي من الصراع نحو الأفضل إلى الصراع من أجل البقاء. كنت في ما مضى أستيقظ صباحاً بدافع العمل، فأذهب إلى مكتبي وفي ذهني تجول عشرات المشاريع التي من شأنها

تحسين وضع عائلتي في حال نجاحها، إلى امتلاك بيت أفضل، وتأمين أفضل المدارس لأولادي. من دون أن أنسى حزبي وهموم الوطن و توقي الدائم لعمل عظيم يعيد لأمتي عزها وكرامتها... الخ

أما اليوم فإني أستيقظ صباحاً لأتفقد ما وضعته خارجاً من براميل وأواني، آملا بأن يكون المطر قد ملأها. لم يكن في هذا الشعور ما يثني عزيمتي أو يحبط معنوياتي، بل كنت فخوراً إذ وجدتني قادراً على التكيُّف مع هذه الأوضاع، شأني بذلك شأن كل الذين عاشوا تلك الفترة وتكيُّف كل منهم على طريقته، إكتشفت أن للإنسان قدرات رائعة يملكها ولكنه يجهلها.

خرجت من البيت لأول مرة منذ أسبوع، إذ أصبح من الحكمة أن يتجنب أحدنا الخروج غير الضروري. قاصداً سفارتي سيراليون وألمانيا الواقعتين في الطرف الآخر من المدينة كونغو تاون (CONGO TOWN) على بعد ميلين من مواقع المتمردين. فإذ بالمنطقة خالية كلياً من السكان، فلم أجد من كنت أبحث عنهم. طبعاً كنت في تجوالي هذا بصحبة جندي اصطحبته من حاجز يقع بالقرب من شقتي على مفرق جاميكا رود JAMAICA ROAD، لا لشيء إلا ليحميني من تجاوزات زملائه الجنود، دون أن يعفيني ذلك من دولار أو دولارين أدفعها على كل حاجز. على بعض الطرق الفرعية أكثر من خمسة عشر حاجزاً لا يبعد أحدها عن الآخر أكثر من عشرين متراً، وذلك بعد أن حولوا السير إليها لإرغام الناس على سلوكها. في الطريق كنت أترقب ما أستطيع شراءه من الطعام، أضيفه إلى ما تبقى من مؤونة دخل النقص إليها قبل أن تدخل الحرب فعلياً إلينا. علماً بأن أكثر المواد الغذائية قد فقدت في السوق قبل أن تبدأ الحرب. طبعاً هذا يعود لكون ليبيريا دولة مستوردة لكل المواد الغذائية باستثناء بعض الخضر والفاكهة المحلية وزيت البالم PALM OIL. "لا بد من الإشارة هنا إلى

أن أهم موارد ليبيريا الاقتصادية هو إنتاج المطاط الخام، حيث تعتبر أول دولة في العالم لإنتاج هذه المادة وتصديرها. صاحبة الامتياز في الإنتاج والتصدير هي شركة (FIRESTONE) الأميركية.

ويأتي استخراج الحديد الخام وتصديره في المرتبة الثانية، حيث تعتبر ليبيريا ثاني دولة في العالم لتصدير هذه المادة. صاحبة الامتياز شركة سويدية/ أميركية . (LAMCO).

كما تعتبر ليبيريا من الدول المهمة بإنتاج وتصدير الأخشاب والبُن والكاكاو. وتملك أكبر أسطول بواخر تجارية في العالم، نسبة إلى عدد البواخر التي ترفع العلم الليبيري بسبب خفض الضرائب الليبيرية على هذه البواخر.

مع كثرة هذه الموارد تعتمد ليبيريا كثيراً على المساعدات الخارجية، وبالأخص الأميركية منها. وهي دائمة المعاناة من أزمات اقتصادية خانقة.

إن بادرة الاستثمار شبه معدومة عند الليبيري، ويفضِّل دائما الدخل الثابت مهما كان محدوداً، لذا نراه يتجه نحو الوظيفة، وأفضلها لديه وظيفة الدولة. لهذا نرى أن موظفي الدولة يشكلون النسبة العليا من مجموع اليد العاملة. أما النسبة المتبقية فتتوزعها الشركات والمؤسسات الأجنبية."

المعلبات هي ما نحتاج إليها بشكل عام، والمعلبات بشكل عام هي خارج قاموس طعامي، وجهلي بكل ما يترافق مع الحرب الأهلية كان معظم ما ادخرته من أطعمة كناية عن تشكيلة مجلّدات، كادت أن تفسد في أولى أيام الحرب بسبب انقطاع التيار الكهربائي، فالتهمتها في يوم وليلة بمساعدة الجيران.

تسنَّى لي خلال هذه الفترة التعرف إلى مواطنين لي كنت أجهل أنهم

في جيرتي. لأن تجوالنا اقتصر على دائرة مغلقة حول البيت. كذلك تعمقت معرفتي بآخرين كانت علاقتي بهم مقتصرة على التحية.

كنت مقيماً في شقة منفردة بجوار مبنى يضم أربع شقق أخرى، تجمعنا تصوينة واحدة ومالك واحد. شقة واحدة كانت شاغرة بعدما أخلتها عائلة هندية، أنهت أعمالها ورحلت عن ليبيريا، أما الشقق الثلاث الباقية فكان يسكنها كل من السيد نرش (NARESH) هندي يحمل الجنسية البريطانية وهو صاحب المبنى. والسيد سامي الجمل وهو لبناني يملك باخرة لصيد الأسماك. والسيد أنطوان بهلول وهو أيضا لبناني ويعمل موظفاً في شركة لبنانية. وفي ذات المبنى محل لبيع البقالة ومعمل لإنتاج النبيذ ومستودعان، يستثمرها كلَها السيد نرش الذي يطلق على أعماله اسم "أنترا (رحمات الله على يوسف بيدس).

أقيم في هذا المجمع (أنترا) منذ سنتين، وهو يقع في شارع الأمم المتحدة (UN DRIVE) في منطقة بوشرود أيلند (BUSHROD ISLAND) قرب مفرق جامايكا رود. في أثناء إقامتي الشبه جبرية هذه بت مدمناً على بعض العاب التسلية كالمونوبولي والسكرابل..الخ من ألعاب لم يكن لي رغبة فيها في الأيام العادية.

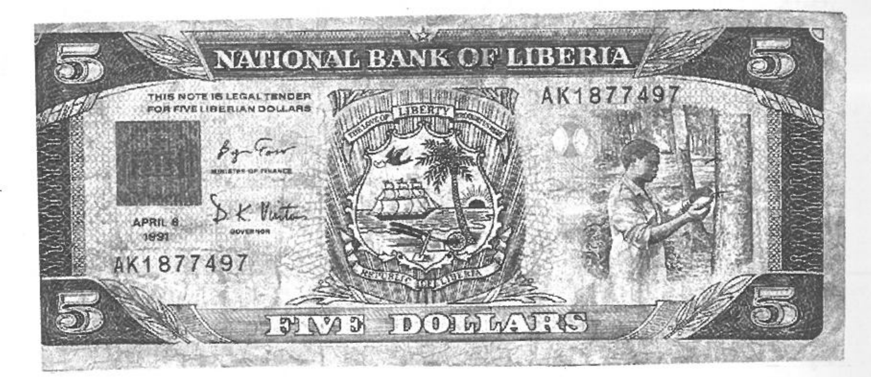
ومما اعتدنا عليه أيضاً، منظر جثث من قتلوا بدافع الثأر الشخصي أو القبلي أو بواسطة جندي ثمل أو جندي خائف. وكذلك صوت الرصاص يطلقه جنود لا رادع ولا ضابط لهم، خاصة في أثناء الليل حين تنشط عملية خلع المحلات والمستودعات، فلا يبقى في الشارع ليلاً سوى اللصوص...والجنود، إذ لا يجرؤ أحد غيرهم على الخروج ليلاً. وفي الصباح تلحظ آثار الرصاص إما على الأقفال المكسورة أو الجدران المثقوبة.

لذلك اضطررنا نحن أهالي مجمع أنترا، أن نتفق مع المسؤول

العسكري للحاجز الذي على مقربة منا، على تأمين حماية ليلية مقابل ثلاثين دولاراً للّيلة الواحدة. فيمر هذا المسؤول أو أحد عناصره عدة مرات في الليلة ويطلق بضع رشقات نارية في الهواء. فيفيدنا بأنه يقوم بالتزامه معنا كما يفيد زملاءه بأن المكان خاضع لحمايته. طبعاً، كان لدينا حرّاس مدنيون، لكنهم بدون جدوى في مثل هذه الأيام.

لحسن الحظ بقيت أكثر خطوط الهاتف صالحة للاستعمال، فكان الاتصال مستمراً بيني وبين الرفقاء علي حمزة، سامي حرب، مفيدة صعب، رائف عياد وسليم عزالدين. نتناقل الأخبار والمعلومات حول الوضع الراهن والكثير الكثير من تحليلاتنا الشخصية.

بورصة منروفيا



افتتحت بورصة الخبز يوم الثلاثاء 16 تموز 1990 بدولار وربع للقمة الواحدة، حيث وصل إلى دولارين ونصف الدولار ثمن الرغيف الذي يساوي لقمتين فقط. وليته كان خبزاً بمعناه الصحيح، فالرغيف عبارة عن ملعقة من الطحين ورشة سكّر وثلاث نقاط من الزيت. وبعد عجنها ترمى في قعر برميل، يحترق تحته دولاب من الكاوتشوك.

أما بورصة الفحم فقد وصل إلى 25 دولاراً سعر الكيس الواحد

في منطقتنا، أما في منطقة ممبا بوينت فقد دفعت الرفيقة مفيدة صعب 50 دولاراً للكيس الواحد.

الرز وهو الغذاء الرئيسي لكافة شعوب أفريقيا، قد ارتفع سعر القيراط منه بشكل خيالي إذ كان يباع بالحبة.

أما الذهب فكان من الصعب تحديد سعره، لأن الأونصة منه كانت تقايض بعلبة لحمة أو علبة سردين.

إنها الحرب

في حوالي الساعة الواحدة ظهراً نهار الخميس الواقع في 19 تموز 1990 عاد من فريتاون السيدان نرش وسامي الجمل، بعد زيارة دامت أربعة أيام، وما إن ترجلا من التاكسي التي أقلتهما من المطار حتى علا صياحهما يطلبان المساعدة على تفريغ حمولتها. هرعت لنجدتهما واستطلاع الأمر، فشهقت حين رأيت "جلالته" ممدداً في صندوق التاكسي برفقة عدد من أولاده. أمعنت النظر للتأكد..نعم إنه كيس طحين من الحجم الكبير(50 كلغ) وبجانبه كرتونة خبز حملها أحدهم بينما تعاون آخران على حمل الكيس، الذي كاد يلامس الأرض لو لم يعل صراخي منبهاً ومحذراً. ولسبب لا يخفى على أحد صرت أبلع كلماتي بلعاً، حيث بات لكل كلمة نكهتها الخاصة، فهذه لمناقيش الصعتر أو فطائر الجبن والسبانخ، وتلك للّحم بعجين أو الخبز مع الزيتون. لقد استعرضت في تلك اللحظات سفناً من هذه المآكل وليس فقط "شخاتير" كما يدعون بعض الصحون .

وما إن انتهينا من تفريغ حمولة الباخرة-عفواً-التاكسي حتى تشرفت بحضورهما للغداء عندي. وقبل أن ينهيا سرد أخبار رحلتهما وصلتنا معلومات تفيد بأن المتمردين دخلوا المدينة وأصبحوا في شركة

الكهرباء، وهذه تبعد ميلاً واحداً عن مجمع أنترا. ولكثرة الإشاعات في ذلك الوقت لم نصدق الخبر، خاصة أننا لم نسمع كثافة نيران تدل على وقوع معركة أو قتال بالقرب منا. لم تكن سوى لحظات حتى خلا الشارع من كل ما يسير على اثنتين.. أو أربعة... (السيارات).

أمضيت طوال ما بعد الظهر من ذلك النهار أرد على الهاتف، أطمئن هذا وأحلل لذاك وأستمع إلى إرشادات ونصائح ذلك. اتسعت دائرة اتصالاتي الهاتفية لتشمل الكثير من اللبنانيين الذين لم أكن على معرفة سابقة بهم، لم يعد هذا بذي أهمية، المهم بات الأمر مجرد تبادل للمعلومات والتحليلات والتطمينات والتعليلات والتخمينات.

في الثامنة مساءً كنت على الهاتف مع السيد سهيل أبو النصر يسألني عما يحصل في منطقتنا بعد أن تسربت أخبار إلى وسط العاصمة تفيد بأن المتمردين أصبحوا بالقرب منا. ويسألني عن سبب هذا الهدوء الذي أرعب المدينة، بعد أن تعودنا سماع أصوات الرصاص تلعلع ليلاً، فتؤنسنا وتطرد الوحشة من نفوسنا لأنها تعلن أن في الجوار أناساً مثلنا. ما الذي جرى لهم في ظلمة هذه الليلة؟ لماذا لا يأتون بحركة أو ضجيج يخرق صمت الليل؟ ما الذي جرى لسهيل يكلمني على الهاتف همساً أكاد لا أسمعه؟ كيف جرني لوشوشته بالمقابل؟ وفجأة دخل على الخط طرف ثالث، عرفنا من لكنته أنه ليبيري، قال: إن الجنرال جولو يود التكلم معك ! فأجبته إن في الأمر تقاطع خطوط؛ فقال إن الأمر ليس كذلك لأن الجنرال يريد التكلم معك شخصياً (كنت على معرفة جيدة بالجنرال جولو لأسباب سأذكرها في ما بعد) وفعلاً أخذ السماعة شخص آخر وبصوت الجنرال قال: أريد مقابلتك وإني أنتظرك خارجاً في سيارة زرقاء! سألته أن يذكر اسمي أو عنواني إن كان فعلاً هو الجنرال جولو، فقال: إني أنتظرك في الخارج وأقفل الخط. رحت بعدها

أفتش عن سهيل بين تقاطع خطوط الهاتف فلم أعثر له على أثر.

سهرت بقيّة المساء أستعرض وأعيد استعراض قصتي مع الجنرال جولو، هذا الذي أصبح منذ أسبوع أو أكثر لغزاً محلياً تتناقله الألسن، حيث قيل عنه إنه هرب عن طريق سيراليون، وقيل أيضاً إنه ذهب لشراء أسلحة، أوإنه قتل، أو ما زال في القصر وإنه سيحل محل الرئيس دو إذا ما قبل هذا الأخير بالاقتراح الأميركي، أو ربما سيقود انقلاباً سلمياً ضد الرئيس... الخ.

مع الجنرال جولو

اسمه يخيف لكثرة ما سمع عن بطشه، يقع مكتبه في الطابق الأول من مبنى القصر الجمهوري.وهو أعلى مسؤولي جهاز الأمن الرئاسي.

اتصل بي هاتفياً في أحد أيام آذار من سنة 1987، من دون سابق موعد أو معرفة. طلب إلي الحضور إلى مكتبه في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، وكان في لهجته ما يخفي وعيداً بعظائم الأمور إن تخلفت عن الحضور، ولما سألته إن كان ممكناً معرفة السبب فأجاب: من أجل أمور لا تناقش على الهاتف وأقفل الخط. تسمرت في مقعدي أستعرض ما يمكن أن يكون قد حصل معي في الأيام الأخيرة ما يستوجب استدعائي بهذا الشكل، فلم أصل إلى شيء. اتصلت بحضرة المنفذ العام الرفيق أحمد عز الدين أعلمه بشأن المخابرة.

فنصحني أن أفتش عن الرفيق عزام سبيتي وهو مقيم في نمبا حيث مارس الجنرال جولو مسؤوليات أمنية هناك. وكان الرفيق عزام قد وصل لتوّه إلى منروفيا.

في خلال نصف ساعة وصل الرفيق عزام إلى مكتبي. فسألته إن

كان يعرف الجنرال جولو، فقال أعرفه جيداً، أخبرته بشأن ما حصل، فبادر إلى الاتصال هاتفياً بالجنرال فلم يجده في مكتبه، ثم غادر مكتبي للبحث عنه، ساعات قليلة وعاد الرفيق عزام ليقول إنه وجده، فقلت مستفسراً: خير إن شاء الله. فأجاب: إن شاء الله خير..وسكت. مرت لحظات وهو صامت يحرك شفتيه من دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة. عرفت في قرارة نفسي بأن المسألة (عويصة)، لا شك أن الرفيق عزام يفتش عن الكلمات المناسبة، وحركة شفتيه تقول إنه صاغها لكنه يعيد صياغتها.

سألته أن يتكلم إن كان الأمر عظيماً، وأن يتكلم إن كان الأمر تافهاً، لأن صمته هو الذي يضايقني الآن وليست مخابرة الجنرال جولو. فقال: مع علاقتي الجيدة به وإلحاحي عليه، رفض أن يقول لي ما في الأمر وأصر أن أنتظر حتى الموعد المحدد لأنها مسألة تتعلق بأمن الدولة، هذا كل ما قاله الجنرال. ويا ليته لم يقل شيئاً لأن التهمة الموجهة "تخص أمن الدولة" وهل هناك ما هو أخطر من هذا؟

مرت لحظات عديدة ونحن غارقان في صمت عميق، أنا أستعرض ما في ذاكرتي عليّ أعثر على أمر يدل من قريب أو بعيد إلى ما له علاقة بأمن الدولة الليبيرية. والرفيق عزام يستحضر الأرواح كي تساعده على الاهتداء إلى أمر خطير يساوي وجود الرفيق مصطفى الشيخ علي، وبينما نحن كذلك دخل علينا بعض الرفقاء كعادتهم قبل موعد الإقفال، فتبعثرما في ذاكرتي وفرت أرواح الرفيق عزام. حدقت في وجوه الرفقاء وكأني رأيت في وجه كل منهم سراً يخفيه عني، إذ جلسوا صامتين على غير عادة..كأنهم في مأتم.

ما هي علاقتي بأمن الدولة الليبيرية؟ بقي هذا السؤال اللغز يطاردني معظم فترات الليل. فسهرت على مقارعته بالحجج والبراهين، إلى أن أقنعت نفسي بأنه لو كان الأمر بهذه الخطورة التي

أتصورها، لما اكتفى حضرة الجنرال باستدعائي هاتفياً بل كان أرسل الجند في طلبي، وعلى هذه القناعة غفوت طوال ما تبقى من الليل.

في صباح اليوم التالي، التقيت الرفيق عزام حيث كنا على موعد. وانطلقنا قاصدين الجنرال جولو في القصر الجمهوري، وفي الطريق أسدى إلي الرفيق عزام نصيحته الأخيرة، ألا وهي وجوب المحافظة على هدوء أعصابي، وأن لا أثير الجنرال تحت أي ظرف. كي يتسنى له حل الإشكال. سمعت ما قاله الرفيق عزام دون تعليق، لأني أردت ترك الأمور رهن ظروفها.

وصلنا إلى مكتب الجنرال بعد عدة محطات للتفتيش وجلسات للتحقيق. فإذا هو مكتب صغير يملأه رجل ضخم الجثة، عابس الوجه، عنتري النبرة. لم يكن هناك من داع للتعارف فهو ينتظر قدومنا، أومأ لنا بالجلوس، فجلسنا، وبعد سلام وكلام بينه وبين الرفيق عزام الذي أراده طويلاً بينما أراده الجنرال قصيراً. فتح الجنرال درجه وتناول منه بعض الأوراق، سحب ورقة من بينها وناولني إياها وسألني: أتعرف ما هذا؟ قلت نعم، هذه بطاقتي وعليها اسمي واسم شركتي وعنواني. قال حسناً وناولني ورقة ثانية وسألني... وهذه.؟ فإذ بها ورقة مكتوبة بخطي وعليها اسمي ورقم حسابي وعنوان البنك الذي أتعامل معه في نيويورك، فأجبته بصدق عن كل ما رأيت، فقال: ممتاز، قبل أن أريك بقية الأوراق قل لي ما هي علاقتك ب... روبرت (نسيت أسمه الأول). قلت إني لا أعرفَ من هو السيد...روبرت، ما كدت أنهي جملتي حتى تطاير في أرجاء الغرفة نصف ما كان على طاولة مكتبه، على أثر خبطة قوية من يدي الجنرال الذي وقف منتصباً وقصف في أذني: كيف لا تعرفه وتعطيه بطاقتك واسم وعنوان بنكك ورقم حسابك في الخارج. راح أثناءها الرفيق عزام يمرر لي بعض الكلمات بالعربية: لا تثره، لا تثره.

ماذا عساني أفعل حتى لا أثيره؟ هل أعترف بما لا أعرف؟

وبينما كان الجنرال يلتقط أنفاسه ويجمع ما تبعثر من حاجاته قلت له: سيادة الجنرال، أنت تريد الحقيقة وأنا لا أريد قول غيرها، كما أنه ليس لديَّ ما أرغب في إخفائه عنك، فلماذا لا تساعدني على ذلك وتقول لي من هو السيد روبرت، وما الذي يغيظك من كوني لا أعرفه؟ وما هي التهمة الموجهة ضدي حتى أستطيع الدفاع عن نفسي. أعتقد أنه كان لوقع كلامي عنده تأثير حسن. فناولني جواز سفر بعد أن فتحه على صورة صاحبه وقال: أتعرف هذا الرجل؟ نظرت إلى جواز السفر فقرأت اسم السيد ... روبرت. تعرفت على صورته حيث إني شاهدته مراراً من قبل، دون أن تكون بيننا أية علاقة أو معرفة، حتى إني أجهل اسمه. فماذا أقول للجنرال الذي ينتظر رداً مقنعاً؟.سيادة الجنرال، نعم لقد شاهدت هذا الوجه من قبل، ولكن لا تربطني به أية علاقة أو معرفة، فعادت العاصفة من جديد إذ برقت عيناه ورعد الكلام في فمه: أنت لا تقول الصدق، كيف لا تعرفه وأوراقك كانت في محفظته، وهي تحتوي معلومات لا تعطى لأي كان، فإمّا أن تعترف بالحقيقة أو بالإعدام رمياً بالرصاص، لدينا إثباتات تؤكد ضلوعك بالمؤامرة. فقلت له: يا سيادة الجنرال، لقد قلت كل ما أنا متأكد منه، كي لا أسيء إلى صحة التحقيق. وإذا قلت لي من هو هذا الروبرت لربما استطعت أن أشرح لك كيف حصل على هذه الأوراق، وأرجو أن تقول لي ما هي العلاقة المفترضة أن تكون بيني وبينه. فقال: إن السيد روبرت هو قائد المجموعة التي حاولت اغتيال الرئيس دو منذ يومين، ووجود هذه الأوراق (مشيراً إلى أوراقي) في حوزته عند اعتقاله، هو دليل على أنك تموّل تلك المحاولة، كما أن لدينا بقية الإثباتات على ذلك.

إذا كان لديكم الإثباتات على ذلك فلا داعي للتحقيق ، صرخت

بوجهه حيث شعرت بخطورة التهمة، وما هي الدوافع التي تعتقدها عندي يا سيادة الجنرال لأقدم على قتل الرئيس؟. وعاد الرفيق عزام يمرر، أضبط أعصابك، أضبط أعصابك.

فرد الجنرال: كونك رجل أعمال، فلا شك في أن الانقلابيين قد وعدوك بالمشاريع الضخمة التي تدر عليك مالاً كثيراً.

فأجبته على الفور: وما رأيك في أن أثبت لك بأني أخسر ملايين الدولارات إن حصل مكروه لسيادة الرئيس. ما إن أتممت جملتي هذه حتى رن هاتف مكتبه (وكان صوت جرسه من النوع الذي يثير أعصابي ويوترها). تناول السماعة وأصغى برهة ثم قال: الرئيس يطلب حضوري في الطابق الرابع، تركنا وانصرف.

وهذا ما أتاح لي وللرفيق عزام بالكلام حول الموضوع، فأخبرني بأن المدعو روبرت قد مات البارحة بعد أن قفز من الطابق السادس للقصربينما كان قيد التحقيق (أو هكذا قيل). ولم يعلن هذا الخبر بل بقي سراً من أسرار الحكم. طبعاً كنا قد سمعنا بهذه المحاولة، ولكن بالنسبة إلينا كانت مثل عشرات المحاولات التي نسمع عنها بين الحين والآخر، فلم تكن لهذه المحاولة أيَ أهمية. غير أن الجديد فيها هو أنها المرة الأولى التي توجه فيها تهمة من هذا النوع إلى لبناني. خلال فترة غياب الجنرال، تذكرت أني أعطيت المدعو روبرت البطاقة واسم وعنوان البنك الذي أتعامل معه في نيويورك، وتذكرت أيضاً حضوره إلى مكتبي. غير أني لم أتذكر السبب لكل ذلك. عاد الجنرال وعاد يهددني بالإعدام رمياً بالرصاص إن لم أعترف له. فقلت له: يا سيادة الجنرال إن كنت تفتش عن متهم فأنا بين يديك، وها أنت تملك أوراقاً تستطيع استعمالها كإثبات إن كنت تفتش عن ضحية، ولكني متأكد من أنك لا تريد هذا بل تريد أن تعرف الحقيقة، ومن أجل هذا أنت تعتمد الصدق بالتحقيق معي إذ لا يهمك مجرد متهم

أو مجرد ضحية. لذلك أطلب إليك إعطائي فرصة للمدافعة عن براءتي وإجلاء بعض الملابسات التي قد تساعدك في مجرى تحقيقك. شجعني إصغاؤه على المتابعة فاستطردت قائلاً: حضرتك تفترض أني موَّلت هذه الجماعة مقابل المشاريع الموعودة والملايين المنتظرة. هذا افتراض معقول لو لم يكن لديَّ ما يكفيني من الأعمال وأستطيع أن أثبت لك أن أي حركة انقلابية أو هزة سياسية ستكون ضد مصلحتي.

1- لديَّ وكالة خاصة لتحصيل مبلغ 11 مليون دولار لمصلحة شركة ألمانية تدعى (ABU) لقاء عمولة قيمتها 35٪. أي خلل أمني سيؤخر هذا التحصيل إن لم يلغه.

2- إني أمثل أكبر شركتين أميركيتين هما OXFORD INTERNATIONAL وROCKFORD FUNDING تمولان أكثر من 25٪ من قيمة البضائع التي تدخل إلى ليبيريا. وأي خلل أمني سينعكس سلباً عليّ وعلى زبائني في الداخل والخارج على حد سواء.

3- أنا أعاني من مشكلة تحويل الأموال المحصلة لمصلحة هذه الشركات من دولار ليبيري إلى دولار أميركي أو أي عملة صعبة أخرى. لذلك أقوم بشراء الذهب وتصديره إلى الخارج لتسديد الحسابات الخارجية.

4- إني قادر على إثبات كل ما أقوله، وبما أنك تملك اسم وعنوان البنك الذي أتعامل معه، باستطاعتي أن أحضر لك كل الملفات التابعة لهذا الحساب، وليس فيها أي تحويل من أو إلى المدعو روبرت.

لذلك أرجو من سيادة الجنرال عدم زج اسمي بمسألة كهذه، لأن الضرر سيكون كبيراً على الاقتصاد الليبيري إذا ما عرفت الشركات التي أمثل. كنت طوال فترة كلامي أراقب تعابير وجهه، وكنت أشعر

بارتياحه لما يسمع. فأخلى سبيلي لقاء ثلاثة شروط

1- أن لا أغادر البلد

2- أن أحضر فور استدعائي

3- أن أتذكر روبرت وسبب وجود الأوراق المذكورة معه.

وقبل مغادرتنا سألني إن كنت لا أزال أتعاطى شراء الذهب، فقلت نعم؛ فحمّلني كمية من الذهب كانت في مكتبه، على أن أفحصها واشتريها.

لا شك أن وجود الرفيق عزام قد ساعد كثيراً على إنهاء الموضوع. غير أن الجنرال كان مخلصاً في تحقيقه، صادقاً في استنتاجاته، والأهم من هذا كله كان نظيف الكف فلم يتقاض ثمناً لذلك كغالبية المحققين في مسائل أقل أهمية من هذه المسألة. تطورت صداقتنا بعد هذه الحادثة.

على الهامش

كان الجنرال جولو قد غادر البلاد مع بداية دخول الحرب إلى العاصمة، وعلمنا أنه قضى فترة طويلة في الولايات المتحدة الأميركية. إلا أنه عاد سراً في أيلول 1994 وقاد حركة انقلابية ضد جماعته من قبيلة الكراون والجيش الليبيري. احتل على أثرها القصر الجمهوري، غير أن قوات حفظ السلام ضربت حصاراً حوله وأحبطت محاولته ثم اختفى وغادر البلاد.

أما علاقتي بالسيد روبرت فكانت تعود إلى بضعة أشهر قبل هذه الحادثة، حين كان هذا الروبرت يتردد إلى مكتبي بعد أن أصبحت معروفاً في تجارة الذهب، قصدني الكثيرون ممن أصابتهم هذه الحمّى الصفراء (حُمّى الذهب). وكأي عالم جديد تدخله، تلتقي المحتالين في بدء الطريق، وغالباً ما تخطئ أو تصيب من دون أن تعرف

السبب، لذلك يجب أن تكون مهيَّأ نفسياً ومادياً قبل ولوج عالم تجهله.كنت في عالم الذهب عندما كان يزورني السيد روبرت. كل ما أذكره عنه أنه كان راجعاً لتوّه من الولايات المتحدة (تبين في ما بعد أنه خدم في الجيش الأميركي ويحمل رتبة عسكرية) ادّعى أنه يعمل لحساب شركة أميركية تستورد الذهب، وأنه سمع عني ويريد التعاطي معي بهذا الصدد. في المرة الأولى استقبلته على الرحب والسعة، وفي زيارته الثانية صنفته من فئة المحتالين، وفي الثالثة ضقت به ذرعاً وأردت التخلص منه فتناولت قلماً وورقة وكتبت عليها اسم وعنوان البنك الذي أتعامل معه في الولايات المتحدة، إذا كانت الشركة التي تعمل لحسابها جادة في ما تنقله إليَّ، فلتضع في هذا الحساب ثمن كمية الذهب التي تريد، ومن الآن لحينه طاب نهارك.

هكذا تخلصت من السيد روبرت لأعلق مع الجنرال جولو، الذي أخبرته في ما بعد القصة كما حصلت.



خريطة المحافظات الليبيرية.

لقد طالت سهرتي مع الجنرال جولو والسيد روبرت، دون أن يعكر صفاء الذاكرة شيء غير نسمة الهواء التي تدخل من النافذة بين الفينة والفينة، لتلاعب ضوء الشمعة التي تنير غرفتي في عتمة تلك الليلة الصامتة، فتتحرك أشباح أغراضي إذ يقصر بعضها أو يطول حسب انعكاس الضوء. ماذا جرى لمسؤول الحاجز العسكري الذي قربنا؟ لقد مر من الليل نصفه ولم يطلق طلقة واحدة! أسيأتي غداً يطالب بدولاراته الثلاثين؟ احتشدت في رأسي عشرات الأسئلة، التافه منها والجيد، وتجمعت معاناتي كلها، الملحُّ منها والمؤجل. هل أنجو من هذه الحرب؟ وبدأ تساقط القتلى. وإن أصبحت في عداد الضحايا، فأين سيدفنونني؟ وهل يتمهّلون بدفني ويؤبنونني ببعض الكلمات؟ أم يدفنونني على عجل يفرضه الوضع الأمني. ها أنا محمول على الأكف أراقب جموع المشيعين وأتفقد المتغيبين منهم. كيف سيعلم إخوتي بالوطن وقد طال غيابي عنهم، ومناخ علاقتنا بارد أحياناً وساخن أحياناً أخرى، لعنة الله على الغربة ودنيا الاغتراب. أما عائلتي المقيمة في بريطانيا، فمتى سيصلها الخبر؟ بعد يوم، أسبوع أو شهر والاتصال الخارجي بات مستحيلاً بعد أن قطع منذ أكثر من أسبوع. الحمد لله أني مؤمّن على حياتي لمثل هذه الأيام، ولكن بوليصة التأمين معي، هل تذكر زوجتي هذا التأمين، أعتقد أني أخبرتها به، ربما لا تتذكر شيئاً سواه، فالضائقة المادية التي وضعتهم فيها، قد يكون موتي أقرب الحلول لها.

بهذه الأثقال أويت إلى فراشي، غير مبال بكوابيس الليل، فالذي أحياه نهاراً هو أعظم بكثير.

في قلب المعركة

استيقظت في السادسة من صباح هذا اليوم الجمعة 20 تموزعلى غزارة نيران من مختلف أنواع الأسلحة، لا شك أنها معركة، فصوت

الرصاص الموجه ضد عدو هو غير ذلك الذي يطلق في الهواء، على الأقل (هكذا قال لي بعض خبراء الحرب ممن عايشوها في لبنان) فتفتحت وتنبهت كل حواسي قبل أن أرشف ما في ركوة الصباح من القهوة المرة. ونهضت على عجل فالهاتف يصرخ وعلى الباب قرع شديد، توجهت نحو الباب أفتحه فإذا بكل سكان انترا على درجي يطلبون اللجوء (شقتي تقع في الجهة الخلفية من أنترا مما جعلها أكثر أماناً). رحبت بهم وعدت إلى الهاتف، فإذ بحضرة المدير على الطرف الآخر ويريد معرفة ما يحصل في منطقتنا، فوعدته أن أتصل به فور معرفتي بما يحصل. غزارة نيران لم نسمع مثلها من قبل، لا شك أنها معركة حامية الوطيس تدور حولنا – مجمع أنترا – فانتابنا شعور بأننا المستهدفون، فالنيران تسمع من جهاتنا الأربع. انبطحنا أرضاً ووضعنا لائحة بالممنوعات، وكان أولها الوقوف وثانيها الجلوس، فقضينا الساعات الأولى من النهار منبطحين أرضاً، لم يتخللها سوى استراحة واحدة إذ توقف إطلاق النار حوالي نصف ساعة. كانت شقة السيد نرش تطل مباشرة على الشارع الرئيسي، فأطلقنا عليها اسم برج المراقبة، وبين الفترة والفترة كان كل من نرش وسامي يهرولان على رؤوس أصابعهما إلى برج المراقبة، فيسترقون النظر إلى الخارج من نوافذ أصابت معظمها طلقات نارية من العيار الكبير، ثم يعودان إلينا بأخبار يلزمها منجمون، بعد أن يضيفا إليها ما جاد به خصب خيالهما.

تأكدنا أنها معركة حقيقية لوجود جثث في الشارع. إذن لقد وصل المتمردون/ الثوار إلى ضواحي العاصمة الآهلة بالسكان. وإذا ما استتب لهم الأمر فكيف سيتعاملون معنا نحن الأجانب؟ سؤال قرأناه في وجوه بعضنا. لم تنته المعركة بعد، فنحن ما زلنا نسمع أصوات مختلف أنواع الأسلحة في عمق الشوارع الفرعية، مما جعلنا نعتقد أنها عملية تمشيط، لكننا لم نكن متأكدين لمصلحة من؟

بعد الظهر سمعنا أحدهم في الشارع وهو يكيل الشتائم ضد الرئيس وجيشه، فرد عليه آخر الكيل كيلين. وهكذا عرفنا أن الفريقين ما زالا موجودين حولنا، تبع هذه الشتائم غزارة من نيران الطرفين، استمرت حتى السابعة مساءً، ثم خيم الهدوء بعد أن حل الظلام.

من الجهة الأخرى للعاصمة أقفل المطار الصغير وهذا كان آخر منفذ للخارج، أو لدولة دو أو ما تبقى منها. أويت باكراً إلى الفراش بعد أن تناولت حبتين من الفاليوم، أعصابي كانت مرهقة، بعد طول نهار قضيت معظمه على الهاتف الذي تحول رنينه إلى طنين، رفقاء وأصدقاء بعضهم أراد الاطمئنان والبعض الآخر أراد أن يعرف الأخبار. أخلدت إلى النوم وأنا لا أعرف من الذي يسيطر على منطقتنا، وفي جمهورية من أصبحنا، أما زلنا في جمهورية دو، أم صرنا في جمهورية المتمردين/ الثوار؟.

بعد ليل هادئ، استيقظت في السادسة من صباح هذا اليوم السبت 21 تموز على إطلاق نيران المتقاتلين، ولكن على بعد أكثر من كلم باتجاه المدينة. مما يدل على أننا أصبحنا ضمن منطقة الثوار، وكذلك أصبح المرفأ كله. المعارك الآن تدور رحاها في الطرف الآخر من المرفأ، في منطقة كلارا تاون CLARA TOWN دبت بنا الجرأة بعد أن شجع أحدنا الآخر، فوقفنا على مدخل المجمع لناحية الشارع الذي كان خاوياً إلا من بعض الجثث هنا وهناك، حصيلة معركة البارحة. مر بنا ثلاثة مقاتلين يرتدون الثياب العسكرية، فظننا أنهم من الجيش لو لم ننتبه إلى أحذيتهم التي كانت منوعة الأشكال والألوان. ألقوا التحية، فرددنا بأحسن منها، نصحونا بإخلاء الشارع حفاظاً على حياتنا وأكملوا مسيرهم .

عدت إلى شقتي، لأجيب على الهاتف الذي كان يصرخ ويلعلع كصوت حضرة المدير، الذي كان يريد بياناً مفصلاً عن مجريات

الأحداث. حشريتنا - نحن جماعة مجمع أنترا - وحب الفضول دفعا بنا إلى الشارع من جديد، ننتظر مرور أحد الثوار لنتعارف ونستوضح بعض الأمور. كنا قد سمعنا عن انقسامات في صفوفهم، وأنهم يرتدون ثياباً مدنية وها نحن شاهدناهم في ملابس عسكرية. عرفنا في ما بعد أنهم جماعة برنس جونسون PRINCE JOHNSON، فتأكدنا من خبرية انفصاله عن شارلز تايلور والجبهة الوطنية الليبيرية، كذلك أدركنا أنهم يكنُّون كرهاً كبيراً لتايلور وجماعته يضاهي كرههم لدو وجماعته، ويدعون أنفسهم بالجبهة الوطنية الليبيرية المستقلة. تشاءمنا كثيراً من هذه المعلومات إذ إن كثرة الانقسامات تزيد في عدد الفئات المتحاربة، وهذا من شأنه الإطالة بعمر الأزمة.

ثلاثة أمور كانت لافتة للنظر بتصرفات هؤلاء الثوار أو المقاتلين من أجل الحرية كما يدعون أنفسهم أحياناً. الأمر الأول أنهم غير منتشرين في الشوارع، بل وجودهم ينحصر على الحواجز التي أقاموها، ولم تكن كثيرة. الأمر الثاني هو انضباطيتهم وعدم تحرشهم بأحد. والأمر الثالث هو إعدامهم الفوري لكل من ضبط وهو يسرق سواء كان عضواً في تنظيمهم أو مدنياً. إن هذه الأمور جعلتني أشعر وكأني أمام سلاح معقدن، كما أني لمست أمراً كنت أجهله في الشعب الليبيري، ففي هذه اللحظات التاريخية يثبت أنه جدير بحمل قضية، يقاتل ويستشهد في سبيلها دون أي مقابل شخصي.

أمور أخرى كانت لافتة للنظر أيضاً منها: تقهقر الجيش بسرعة مذهلة، مع العلم أنه لم يباغتهم عنصر المفاجأة، فمن المفترض أن يكونوا على أهبة الاستعداد منذ إطلاق الرصاصة الأولى في 24 ديسمبر 1989، بعض الأمور كانت توحي بالعجب والتساؤل من أقل الناس خبرة في الشؤون العسكرية، فالجيش لم يبن دفاعات ولم يقم المتاريس، ولم يستعمل كيس رمل واحداً .

كثيراً ما كان يهدد الرئيس دو ب 700 مقاتل قوي، كلهم من قبيلته (كراون)، يقال أنهم تلقوا تدريباً قاسياً في إسرائيل. يطلق عليهم اسم (SATU) المشتقّ من SPECIAL ANTI TERRORIST UNIT أين هؤلاء المقاتلون؟ متى وأين استعملهم؟ أو متى وأين سيستعملهم ويستفيد منهم؟ أسئلة ما زالت حتى كتابة هذه السطور دون إجابة.

مجموعة من الثوار الكوماندوس لا تتجاوز ال 150 عنصراً تلقوا تدريباتهم في ليبيا (كما سمعت من بعضهم) التحق بهم بعض الناقمين على الحكم فور دخولهم الأراضي الليبيرية. عملوا بأسلوب حرب العصابات -كمائن- إذ كانوا يتجنبون الصدام المباشر مع الجيش، الذي كانت ثكناته تنهار وتسقط لمجرد ان يتخطاها الثوار (دون أي مواجهة). حتى قيادة الجيش ذاتها كانت تعتبر كل ثكناتها ساقطة لمجرد أن يتخطاها الثوار. مما يدل على أن وسائل الاتصال كانت معدومة عند الجيش.

دخل برنس جونسون المدينة من الشوارع الرئيسية، وكأنه في نزهة، من دون أن تحصل أي معركة في عمق الأحياء أو الشوارع الفرعية.

في مساء اليوم هذا استعمل الجيش لأول مرة راجمة صواريخ، فأطلق باتجاه منطقتنا 6 صواريخ، سقط أكثرها حول مجمع أنترا، وبهذا اختبرنا نوعاً جديداً من الخوف، فالفرق كبير بين أن يخاف الواحد منا من رصاصة تخترق صدره أو بطنه، أو من صاروخ ينزل على رأسه أو سطح منزله فيدفن تحت الركام. كان لكل خوف نكهته.

بعد أن نسيت الديك وصياحه، صرت أستيقظ، وبنفس التوقيت على إطلاق الرصاص وكأنه جرس المنبّه. فهم لا يحاربون إلا على ضوء النهار، يبتدئون مع الفجر وينتهون مع المغيب. انتقلت المعارك

إلى منطقة فاي تاون VAI TOWN التي تقع على 3 أميال من مجمع أنترا باتجاه المدينة. حيث يتفرق منها جسران يقطعان نهر المونتسرادو MONTSERADO أحدهما يتجه جنوباً ويدعى JOHNSON BRIDGE بناه الرئيس تولبرت سنة 1978 وذلك قبيل اجتماع منظمة الوحدة الأفريقية عام 1979. والآخر يتجه غرباً وهو جسر قديم يربط منروفيا ب BUSHROD ISLAND حيث يقع المرفأ البحري. تطل على هذين الجسرين عدة أبنية مرتفعة في داخل المدينة. مما يفترض أن يجعل عبورهما – من الوجهة العسكرية- باهظ التضحيات، إن لم يكن انتحاراً. والجدير بالذكر أن منطقة BUSHROD ISLAND كانت مستنقعاً كبيراً، وما لم يستصلح منها، استعمله الثوار في عمليات التسلل والالتفاف.

كثرت عمليات الكر والفر بين الفريقين، على مسافة ميل واحد بالعمق، أي بين VAI TOWN وال CLARA TOWN. أربعة أيام مضت على هذه الحالة، عاشها سكان تلك المنطقة وكأنها أربع سنوات، تحوّل معظم اتصالاتنا الهاتفية إلى كل من الرفيق جميل عزالدين والسيدين طوني شرفان ومنير معطي، وذلك لوجودهم في المنطقة الساخنة، الأمر الذي خفف بعض الضغط عن هاتفي.

في كل ليلة، كان يمسّينا الرئيس دو ببضعة صواريخ وقذائف الهاون، لا فرق عنده أين تسقط، فمنطقة قاطع الجسر كما يسميها العامة، أو ال بوشرد أيلند كما هو اسمها، أو منطقتنا كما أصبحنا نسميها نحن (سكانها)، كلها معادية بالنسبة للرئيس وجماعته.

غالباً ما كنت ألجأ إلى الهاتف كلما ابتدأ القصف، فاتصل بالرفقاء رائف عياد وعزام سبيتي، فمن شرفة شقتهم المطلة على الجسرين وكل منطقة قاطع الجسر. كانوا يرون القذائف تنطلق من منطقتهم

التي ما زالت تحت سيطرة الجيش، فيستطيعون تحديد وجهتها، وبالتالي مكان سقوطها. كما كنت أسمع دويها على الهاتف مع تعليق أحدهم، أين ستسقط، وثم التأكد أين سقطت. وذات مرة كان مخبري الرفيق رائف، فقال: انطلقت، قلت: سمعتها، قال: ستسقط.. ستق.. ع.. عن.. عند.. فقلت له: وصلت..فأكمل كلمته..عندك، وفعلاً سقطت على بعد أمتار من شقتي. كانت الحكمة تقضي بأن ألجأ إلى مكان آمن، يقيني خطر القذائف، لكني وجدت متعة في متابعة حركة سقوط الصواريخ والقذائف. إذ شعرت بأني عثرت على أسرار لعبة الروليت الروسية.

في كل يوم كان ينقص عدد خطوط الهاتف العاملة، ويزداد عدد المتجمهرين أمام شقتي، ينتظرون دورهم في مخابرة أو مخابرتين إلى الأهل والأصدقاء في القاطع الآخر من المدينة، فيطمئنون ويطمئنون. من حسنات الحرب أنها ترفع الكلفة بين الناس، فلم أعد أشعر بحرج إن لم أقم بواجب الضيافة. والأفضل من هذا كله، أنها تلغي المجاملة..وهي أبغض الحلال عندي.

الفاي تاون منطقة معروفة بسوق الجملة ومستودعاتها الكبيرة، وكانت المنطقة الوحيدة التي شهدت معارك حقيقية، فالجيش قام بعدة هجمات عكسية، دون أن يحقق أي انتصار على الأرض، والثوار تراجعوا عدة مرات..لكنها كانت تراجعات تكتيكية مخلفة وراءها الكمائن.

استطاع الثوار عبور الجسرين ودخول المدينة، يوم الأربعاء 25 تموز. مما يزيد على تساؤلاتنا السابقة سؤالاً جديداً يبقى من دون إجابة، لماذا لم يتمركز الجيش في الأبنية العالية الكاشفة الجسرين كالمجهر. مساءً تراجع الثوار إلى فاي تاون، بعد أن بقي نصفهم في داخل المدينة.

أما نهار الخميس 26 تموز-ذكرى استقلال البلاد- فقد استولى الثوار

كلياً على الجسرين. كما أنهم بدأوا بالتغلغل والتوسع داخل المدينة. وبسقوط الجسرين، سقطت كل الإمكانيات برجوع الجيش إلى منطقة بوشرد أيلاند. فتأمن المرفأ ومستودعاته وكل محتوياته بيد برنس جونسون.

❊ ❊ ❊

بحيرتنا

من حسنات المناخ في ليبيريا وسائر دول أفريقيا الغربية، أننا لسنا بحاجة للتأقلم معه. ليس لدينا فصول نداريها ولا مواسم نراعيها أو نجاريها، فالله سبحانه لم يرد لأفريقيا الغربية كل هذه الجلبة. فصلان فقط يتقاسمان السنة، صيف جاف وشتاء غزير الأمطار (65") بوصة من الماء في سبعة أشهر، لا نضطر لاقتناء ثياب موسمية، فدرجة الحرارة تقريباً واحدة في كلتا الحالتين تتراوح بين (F.90-85) خلال هذه الحرب تبدلت نظرتنا إلى الكثير من الأمور، وكذلك تغير تعاطينا معها، فالمياه مثلاً..وبعد أن قطعت عنا منذ أسابيع، لم يعد توفرها مسألة أصابع تلامس حنفية في حائط. بل براميل وطناجر وأوعية وأواني مختلفة الأشكال والأحجام، نزرعها تحت المزاريب..استحدثنا معظمها..لنجمع مياه الشتاء، ثم نفرزها حسب نظافتها، هذه للشرب وتلك للغسيل.. وغيره. لم يكن غريباً في فصل الشتاء أن ينقضي أسبوع أو أسبوعان من دون مطر. الغريب أننا أصبحنا نتنبه لهذه المسألة، فحاجتنا للماء جعلتنا نراقب كل غيمة عابرة، فقدرتنا على تخزين الماء كانت محدودة لأننا لم نكن مهيأين بشكل جدّي لهذا الأمر. وإذا ما مر اليوم الخامس أو السادس بدون مطر، نجتمع نحن مجمع أنترا ونطرح موضوع حفر بئر ثم نتناساه كلما مرت غيمة ممطرة .

في الليلة الماضية اجتمعنا نحن سكان المجمع ورحنا نبتهل إلى

السماء.. طالبين مطراً، كل على طريقته الخاصة، مسيحيين، محمديين وبوذيين، وبعدها نمنا نوم المؤمنين. استيقظنا هذا الصباح (27 تموز) والمبنى كله عائم في بحيرة، كسفينة فقدت ربّانها. أما نحن ركابها المذعورين، فرحنا نتساءل عما حدث ويحدث. رأينا اليابسة تحيط بكل الأبنية المجاورة باستثناء مجمع أنترا. كدنا نصدق أن الله استجاب لابتهالاتنا فأنعم علينا دون سوانا وخصّنا بشتاء غزير الأمطار، لو لم نتنبه وللمرة الأولى أن مبنى أنترا منخفض عن كل ما حوله من مباني، ولغزارة المطر البارحة تجمعت المياه في منخفضنا بعمق أكثر بقليل من المتر. وهذا كان سبباً وجيهاً في انخفاض عدد المتهاتفين على هاتفي، إذ لم يرد معظمهم الاستحمام في بحيرتنا.

مع مرور النهار، كانت مياه بحيرتنا تتسرب وتنخفض، وما إن بلغنا الظهيرة حتى انخفضت المياه إلى نصف مستواها، فبانت سياراتنا من جديد.

كنت في جولة استطلاعية مرتدياً (المايوه) أتفقد الطناجر والبراميل العائمة. فإذا بأحدهم يصرخ من البوابة: هنا يقطن مستر آلي -أي علي- قلت: نعم.

قال: أأنت مستر آلي؟ قلت: نعم.

قال: أما زال هاتفك صالحاً؟ قلت: نعم.

فباشر إلى خلع حذائه.. و.. بنطلونه، أودعهما الحارس وراح يقترب مني. تساءلت في قرارة نفسي؛ من هو هذا الذي تحمل نبرات صوته طلباً، بل تحمل أمراً.. وماذا يريد؟ ومن قال له إن هاتفي ما زال صالحاً؟ ثم من أكد له أني سأسمح له باستعماله، وهو لم يكلف نفسه بحسن السؤال عما إذا كان باستطاعته استعماله أم لا؟

أين الهاتف؟ سألني وكأنني موظف في مزرعة أبيه. وهل عرَفتني

بحضرتك؟ قلتها وكأني أسأله عن سبب كل هذه العنجهية والتسلط.

لاري غرين (LARRY GREEN) أجابني مستغرباً جهلي، فكيف لم أتعرف عليه. يبدو أن الأمر مهم: قلتها ممازحاً قبل أن يجرني بأسلوبه الاستفزازي إلى ما لا تحمد عقباه في مثل هذا الوقت، الذي يعيد التاريخ إلى الوراء أو يدفعه مرة واحدة إلى الأمام. فأنا لا أحب أمثاله.

ليس لدي المزيد من الوقت لأضيعه: هكذا أجاب على ممازحتي.

قلت: تفَضل.. وصعدت به إلى الشقة، وأشرت إلى حيث الهاتف.. ورحت أفتش له عن منشفة.

أطلب لي هذه النمرة: قال لي وهو ينشف نصفه المبلل.

طلبت النمرة.. فإذ بالسفارة الأميركية على الطرف الآخر.

تناول السماعة وعرَّف عن نفسه بصفة المتحدث الرسمي باسم برنس جونسون، ولكي يحيط نفسه بأهمية أكبر، أردف أنه يعرف جيداً عضو مجلس الشيوخ الأميركي فلان الفلان (لم أحفظ اسمه)، كما أن هناك علاقة تربطه بفلان وفلان، يريد من المسؤول الأول بالسفارة (لغياب السفير) أن يتحدث إلى برنس جونسون، وهو يريد موعداً لذلك..وتحدد الموعد في الساعة الثانية بعد الظهر. ثم أعطى محدثه نمرة هاتفي وطلب إليه الاتصال به إن كان هناك من أمر ما ..وأقفل الخط. قلت: ولماذا أعطيت نمرة هاتفي؟

قال: ليس لدي من خيار قلت:

.. وأنا أما لدي من خيار؟

قال: لا.. سأحضر مع برنس جونسون إلى هنا في الساعة الثانية، وسأطلب منك إخلاء الشقة عند وصولنا. قلت: وإلى أين..؟

قال: فقط إلى الحديقة (البحيرة) حتى تتم المخابرة. قلت: وهل لي من خيار بهذا الشأن أيضاً؟

قال: لا.. وانصرف مجدِّفا من جديد. صرخت ؛ لماذا لا تأخذ برنس إلى أي مكان آخر، حتى لا يضطرلخلع ملابسه ويعبر هذه البحيرة.

قال: لو كان هناك من هاتف آخر لما أتيت إلى هنا..إلى اللقاء في الساعة الثانية.

طبعاً، كنت أخاف من أن أعرِّض نفسي وشقتي للخطر والشبهة..من يدري لربما عاد الجيش إلى منطقتنا؟ تملكتني حيرة لم أجدها بالسيدين نرش وسامي عندما أخبرتهما بما حصل، بل على العكس تماماً كانت الغبطة واضحة على محياهما.

أعتقد أن سبب حيرتي يعود لكوني إنساناً لا يطمئن إلى ما يفرض عليه، أو أن تسيِّرني أمور لست مشاركاً في قرارها. وسبب غبطتهما يعود إلى أنهما سيتعرفان إلى برنس جونسون شخصياً..وهذا شيء مثير ومهمَ!!!

ما إن دنت عقارب الساعة إلى الثانية حتى كان المقاتلون منتشرين في محيط مبنى أنترا من جهاته الأربع، وبعضهم أخذ مراكز لهم في داخل المبنى. لحظات فقط وبأسلوب أقرب إلى الاستعراض، وبنظامية رائعة كانت المنطقة في مأمن تام. أمور لم أعهدها بالشعب الليبيري من قبل.

كانت مياه بحيرتنا قد انخفضت بنسبة لم يضطر برنس إلى خلع بنطلونه.. لكنه لم يخلع حذاءه أيضاً، بل خاض الماء وكذلك فعل باقي الوفد المرافق له .

على درج شقتي كنت منتظراً لأرحِّب به، صافحني معرفاً بنفسه،

ففعلت مثله ورافقته إلى داخل الشقة، بينما بقي السيدان نرش وسامي ومعهما حوالي العشرين جاراً ممن دفعتهم الحشرية وحب الفضول إلى الحضور، بقوا جميعاً في الحديقة.

في شقتي، جلس من توفرت لهم المقاعد ووقف الباقي، طبعاً، طلب إليّ السيد لاري غرين إقفال جميع الغرف والانتظار في الخارج. ما إن استأذنتهم بالخروج حتى طلب إليّ تحضير بعض القهوة ولكن..بسرعة، كيف السبيل إلى السرعة ولم يكن لدينا كهرباء أو غاز أو حتى فحم، لجأت إلى أم الاختراع فأفرغت قنينة سبيرتو في وعاء وأشعلته حول وعاء آخر فيه ماء. كانت كل أحاسيسي البصرية والسمعية موجهة إلى برنس وما يدور في الصالون من كلام قد يضعني في حقيقة ما يجري، أخصها انفصاله عن جماعة شارلز تايلور، والمخابرة التي تلتها مخابرة من وإلى السفارة الأميركية. وكلام برنس مع مسؤول السفارة، وطلبه التدخل الأميركي لوقف الاقتتال وحقن الدماء، وبالتالي هو يؤيد ويساند ويدعم كل تحرك أميركي بهذا الشأن.

اكتشفت خلال الأحاديث أن المدعو لاري غرين هو حديث العهد بمعرفة برنس، وليس كما ألمح لي سابقاً بأنه المدبر والمخطط والمنفِّذ والمشرف والمتحدث باسم برنس.كنت حاضراً على كل الكلام الذي يدور في الصالون، غائباً عما تفعله يداي بتحضير القهوة في المطبخ، وبعد طول عناء قدمتها إلى برنس، فرفضها وسألني إن كان لدي بيرة، ومثله فعل الجميع. وبعد موافقة الجميع فتحت كرتونة بيرة فاترة (انتهت مدتها منذ ستة أشهر) كنت قد طلبت منها كمية من ألمانيا بهدف التجارة، شحنها لي الرفيق زياد فرحات..ولا أنسى كيف ذيَّل فاتورته ب"مشروب الهنا" باللغة العربية. وفعلاً اضطررت مع شلَّة من الأصدقاء لشرب معظمها.. لعدم رواجها. شربوا بعضها (إذ لم يكن مسموحاً إلا للقليل منهم بالشراب) وحملوا معهم ما تبقى

منها، ورحلوا على أن يكملوا مباحثاتهم الهاتفية مع السفارة الأميركية في اليوم التالي. لحينه ما زالت السفارة ضمن نطاق ما تبقّى من دولة الرئيس دو. أخلوا شقتي بعد أن ملأوا أرضها بكل ما حملت أحذيتهم من ماء ووحل، وهكذا انتقلت البحيرة إلى شقتي، فحملت السجادة وعلقتها خارجاً، وأعتقد أنها ما زالت معلقة حتى اليوم، لعلها أصبحت من المعلقات!.

مساءً راح بعض اللبنانيين يتناقلون إشاعة مفادها أن برنس جونسون سيستعمل شقة مصطفى الشيخ علي مركزاً له. يا لخصب الخيال! اتصلت برفقاء القاطع الآخر، أطلعهم على حقيقة ما جرى، طلبوا رأيي بالرجل. فأقتصرته بما يلي: طويل القامة، وسيم الوجه، بسيط التعابير، قروي التصرف، يوحي بصدق ما يطرحه، خامة جيدة إذا ما أحسن توجيهها.

* * *

ما إن فرغت من وداع وفود المتهاتفين في صباح هذا اليوم 28 تموز، حتى حضر السيد لاري غرين ليؤكد لي حضور الفيلد مارشال (رتبة برنس الجديدة) في الساعة الثانية عشرة ظهراً لاستعمال الهاتف، فينبغي أن أكون جاهزاً. وفعلاً، في الوقت المحدد بدأ الهجوم، فحوصرت قلعة أنترا واقتحمت أسوارها. ودخلها الماريشال برنس جونسون على رأس مجموعة تعَد بأكثر من خمسين رجلاً، مدججين بسلاح يكفي خمسة آلاف. أما نحن - سكان القلعة - فكنّا متحصنين وراء ابتسامات الترحيب كخط دفاع أول. وكرتونة من بيرة الرفيق زياد وثلاثة كراتين نبيذ محلي إنتاج السيد نرش كخط دفاع ثانٍ. والاتكال على الله وجميع رسله كخط دفاع ثالث. ولعدم خبرتنا بالشؤون العسكرية استعملنا الخطوط الثلاثة دفعة واحدة، فأصاب

بعضنا بعضا، وكاد يسقط نرش من دفشة تلقاها من سامي الذي كان ينحني ويزايد باستعمال خط الدفاع الأول.

على الهاتف عاد برنس يؤكد للمسؤول الأول في السفارة الأميركية، ثلاثة أمور على الشكل التالي: أولاً موضوع انفصاله عن شارلز تايلور وأسبابه. ثانياً وجوب الضغط الأميركي لإرغام الرئيس دو على التنحي، بدل استعمال السلاح وإراقة الدماء. ثالثاً عدم رغبة برنس في الحكم أو السلطة. كذلك أكد المسؤول الأميركي بدوره، أن بلاده لا ترغب في التدخل في شؤون ليبيريا الداخلية. كان السيد لاري غرين يرغب في ترك باب الحوار والاتصال مفتوحاً مع السفارة، مما يدل على أن هذا الموضوع (الاتصال بالأميركان) من حبكه ومن أسباب علاقته ببرنس. فكان له ما أراد، فأخذ موعداً آخر مع السفارة لليوم التالي. وما إن تم التهام ما كان خط دفاعنا الثاني، حتى توجه الجميع إلى الخطوط الأمامية، حيث معارك الشوارع ما زالت مستمرة، ورجال برنس يحققون تقدماً على الأرض.

بعد ظهر هذا اليوم، اتصل بي حضرة المدير الرفيق علي حمزة، ليضعني بصورة ما سيطلبه مني مع باقي الرفقاء الموجودين في منطقة ممبا بوينت بالقرب من سفارتي أميركا وبريطانيا. وهم حضرة ناظر المالية الرفيق جهاد عبد الخالق وحضرة ناظر الإذاعة الرفيق سامي حرب وحضرات الرفقاء حسن مقبل، إسماعيل العلي، أما الرفيق ميشال بصيبص صاحب أوتيل أمباسادور فكان قد اختفى منذ أيام ولم نسمع عنه شيئاً، (كان في زيارة لمنطقة ELWA حيث الإذاعة، عندما دخلها رجال تايلور لم يستطع العودة، وبعد مشقة وعناء بضعة أسابيع وصل إلى ساحل العاج، عشنا تلك الفترة على همه).

نعود للكلام الهاتفي لحضرة المدير: يا حضرة الناظر (كنت ناظراً للعمل) أود أن أعلمك أنه في جلسة غير رسمية للرفقاء الذين هنا

في منطقة ممبا بوينت، نسبة للأوضاع الراهنة التي تمر بها ليبيريا، والاقتتال الذي وصل إلى العاصمة حيث كثافة الوجود اللبناني أرواحاً وممتلكات. نجد أنه من المفروض بنا أن نقيم علاقات حيث نحن قادرون على ذلك، مع من يملكون السلطة والقرار، كي نحافظ على مصالح الجالية ونجنبها الكوارث إذا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. لذلك نحن نطلب إليك وقد جمعتك المصادفة ببرنس جونسون، أن توثق علاقاتك معه من أجل المصلحة العامة.. لا أدري كيف سيكون وقع مثل هذا الكلام على الكثير من الناس.. لكن أؤكد لحضرات القراء بأن صديقاً مقرباً، قال لي بالحرف الواحد: "لقد كنت صبيانياً بالتعاطي مع هذا الموضوع "YOU WERE NAHIVE"

لم يكن كلام حضرة المدير بالجديد عليّ، إذ كان شعوري يجاري شعور الرفقاء.

في حدود الخامسة مساءً، توقف عندي برنس وهو في طريق عودته إلى قاعدته العسكرية في كولدويل. CALDWEL فجلسنا لأول مرة نتجاذب أطراف الحديث، طرحت عليه سؤالاً كان يقلقني بعض الشيء: ماذا سيحصل إذا ما قبل الرئيس دو بالتنحي أو الاستقالة؟ هل تنتهي معركة لتبدأ معركة أخرى بين رفقاء السلاح؟ أي بينكم وبين قوات شارلز تايلور.

أجاب: إذا انتهت معركتنا مع دو نحن مستعدون للحوار والتفاوض مع تايلور.

فقلت له: إن دافعي لطرح مثل هذا السؤال مرتبط بعدم قدرة الشعب الليبيري على تحمل حرب طويلة الأمد. فالذي لا يقع ضحية الاقتتال، سيقع ضحية الجوع أو المرض.

قال: إني أدرك هذا الواقع، لذلك أنا أطالب بالتدخل الأميركي

(البحرية الأميركية كانت في المياه الإقليمية الليبيرية) لحسم الحرب بأسرع وقت ممكن.

لم أخفِ إعجابي بطرحه، بل شجعته على ذلك بقولي: إن الجالية اللبنانية مستعدة أن تدعم كل ما من شأنه أن يسرع في حلول السلام وحقن الدماء، فليبيريا هي وطننا الثاني، ويعنينا ما يعني الليبيريين.

شكرني وخرج، فتبعه مرافقوه ومنهم لاري غرين.

على البوابة، حيث خرجت لوداع الموكب، طلبت من السيد لاري غرين أن يقبل دعوتي إلى العشاء، فوافق بدون إلحاح.

اجتمعنا حول المائدة وعليها ما يسمح به مطبخ الحرب، نحن الثلاثة، لاري، نرش وأنا. عرفنا أن لاري هو جار لنا، فهو يقطن قربنا منذ عشرين عاماً، زنجي أميركي متزوج من امرأة ليبيرية، تعرف إلى برنس منذ بضعة أيام فقط. عمل سابقاً لمصلحة الهاتف، واليوم يعمل لمصلحته الخاصة.

شاركتنا السفارة الأميركية..السهرة، إذ دعوناها على الهاتف ورحنا نتحدث كل بدوره إلى من قيل عنه إنه المسؤول الأول في السفارة الأميركية في غياب السفير. كنا نناقش آراءه ويناقش آراءنا، إلى أن احتد النقاش فعلت أصواتنا. نحن نلوم الولايات المتحدة التي شجعت الثورة ضد الرئيس دو، عندما طالبته بالديمقراطية وتعدد الأحزاب، مما قوى عود المعارضة التي اعتقدت أن أميركا لن تتخلى عنها، بل سوف تساعدهم إن هم بدأوا. والمسؤول الأميركي يدافع عن سياسة بلاده، معتبراً أن المسألة داخلية، وبلاده لا تتدخل في شؤون الآخرين، ويجب على الشعب الليبيري أن يعي مصالحه ويدافع عنها، وأن يحل مشاكله من دون الاتكال على أحد. أقفلنا الهاتف وجلسنا.. نترحم على السوفيات.

من مفارقات تلك الليلة أن السيد غرين، رجع إلينا بعد خمس دقائق من مغادرتنا، إذ من يدعي أنه المتحدث الرسمي باسم تنظيم برنس جونسون، خاف الخروج ليلاً لأن رجال برنس يطلقون النار على أي شيء يتحرك في مثل هذا الليل. علماً أن بيته يبعد حوالي 150 متراً عن شقتي.

نام السيد غرين في شقتي، بعد أن شرب ما يزيد عن نصف كرتونة بيرة.

استيقظت خلال الليل على من يحاول فتح باب غرفتي، فخرجت وبيدي عصاً أحتفظ بها لمثل هذه المناسبات، ورحت أفتش البيت بحذر شديد، إلى أن تنبهت إلى حركة شخص يختبئ وراء أحد الأبواب، هممت بضربه بعد أن فتحت الباب، فإذ بلاري غرين وقد تناول بيده تمثالاً من الخشب للدفاع عن نفسه، فصرخ بألاّ أضربه، قلت له وماذا تفعل وراء الباب؟ فقال: استيقظت دون أن أدري أين أنا، فرحت أفتش عن الحمّام.. وبسبب خوفي ثيابي تكاد تتبلّل. وفعلاً كان يرتجف من الهلع، فناولته شمعة وأرشدته إلى الحمّام، وعدت إلى فراشي.

استيقظت هذا الصباح (الأحد 29 تموز) على صوت الباب، يغلقه لاري وهو خارج. لزمت فراشي أنتظر رنين الهاتف يرافقه صوت حضرة المدير، ..فلا الهاتف رن ولا حضرة المدير يؤنبني على نوم متأخر.

بعين واحدة وأذن واحدة، بقيت استرق بعض لحظات النوم من صباح متأخر لليل لم يكن منه بد. كدت أغفو لو لم يتبادر إلى ذهني صفوف المتهاتفين المنتظرة خارجاً، نهضت من فراشي لأمارس عادات الصباح التي أصبحت تقليداً أقوم به..نصف صاح أو نصف غاف، وما إن فرغت من كل الطقوس الصباحية، الواجب منها والمستحب، حتى دفعني القلق إلى الهاتف لأتصل بحضرة المدير، سرعان ما

تلاشت ظنوني وازداد قلقي..! الهاتف معطل، وهذا يحسم تساؤلي لماذا لم يتصل حضرة المدير؟ أدركت أنني فقدت الاتصال برفقائي في القاطع الآخر من المدينة، فبدأ قلقي يكبر ويزداد.

كيف أنعي خبر الهاتف إلى الذين اصطفوا خارج الشقة؟ وكيف سيستقبلون النبأ؟ وكان المرحوم بمثابة لسان وأذن لكلّ منهم؟ ففي الآونة الأخيرة كثرت خدماته وكثر أصدقاؤه. لا شك أن إشاعة طائشة صرعته وهو يتنقل من قاطع إلى آخر، يحمل الأخبار ويطمئن الأهل والأقارب والأصدقاء. رحمة الله عليه، وقد غدا جثة باردة، بعد أن كان ينبض بدفء وحرارة أصوات المحبين.

لملمت قواي وقد بعثرتها الخيبة، ومعنوياتي وقد أحبطها الألم، خرجت أنعي فقيدنا. بكوا جميعهم بصوت واحد، وترحموا عليه كلهم بصوت واحد، ولعنوني..بعدة أصوات. فهمت في ما بعد أنهم اتهموني بقتله...سامحهم الله.

بقيت وحيداً بعد أن تفرق عني الجميع، هم لينسوا أو يتناسوا فيصغر حزنهم، وأنا صاحب الجثة لأبحث لها عن قبر.

❊ ❊ ❊

المؤتمر الصحفي الأول

في الثانية بعد الظهر، مر بنا لاري غرين، وأخبرنا -أنا ونرش- عن أول مؤتمر صحفي يعقده برنس. (لا برنس ولا الانشقاق الداخلي للثوار كانا معروفين من قبل وسائل الإعلام حتى حينه).

سألناه إن كان باستطاعتنا الحضور؟

قال: إن كان لديكم سيارة،

لم يتجرأ نرش على أخذ سيارته الفخمة (مرسيدس)، فتجرأت انا بسيّارة الرفيق جورج التي كانت بحوزتي، فخرجت من قلعتها، تهدر وتجأر وتبرق وترعد وتنفض عنها الغبار، كأنها في عرس.. لمَ لا وكانت أول سيارة مدنية تخرج إلى الشارع منذ أسبوعين.

بسرعة عشرة كلم في الساعة رحنا نقترب من مكان المؤتمر. طلب لاري تخفيض السرعة، ثم طلب إليّ التوقف، ففعلت، نزل من السيارة ومشى أمامي مشيراً إلى أن ألحق به،..لا أدري لماذا يبالغ لاري بهذا القدر، فحالتنا أصبحت تلفت الأنظار والشبهة معاً.

أصبحنا على مقربة من جمهرة من الناس، كلهم جنود، ملتفون حول شيء ما تحت خيمة مطعم شعبي يقع على مفرق كولدويل.

أوقفني لاري في عرض الطريق، وراح على ما يبدو يطلب لنا إذناً. ثم رجع وهو يتلفت ذات اليمين وذات اليسار، بطريقة لا يسعك إلا أن تتساءل معها من يحمي؟ أو ممن يحتمي؟ بعض الناس يزداد صغرها كلما أرادت أن توحي بكبرها.

ثم طلب اليّ أن أوقف السيارة جانباً وأن أترجل مع نرش.

حول طاولة عليها خليط من المشروبات الروحية وآلة تسجيل، جلس برنس ومعه وكيله الكولونيل فارني (SAMUEL VARNEY) واثنان من المراسلين الأجانب، يحيط بهم عدد كبير من مقاتلي برنس.

أنا لست حشرياً بطبعي ولا ممن تستهويهم صدارة المجالس، ولا أزاحم أحداً لأجلس مكانه. فاستندت إلى أحد أعمدة الخيمة، استمع إلى برنس جونسون الذي كان يردّ على أجوبة الصحافيين، بطلاقة تدل على تمكنه من اللغة الإنكليزية، وانسجامه مع المواضيع المطروحة. لخص خلافه مع تشارلز تايلور، بأن لدى الأخير طمعاً بالسلطة، وهذا يتنافى مع المبدأ الأساسي للثورة والقاضي بعزل الذين

أتوا إلى الحكم بواسطة البندقية، ليحل محلهم مدنيون بواسطة انتخابات حرة ونزيهة..وهذه قناعة ثابتة عندي قال برنس طارحاً شعار "البندقية التي تحرر يجب أن لا تحكم" ثم رداً على سؤال لماذا يرتدي جماعته ثياباً عسكرية، بينما رجال تايلور يرتدون ثياباً مدنية..أجاب؛ نحن عسكر، وللعسكر ثياب تميزهم عن المدنيين، ولأن جنود دو استغلوا هذه المسألة وراحوا يقتلون من يشاؤون من المدنيين، بحجة أنهم متمردون أو كوماندوس. نحن نرتدي الثياب العسكرية حماية للمدنيين.

على مدى أكثر من ساعة وبرنس يجيب على الأسئلة ويشرح قناعاته، فيجعلك تشعر أنك أمام قائد فذّ، سيعتلي قريباً منصة التاريخ، إن لم يكن على المستوى العالمي، فعلى الصعيد الأفريقي.

كان قد تنبه برنس إلى وجودي مستنداً إلى عمود الخيمة، فاتجه نحوي وهو يتابع حديثه، وقدم لي مقعداً.. نعم، هذه هي المرة الأولى التي يتكلم فيها برنس إلى الصحافة، إنه ما زال مغموراً، ذكر اسمه مرة واحدة ضمن أخبار تفيد عن خلافات داخل الجبهة الوطنية، وعرف عنه مؤخراً أنه كان أحد المشاركين في المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قادها كوي ونكبا عام 1985 ، ثم فر بينما كان قيد الاعتقال، ينتمي إلى قبيلة الغيو، هذه القبيلة تشكل الأكثرية الساحقة في الجيش الليبيري، وتليها قبيلة اللوما LOMA، انخرط في الجيش عام 1974 وبقي حتى عام 1985 وكان يحمل رتبة ملازم.

..نعود إلى حديثه الصحفي، الذي كاد برنس ينهيه بدرجة ممتاز، لو لم يختل التوازن بين كونه رجلاً عسكرياً من جهة، وقائد ثورة لها استراتيجيتها وخططها السياسي من جهة أخرى، فراح يتهجم على أميركا بأسلوب يسيء إليه وإلى ثورته أكثر بكثير مما يسيء إلى الأميركيين، وذلك رداً على سؤال حول توقعاته للدور الأميركي في

الحرب الأهلية الليبيرية، خاصة أن قوات المارينز ترابط في المياه الإقليمية الليبيرية. كنت من القلائل الذين عرفوا لماذا تهجّم برنس على السياسة الأميركية (يعود ذلك إلى اتصالاته الهاتفية من شقتي، ورفض الأميركان التدخل وفق رغبته) أدركت خطورة رده هذا، كونه يغلق باباً يجب تركه مفتوحاً مع الأميركيين، خصوصاً أن لليبيريا علاقة عضوية مع الولايات المتحدة. كان للسيد نرش رأي موافق، فاقترحنا على برنس أن يعيد النظر بما قاله في هذا الشأن بعد أن قبل الصحافيون إعادة تسجيل المقطع، وهكذا كان.

ازدادت قناعتي به، خاصة بعد أن أبدى استعداده لتقبُّل النصائح، كذلك ازدادت قناعتي بالدور الذي طلبه مني الرفقاء.

دفعني الواجب، هذا الذي لا يفقه معناه الكثير من أبناء شعبنا، فيا للأسف، هو ليس حوالة مصرفية أو سلعة للبيع والشراء. إنه شعور لا يعرفه من لا يتحسسه، مثل الأخلاق والفضيلة والمناقب والحق والخير والجمال، وكل القيم والمثل العليا التي ينشدها كل ذي نفس كبيرة في سياق بلوغ الأهداف الإنسانية الراقية.

سئل أحد كبار التجار في منروفيا عن فهمه للواجب والأخلاق فأجاب: الواجب هو أن تدفع الفاتورة عند الاستحقاق، والأخلاق هو أن تدفعها قبل الاستحقاق.

ساءت أحوال الوطن، وأصبحت مقاييس الربح والخسارة قاعدة لعلاقات الناس. لا أعرف كيف انطلت على شعبنا خدعة - أنه تاجر- والالتباس الحاصل حول إبحار أجدادنا الفينيقيين بدافع اكتشاف المجهول من أجل المعرفة التي تشرّف الحياة وتبني الحضارات، والإبحار بدافع التجارة ومقايضة السلع بغية الربح، فنصبح ناقلي حضارة (بالمصادفة) لا أصحاب حضارة.

لا أعتقد أن في الكون مذمة أحقر من (نفسية تجارية).

الواجب والأخلاق، أحاسيس وطنية في الأساس لأنهما ينبعان من الشعور بالجماعة والمصلحة العامة. وهما في صميم القاعدة الراقية التي تحكم العلاقة بين الناس. تتدنّى درجة الأخلاق حيث هذه مقاييس وموازين التجار، من أيام قرطاجة حتى يومنا هذا.

نعود إلى موضوعنا الذي خرجنا عنه، كنت أقول دفعني الواجب أو الشعور بقدرتي على لعب دور يخدم مصلحة الجالية اللبنانية من جهة، والشعب الليبيري من جهة أخرى، فنحن كلبنانيين معنيون بمعاناة وآلام الشعب الليبيري من الناحية الإنسانية، فكيف بالأحرى ونحن جزء لا يتجزأ من هذه الأزمة، يصيبنا ما يصيبهم، بعضنا قد أصابه الهلع وبعضنا أضناه الجوع وبعضنا لاقى حتفه، والحرب ما زالت في بدايتها.

ثلاثة أمور بديهية كانت تفرض نفسها على من يفترض نفسه مسؤولاً عن مصالح الجالية اللبنانية، الثوار كانوا في تقدم مستمر وقوات النظام في تراجع مستمر، ومنذ بداية الحرب لم نختبر سابقة واحدة استرد فيها النظام موقعاً خسره.

الثوار أصبحوا قوة على الأرض لا مفر من التعاطي معها. طبعاً، لم نكن مستهدفين كجالية، ولا كأشخاص، بل بيوتنا ومحلاتنا ومستودعاتنا كانت كلها مستهدفة، طمعاً بمحتوياتها وأهمها الطعام. لا شك أن هناك خطراً كبيراً يترافق مع هذا الاستهداف إذا ما شعروا أنك حجر عثرة. فالتعاطي معهم يجب أن يتم على أساس تحقيق الأمور الثلاثة، وهي من حيث الأهمية كما يلي:

1- الحفاظ على أرواح اللبنانيين، من حيث عدم إعطاء أحد من الثوار المبرر لقتل أي لبناني عمداً، خوفاً من أن تصبح سابقة .

2- الحفاظ على استمرار الوجود اللبناني في المغترب الليبيري. من حيث عدم السماح لأي لبناني بالقيام بأي عمل (في غياب النظام والرادع القانوني) من شأنه أن يسيء إلى الوجود اللبناني - في ظل ليبيريا الجديدة- ليبيريا ما بعد الحرب.

3- الحفاظ على ممتلكات اللبنانيين.

جالت في خاطري كل هذه الأمور، وأنا جالس استمع إلى برنس جونسون في لقائه الصحفي. لقد انتهي المؤتمر على خير بعد - الشطحة الأميركية- التي تجنبناها.

غادر الصحافيون يرافقهم لاري غرين إلى القاعدة العسكرية لاستكمال تحقيقهم. وبقي برنس والكولونيل فارني والكثير من المقاتلين..وما بقي من الخمرة.

ليبيريا بلد الحَر (الفلفل الحَر) وهذا من جملة ما أصبح شهوة في هذه الأيام، لأنه كأي إنتاج زراعي، يأتي من داخلية البلاد التي انقطع التواصل معها بسبب الحرب وتقاسم مناطق النفوذ. امرأتان تحملان وعاءً كبيراً من الفلفل على أشكاله وألوانه، كادتا مع ما يحتويه وعاؤهما يسرقن الأنظار الموجهة إلى القائد الجديد ومؤتمره الصحفي. إذ كانتا مرمى الغمز والهمس، غير أنهما رفضتا كل العروض المغرية بحجة أن حملهما ملك برنس جونسون. تكلما عن مغامراتهما خلال ثلاثة أيام سيراً على الأقدام لإحضار هذا الوعاء الكبير، وكيف تناوبتا على حمله وإخفائه في الغابات كلما دعت الحاجة. عبثاً حاول الكثير شراء بعض ما معهما خلال تطبيقات جانبية.

تقدمت إحداهما من برنس وهي تشير بفخر واعتزاز إلى وعاء الفلفل، وتهمس في أذنه كلمات جعلته يهز رأسه تفهماً .. ثم تقدم .. فلحق به الجميع، والتفوا حول الوعاء.

تبين من خلال الحوار الذي جرى بينهما، أن برنس قد أسلفهما ثمن الفلفل منذ أيام عدة، فاتهمهما بطول الغياب مما يعني - حسب قاموس برنس - أنهما من جواسيس النظام، معرفاً عنهما كموظفتين سابقتين في مباحث الأمن العام.

أمر بخلع ثيابهما، وتكبيد أيديهما خلف ظهرهما، وإيقافهما مع الحائط لتنفيذ حكم الإعدام، ثم شهر مسدسه وهو يتكلم، لكنني لم أسمع ما قاله، لأن الذي يحدث أمامي وبالسرعة التي يحدث بها، تخيلت نفسي في عالم آخر، فأنا لا أصدق أن هذا الرجل، الذي كان منذ لحظات يتكلم كأحد عظماء التاريخ، فهماً وإدراكاً ومنطقاً سيقدم على إعدام هاتين الامرأتين، لمجرد شعور منه بخيانتهما. الأمور تسير بجدية يصعب العفو معها. لحظات فقط وستنتقل هاتان الامرأتان إلى عالم الأموات، وسأشهد أنا لأول مرة في حياتي عملية إعدام حقيقية .

ضاع تركيزي وشعرت أني في غيبوبة، أيقظني منها صوت الرصاص يطلقه برنس فوق رأسهما، معلناً تأجيل حكم الإعدام إلى المساء، آمراً بنقلهما إلى القاعدة. أعاد المسدس إلى وسطه وقفز إلى ظهر (البيك أب) وتبعه الكولونيل فارني ومرافقوه، نظر إليّ وقال: سأكون عندك في الخامسة مساء" لأتصل بالسفارة الأميركية، فبلغته انقطاع خط الهاتف.

وقبل أن ينطلق به البيك أب، تقدم منه شاب عتليتي البنية يستعطفه كي يمنحه كيساً من الرز. نظر إليه برنس وهو واقف في البيك أب وقال: هل تشكو من عاهة أو علة أيها الفتى؟ أجاب الشاب: لا يا سيدي بل أشكو من الجوع مع عائلتي.

برنس: وهل تريد الالتحاق برجالي وتقاتل في سبيل حياة أفضل؟

الشاب: وقف حائراً دون جواب.

برنس: يخاطب الجميع .. انظروا إلى عاهة الشعب الليبيري، التي تتمثل في هذا الفتى، له من القوة الجسدية ما يكفي لطحن عظامي بيديه، لكنه يصر على طلب مساعدتي، خلته يتقدم نحوي ليعرض مساعدته بعد أن زحفت مع رجالي سيراً على الأقدام بضع مئات من الأميال، في الغابات والمستنقعات استغرق سبعة أشهر، عشنا خلالها على القليل القليل مما يسرته لنا الطبيعة، بينما كان هذا الشاب ينعم في رغد العيش في كنف المدينة، وما إن وصلنا إلى المدينة حتى يتقدم مستجدياً، إنه لا يشكو من ضعف جسدي أو فكري بل يشكو من علة اجتماعية، يجب استئصالها من الشعب الليبيري. باشر إلى سحب مسدسه وهو يقول: أمثالك لا يصلحون لبناء ليبيريا الجديدة. تدخّل الكولونيل فارني ليمنعه من قتل الشاب. وأنا عدت إلى غيبوبتي من جديد، لأستعيد وعيي على صوت الرصاص يطلقه برنس بين أقدام الكولونيل فارني الذي كان يستعمل لهجة عنيفة مع برنس .. أعفى عن الشاب.كاد نهارنا ينتهي على خير لو لم تصلنا أخبار المجزرة التي أرتكبها رجال دو في كنيسة لوثرن (LUTHERN) التي تقع على مفرق الشارع 14 وتبمان بوليفار. ذهب ضحيتها بضع مئات من الأطفال والنساء والشيوخ ممن أخذوا الكنيسة ملجأً لهم، طلباً للحماية والأمان وهرباً من بطش الحقد القبلي. حدث ذلك في الصباح الباكر من هذا اليوم، حدد عدد القتلى ب 600 ضحية، لكن العدد الحقيقي بقي غامضاً فالجثث بقيت في موضعها حتى الاهتراء. إذ لم تسمح ظروف وأساليب الحرب الليبيرية لأي من منظمات الإغاثة الدولية بالتدخل، كما أنه لم يحافظ على حرمة أي مؤسسة إنسانية أكانت دينية أو اجتماعية، محلية أو عالمية، فالمستشفيات والكنائس والسفارات والمساجد ومراكز الأمم المتحدة، كل هذه المؤسسات كانت عرضة للاعتداء والنهب والقتل.

تأثر الحاضرون بالخبر، فوقعه كان مؤلماً، لم أعد أذكر ما علّق به برنس إذ كنت شارداً بما تؤول إليه هذه الحرب، وكيف تتفكك الشعوب إلى طوائف (لبنان) وقبائل (ليبيريا) وتتحول المواطنية إلى أحقاد طائفية وقبائلية أو عشائرية، والأحقاد إلى براكين تتفجر في سبت أسود في لبنان وأحد أسود في ليبيريا. وكل أيام الأسبوع وشهور السنة تصبح سوداء عندما تصاب الشعوب بحمّى الطائفية والعشائرية والقبلية.

إن هذه المجزرة، تشير إلى أن الحرب الليبيرية تأخذ منحًى جديداً، لم نعهده من قبل بالشعب الليبيري المعروف بحبه للسلام.

غادر موكب برنس إلى خطوط الجبهة الأمامية، وقفلت عائداً بصحبة نرش إلى مجمعنا، حيث افترقنا كل إلى شقته دون أن يتفوه أحدنا بكلمة، إن ما شاهدناه وسمعناه كان أقوى من التحليل وأكبر من الاستيعاب.

جلست طوال المساء أحاول تقييم هذا الرجل الذي تؤهله الظروف ليلعب دوراً هاماً وكبيراً في حياة الشعب الليبيري، وكذلك على الساحة الأفريقية الغربية كلها.

عبثاً كنت أحاول إيجاد قناعات جديدة، تنطبق على الرجل، أو يركن إليها في التعامل معه. فالذي لاحظته اليوم، أنه يملك إيجابيات بارزة وكذلك يملك سلبيات بارزة، يصعب معها التكهن بردات فعله قولاً وعملاً.

زارني السيد نرش وأنا غارق بتحاليلي وتفكيري، وقد بدا على وجهه القلق وعلامات التعجب والاستفهام، لكنه قال بلهجة الواثق من نفسه: ألا تعتقد أن برنس كان مضطراً لهذه التصرفات كي يحكم قبضته على رجاله، فيهابوه. قلت: لا، لأنه لم يكن يمثل دوراً في هذا الصدد.

جرى بيننا حوار جعل كلاً منا يتمسك بقناعته أكثر وأكثر.

تردد صدى بعض الإشاعات التي تناقلتها بعض الألسن، مفادها أن برنس جونسون هو عميل للمخابرات الأميركية C.I.A، فرزته أميركا لإحباط ثورة شارلز تايلور. ثم دعمت هذه الإشاعات بالسلاح الذي يملكه برنس.. من أين حصل عليه؟ والثياب العسكرية التي يرتديها رجاله.. من أين له ذلك؟ علماً أن معظم رجاله كانوا يحملون بواريد صيد..؟ والبعض الآخر يحمل أسلحة حديثة استولى عليها أثناء المعارك، وكذلك بدلات الميدان التي لم تكن متكاملة عند معظم رجاله.

بدأنا كلبنانيين نعاني من نقص في الغذاء وما يرافقه من انعكاسات صحية، كذلك دخل النقص إلى صيدليات المنازل، وكل دواء لا نجده في صيدلية البيت، لا يمكن شراؤه، فالصيدليات مقفلة ومعظمها نهب.

والأطباء، أكثرهم ترك البلد سواء كانوا أجانب أم مواطنين، باستثناء القلة منهم. من اللبنانيين بقي الدكتور عارف قصاص، الذي آنسنا بقاؤه ورفع من معنوياتنا في مواجهة الأمراض وعقصات البعوض وما تحمله من حُمى الملاريا. فسوء التغذية وانقطاع التيار الكهربائي .. والماء جعلنا فريسة سهلة للبعوض وكافة أنواع الأمراض.

مما عانيناه أيضاً هو عدم قدرتنا على التجوال، فمنروفيا .. على صغرها كانت مقسمة إلى ثلاثة مناطق نفوذ، متداخلة في الأخذ والرد بين المتقاتلين، فعيادة الدكتور قصاص بقيت لفترة غير قصيرة في منطقة ساخنة أو خط نار وفق التعابير العسكرية.

منذ أيام وقع الرفيق رائف عياد ضحية الملاريا، اضطر وحرارته فوق الأربعين أن يعبر سيراً على الأقدام، إلى منطقتنا التي تبعد حوالي السبعة

أميال. تجنباً للذهاب إلى عيادة الدكتور قصاص التي تبعد مئة متر عن شقته، وذلك لصعوبة الوصول إليها من الناحية الأمنية. وصل الرفيق رائف إلى شقتي وحالته تدعو إلى القلق، وما إن أصبح طريح الفراش حتى أوفدت من يستدعي طبيباً ليبيرياً، اكتشفت أنه جاري منذ ثلاثة أيام فقط. بدأت معالجة الرفيق رائف الذي تعافى بعد بضعة أيام.

لم تكن حالنا كلبنانيين أفضل بكثير من حال المواطنين الليبيريين، فالجوع وجد طريقه إلى بطون الكثيرين منا، وكذلك المرض قد وجد طريقه أيضاً إلى أجسادنا، والبعض لاقى حتفه. مأساة لم يختبرها معظمنا من قبل، أكثرنا كان يعتقد أنها لا تحصل إلا في الأفلام والكتب. ها نحن نعيشها ونتأقلم معها، فالموت أصبح شيئاً عادياً جداً، وكذلك منظر الجثث المنتشرة هنا وهناك.

زارني برنس بعد ظهيرة هذا اليوم 30 تموز، والسيدان نرش وسامي كانا في عداد مرافقيه، حيث رافقاه من البوابة إلى شقتي.

جلسنا نناقش معه الأوضاع. المجاعة والمرض كانا محور نقاشنا الذي خلص إلى ما يلي: أن نعمل على تأمين بعض الأدوية، أن نساعد برنس على بيع بعض الرز الذي صادره من المرفأ، فهو يريد تأمين هذا الغذاء الأساسي للشعب، مقابل مبلغ زهيد لدعم الثورة.

اعتبرنا اقتراحه بادرة جيدة، إذ إن توفير الرز يعتبر أفضل خدمة يستطيع أحد ما إسداءها للشعب الليبيري، الذي يتضور جوعاً في هذه الأيام.

معارك الشوارع ما زالت مستمرة في وسط المدينة، بين قوات برنس وقوات الرئيس دو. من الجهة الأخرى للمدينة تقدمت قوات شارلز تايلور باتجاه منطقة الكونغو-تاون CONGO-TOWN حتى مفرق مستشفى الكاثوليك، فتكون إذاعة ELWA قد سقطت

وأصبحت تحت سيطرة رجال تايلور الذي بدأ يبث برامجه منها. وتضم هذه المنطقة سفارات ألمانيا الاتحادية، نيجيريا وغينيا، الاعتداء كان واضحاً على سفارة نيجيريا المتهمة بتأييدها ودعمها لحكومة الرئيس دو.

❋ ❋ ❋

مبيع الرز

استيقظت هذا الصباح الأربعاء 1 آب على أصوات ازدحام وضوضاء وجلبة، كأن جميع سكان العاصمة تجمعوا أمام البوابة الكبيرة لمدخل أنترا. كان الأمر واضحاً عندما شاهدت شاحنة كبيرة، يرافقها بعض العناصر المسلحة، يشرفون على تفريغ حمولتها من الرز داخل أسوار أنترا. آلاف المواطنين احتشدوا خارج المبنى، وقد اصطف بعضهم بنظام، بينما كانت أصوات نرش وسامي تلعلع بإصدار الأوامر إلى هذا وذاك .

تقاسمنا الأدوار بعد أن أفرغت حمولة الشاحنة، فتكوم في وسط الباحة ما يزيد عن سبعمئة كيس من الرزّ وزن 50 كلغ. كل ذلك يجري على مرأى ما يزيد عن عشرين ألف مواطن، احتشدوا لشراء الرز. استلمت أنا ونرش بيع البطاقات، واستلم سامي يعاونه السيد منير نهرا وما لا يقل عن 15 شاباً لبنانياً تسليم الرز لكل من يحمل بطاقة. حاولنا إقناع الناس بالوقوف بالصف لتسهيل الأمور، تعاوننا بذلك العناصر المسلحة التي رافقت الشاحنة، فراحوا يطلقون النار على الأرض لترهيب الناس، وإجبارهم على الوقوف بانتظام. عبثاً حاولنا إقناعهم، وكيف السبيل لإقناعهم بأن الرزّ كان كافياً للجميع، لذلك تسلقوا الأسوار غير مبالين بقطع الزجاج المزروعة بأعلاها، فسال الدم على طول الحائط، وعلى البوابة التي التصق على حديدها عشرات الناس، يدفعهم من الخلف آلاف غيرهم. فما لبثت أن

وقعت وتكدس فوقها العشرات. خفنا أن يفلت زمام الأمور، وتعم الفوضى بعد أن يفتعلها بعض المشاغبين. كذلك خفنا من أن تقع الأسوار بعد أن تسلقها المئات من كل جوانبها. إذاً كان علينا أن نتدارك كارثة على وشك حصولها في لحظات. فخرجنا من الباحة، نرش وأنا، وطلبنا من الحشود أن تلحق بنا لشراء بطاقاتهم.

سرنا في الشارع وليس لنا من هدف سوى أن نبعدهم عن المكان، فلحق بنا الآلاف .. علينا أن نتخلص من هذا الرز. دخلنا مبنًى تابعاً لمحطة بنزين، يستعملها الثوار كمركز لهم. أمنوا لنا الحماية اللازمة، ورحنا نبيع البطاقات للنساء فقط كي نخفف عن أنفسنا بعض الضغط. بعنا حوالي200 بطاقة، غير أني كدت أختنق بعد أن وصل صراخ المزدحمين إلى داخل المبنى، شعرت بدوار وضيق تنفس مما جعلني أفقد توازني. طلبت إلى الثوار تأمين طريقنا إلى خارج المحطة، فأنا بحاجة ماسة إلى الهواء. فراحوا يطلقون النار ترهيباً مما أدى إلى سقوط جريح برصاصة طائشة. آلمني الحادث وكدت أفقد أعصابي. عدنا إلى أنترا، فسمعنا عن جريحين بنفس الأسلوب. احتدم الجدل بيننا وبين الثوار، حتى وافقوا على استعمال أنابيب الماء لتفريق الناس بدل الرصاص، باستثناء أحدهم .. وكان ثملاً وزعنا البطاقات الباقية على بعض الشبان اللبنانيين، وطلبنا إليهم بيعها شرط أن يذهب كل باتجاه، كي نفرق هذه الجموع المحتشدة، وأن لا يبيعوا أكثر من بطاقة واحدة للشخص .. وهكذا صار، تفرق الناس ما عدا الذين لم يصدقوا الخبر، لقناعتهم بأن البطاقات ما زالت معي ومع نرش، فاحتشدوا يتزاحمون على البوابة التي تدبرنا أمرها مؤقتاً. وقعت نظارات السيد منير نهرا وتحطمت تحت الأقدام، فنطق "بالكاف آلاف" للرز وأصحابه وعاد إلى بيته. فعلاً شعرنا أن كل كيس من الرز هو كيس من الهم، وكلما نقص كيس زال همٌّ ونقص خطر.. ولكن آمال الحشود بقيت معلقة بآخر كيس

موجود. ما زال رصاص الثائر الثمل يفرقع وينهش الأرض أمام البوابة، فانعكست رصاصة على أسمنت الأرض وخرقت رأس أحدهم، فهوى صريعاً والدم ينفر من رأسه كنافورة ماء. تبعثر الناس وتفرقوا هلعاً، ثم تجمد كل في مكانه وقطع أنفاسه .. لحظات من الصمت والهدوء، والعيون مشدوهة تحدّق بالجثة التي تكومت على الأرض. كأن مسّاً من الجنون قد أصاب مطلق النار، فراح يصرخ متهماً رجال تايلور بفعلته. ثم أسرع هو ورفاقه في إخفاء الجثة ودفنها خارج الشارع، خوفاً من أن يمر برنس ويعرف بالأمر، فيعاقبهم، ولن يكون عقابه أقل من الموت. دقائق معدودة، استغرقها دفن الجثة، وعاد كل شيء إلى صخبه .. كأن شيئاً لم يكن. وعاد الناس يتزاحمون على الأفضلية، وعاد الثوار يفرقونهم بلسع الأنابيب، وعاد السكران يطلق نيرانه عشوائياً على الأرض. وفي قرارة أنفسنا كما في العلن، رحنا نحن الثلاثة، نرش، سامي وأنا، نلعن الساعة التي تطوعنا بها للقيام بهذا العمل، الذي اعتبرناه خدمة إنسانية نسديها للناس، فكانت وبالاً علينا وعلى الناس.

بيع الرز حتى آخر كيس كان قد نال منه العفن وهو في مستودعات الدولة، وحتى آخر حبة امتصت دم القتيل .. صدقوني

انتهى الرز، ولم تنته الحشود، فعدنا نكرر على مسامعهم بأن المزيد منه سيصل غداً.

ترددت أصداء هذا الحدث في كل أنحاء المدينة الجائعة، فراح الناس يتوافدون إلى أنترا في طلب غذائها الأساسي غير آبهة بالحواجز وكل العوائق.

كذلك بالنسبة للبنانيين بعد أن تحول الرز إلى طعامهم اليومي في غياب الطحين.

مساءً جلسنا نحن الثلاثة، نقيّم ما حصل، فخلصنا إلى القول بأن خطأنا الفادح كان في تفريغ الشاحنة، إذ كان من الأصح بيع الرزّ وتوزيعه مباشرة من الشاحنة.

لم نكن متحمسين لإعادة التجربة، مع حاجة الناس وإلحاحهم وأحياناً استجدائهم. بقينا حيارى، فالذي حصل هذا النهار لا يمكن تخطيه بهذه السرعة وهذه السهولة، قتيل وثلاثة جرحى بينهم امرأة أصيبت في بطنها ونقلت إلى المستشفى في حالة الخطر الشديد. ودماء الكثيرين التي سالت على طول حافة الحائط المزروعة قطع زجاج.

مأساة تطرح مئات الأسئلة عن حقوق الإنسان وسياسات الدول الكبرى، وتتركها بدون أجوبة.

انقضى هذا النهار، والذاكرة تحمل في طياتها صوراً مأسويّة لكل لحظة منه.

INDEPENDANT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA

CIRCULAR NO. 1 — AUGUST 1ST 1990

TO: ALL LIBERIAN CITIZENS/ RESIDENTS

The N.P.F.L. was started by Mr. Thomas Quiwonkpa in 1985 to bring down Samuel Doe and return Liberia to a democracy LED by a civillian and not to be RULED by a military Dictator.

I Field ~~Martial~~ Marshall Prince Johnson was part of the N.P.F.L. up to the time at which a member namely Major Charles Taylor decided to become Chairman and elect himself as the future President of Liberia, which was not the principal of Thomas Quwonkpa or the N.P.F.L.

I have no wish to become President of Liberia or to allow any other Military Personnel to rule the people of Liberia which is why I am being attacked by Samuel Doe from ahead and Charles Taylor from behind.

I am only intrested in bringing down Samuel Doe and seeing Liberia brought back to a civillian Government led by a fairly elected civillian President.

If the United Nations peace keeping forces or any other Internationally recognised forces come into Liberia and can **GUARANTEE** to bring in Free and Fair elections in a specified time I am prepared together with all the Freedom Fighters of the I.N.P.F.L. to drop our weapons and return to our barracks and allow the U.N. forces to bring peace.

HOWEVER BEFORE I DO THIS DOE MUST GO

NO SURRENDER - NO RETREAT
SOUND OF GUNS - SOUND OF MUSIC
BIG GUNS - REGGAE MUSIC

Patriot PRINCE JOHNSON. (P.P.J)

في أيام الحرب، تترافق حرب الإعلام مع حرب العسكر، فتكثر الإشاعات والأخبار الملفقة، غالباً ما يتم ذلك ضمن خطة مدروسة حتى تفي بالغرض المنشود.

كما في السلم، كذلك في الحرب، كل إشاعة تطلق تستهدف أمراً ما، حتى تلك التي تبدو ساذجة في شكلها أو مضمونها. هذا هو شأن مطلق الإشاعات، وهم قلة. أما الذين يتناقلونها ويروجونها وعلى كثرتهم، هم مثل الببغاء الذي يردد ما لا يفهم، هؤلاء كسالى بطبعهم لأنهم لا يجهدون أنفسهم بتحليل وتعليل ما يتناقلون، فينطبق عليهم قول الرفيق سعيد تقي الدين (..إن ذاك البغل الذي يدعونه الرأي العام).

لقد نشطت مخيلة بعض الناس، على أثر بيع الرز في باحة مجمع أنترا، وراحت تحيك الأخبار والإشاعات. تناقل الناس عدة روايات ما زلت أذكر بعضها:

– برنس جونسون أوكل مهمة بيع الرز إلى مصطفى الشيخ علي.

فاستطرد فريق آخر :

– مصطفى الشيخ علي قد استولى على كل مستودعات الرز، وهو يبيعها لحسابه وحساب برنس.

ثم تجاوزت هذه الخبرية ليبيريا وقامت بجولة على أفريقيا ولبنان وأوروبا وأميركا وفي كل مكان فيه من يعرف مصطفى الشيخ علي، ثم عادت إلى ليبيريا بحلة جديدة تفيد:

– بأن الأمم المتحدة قد أسندت إلى مصطفى الشيخ علي مهمة توزيع الرز، وها هو يبيعه.

وراح الناس، غيابياً، يحصون ويخمنون الأرباح التي يجنيها.

وبهذا المنحى انقسم الناس إلى ثلاث فئات:

فئة كبيرة تحب مصطفى الشيخ علي .. ولا تفكر فبررت له عمله وفرحت لأجله. وفئة كبيرة أخرى ممن تخاصم مصطفى الشيخ علي .. ولا تفكر أيضاً، غارت منه وحسدته.

وفئة قليلة جداً تفكر وتؤمن بالعقل سيداً أعلى .. وبغياب المعطيات لم تأخذ بتبريرات هذه ولا بادعاءات ذاك.

إن الذين يحيكون الإشاعات هم دائماً بحاجة إلى نسيج ينسجون منه إشاعاتهم، هم بحاجة إلى (لا إله...) أما الذين يريدون نفي هذه الإشاعات، فيجب أن تتوفر لديهم المعرفة بكل المعطيات، حتى يستطيعوا دحض هذه الإشاعات واستكمال الحقيقة بـ(...إلا الله).

* * *

منذ الصباح الباكر والناس يتجمّعون أمام البوابة، وقد اصطفوا جميعا في صفوف منتظمة، وذلك في محاولة منهم لاسترضائنا وتشجيعنا على المضي في بيع الرز.

في الصباح زارني برنس، كعادته، كذلك نرش وسامي حيث تزامنت زيارتهما مع زيارته .. كعادتهم. قدمت لهم آخر ما تحتويه خزائني وما يصلح منه للضيافة.

شرحنا له معاناة البارحة بعد أن دفعنا له ثمن الرز. (ترك بعض المال معي لاسترداده في وقت آخر) فأبدى تأسفه وانزعاجه، ثم سألنا إن كنا نود مساعدته في بيع المزيد من الرز. خاصة أنه شاهد مئات من الناس مصطفة خارج المبنى، فطلبنا إليه تأجيل الموضوع ليوم آخر ... لكنه يوم لم يأت. لأننا لم نرغب في إعادة التجربة.

رافقناه إلى البوابة، حيث تجمهر الناس حوله، فراح يخاطبهم شارحاً لهم مبادئ ثورته، فصفقوا له طويلاً .. ولكن .. أين الرز؟

مساءً أصرت قوات الرئيس دو على أن تمسِّينا، فأرسلت إلى منطقتنا بضع قذائف، خصت مبنى أنترا وجواره بأكبر عدد منها.

* * *

إن كنت ممن لا يؤمنون بالأشباح، فليتك كنت عندي عندما حضر إلى شقتي .. ما يشبه إنساناً .. أعرفه. كان يكابر على الوقوف بجسد نحيل عاجز عن حمل نفسه.

مرت لحظات وأنا أتأمله، وكلانا يقف في الجهة الأخرى من الباب. كأنه يتوسلني بعيونه كي أسمح له بالدخول، حالته لم تكن لتتحمل كثرة الأسئلة .. انه عبدالله حمدان الذي يقيم مع الرفيقين عزام ورائف بعد أن خسر بيته ومتجره في منطقة بينزفيل (Payensville). أخذت بيده إلى عيادة جاري الطبيب الليبيري. حيث تركته بضع ساعات حقن خلالها ببضعة أكياس من المصل الممزوج بآخر ما توصل إليه الطب من مستحضرات مكافحة حمّى الملاريا الجديدة، أو الملاريا السوداء كما يدعوها بعض الناس.

مساءً عدت به إلى شقتي، حيث لزم الغرفة التي سمِّيت (عيادة) بعد أن أخلاها الرفيق رائف متعافياً.

منذ فترة تردد وسائل الإعلام خبراً يفيد أن بعض وحدات التدخل السريع التابعة للبحرية الأميركية، تنتظر في المياه الإقليمية الليبيرية، مما أعطى بعض الناس أملاً بالتدخل الأميركي عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. مع أن الحاجة .. دعت .. وألحت بالدعوة لمثل هكذا تدخل ولم تتدخل هذه القوات. علماً أن الأميركيين قالوا أكثر من مرة أنهم لن يتدخلوا بما يعتبرونه شؤونا ليبيرية داخلية، وما وجود قواتهم إلا لحماية المصالح الأميركية. غير أن آمال الناس بقيت معلقة

على هذا التدخل.! لكن وجودهم داخل أو خارج المياه الليبيرية كان يطمئن السواد الأعظم من الناس بأن (رامبو) سيغير رأيه في الوقت المناسب..!

في هذا الصباح رأينا بعض الطوافات الأميركية في أجواء العاصمة، تحوم فوق مبنى السفارة الأميركية ثم تهبط، فيهلل المراهنون على (رامبو) ويفرحون. لأنها عملية إنزال تتم على أرض السفارة، ولكن سرعان ما تبددت آمالهم بعد أن عرفوا بأن عملية الإنزال هي فقط لحماية السفارة وإنزال بعض مكونات الهمبرغر.

* * *

الرهائن

بدأت أقيم علاقة مع برنس، لكنني لا أدري إن كانت هذه العلاقة كافية للتدخّل لديه لإطلاق سراح الرهائن؟ كيف السبيل لإنهاء هذه المسألة التي تضر به ولا تنفعه؟. فالغالبية المطلقة من الرهائن هم لبنانيون، وليس لدولة لبنان نفوذ في الأمم المتحدة حتى تفرض التدخل العسكري في ليبيريا. كما أن المواطن اللبناني لا يعني لدولته شيئاً في مثل هذه الأحوال، ويد النظام اللبناني قصيرة وقصيرة جداً. كذلك يجب على برنس تشجيع ما بقي من أجانب، ولا يجوز إهانتهم.

كنت استعرض كل هذه الأمور وكيفية طرحها على برنس، عندما حضر السيد نرش، تبادلنا الرأي بهذا الشأن، ثم أبدى استعداده لمرافقتي. علماً أن أحداً منا لم يكن يعرف بالتحديد قاعدة برنس العسكرية، أو مكان وجود الرهائن.

همت بتغيير هندامي وإصلاح شأني بما يليق بزيارة الأمير (كما أصبحنا - نحن اللبنانيين- ننادي برنس، فهذا معنى اسمه باللغة العربية) فالحرب عودتنا على الإهمال واللامبالاة، فالشورت أصبح الزي اليومي لغالبية اللبنانيين. أما حلاقة الذقن فأصبحت مسألة مزاجية أو موسمية، فما إن فرشت الصابون على ذقني حتى سمعت قرعاً شديداً على الباب، الذي سبقني نرش إلى فتحه، فإذ بالسيد لاري غرين يلهث بعد أن تقطع نفسه ، فتعاونت أنا ونرش على تهدئته. سمعناه يقول: إنه مجنون .. إنه مجنون .. برنس جونسون مجنون .. رجل مجنون، لقد قتل معاوني .. برنس قتل معاوني.

من هو معاونك.؟ سألناه

إنه يعمل في الصليب الأحمر، وكان يساعدني في بيع الرز لحساب برنس.

ولماذا قتله.؟ سألناه

بتهمة جني الأرباح غير المشروعة من بيع الرز؛ .. ثم أردف .. أريد اللجوء إلى السفارة الأميركية حتى يتم نقلي إلى خارج البلاد .. فأنا أميركي الجنسية.

(تبين لاحقاً أن معاونه لم يكن في الصليب الأحمر، بل كان يرتدي ثياباً تابعة للصليب الأحمر كان فد ألبسه إياها لاري ذاته، وباع الرز بأغلى من السعر الذي وضعه برنس. غير أن وسائل الإعلام الأجنبية نقلت مقتل أحد عمال الصليب الأحمر على يد برنس جونسون.)

عند هذا الحد بدت علامات القلق والخوف على وجه نرش، الذي ما زال يعاني من منظر القتيل الذي شاركه أحلامه، أو كوابيسه، منذ سقط ونزف دمه فوق أكياس الرز أمام البوابة، مقابل

شباك غرفة نوم نرش. "لقد عانى من هذه المسألة فترة طويلة". فراح هو الآخر يفكر في اللجوء إلى السفارة البريطانية، كونه يحمل جنسية صاحبة الجلالة.

فقال لي: سأذهب لمقابلة السفير البريطاني لأمر هام، وسأعود عندما تكون جاهزاً للذهاب إلى برنس؛ قال هذا وخرج مع لاري.

تجهَزت للذهاب إلى برنس، وجلست أنتظر نرش وقناعتي شبه أكيدة بأنه لن يعود.

وكوني أنا أيضاً أصبحت بحاجة لإعادة تقييم قناعتي .. فتريثت.

مساءً، سمعنا ال BBC تذيع نبأ الرهائن الأجانب الذين يحتجزهم برنس جونسون، مع تعليقها بأن برنس غير جاد في تهديده. ويحهم .. ألم يكن في تعليقهم هذا تحريضاً له على القتل، حتى يثبت جديته وتهديده.؟ وهل في مثل هذه الظروف يستفز شخص مثله؟.

* * *

قد ينجح المرء في كبح آلامه ولجم أحزانه ومعاناته في يقظة النهار. لكنه .. وإن كبرت همومه وتحولت إلى كوابيس تشاركه ليله .. فيطول... . بعد ليل طويل ... طويل شاركتني به الشياطين والأفاعي والأباليس، من السيد ي.ن الذي سلبني مالي، إلى العوز الذي بدأت أخاف منه على عائلتي، وهذه الحرب التي بدأت تشمل اللبنانيين جوعاً وقتلاً ... ورهائناً، قضيت الليل متنقلاً بين هذه الكوابيس. ألاحق الأسباب .. فتلاحقني النتائج، ألهث وراء وسادة من المبررات أسند رأيي إليها.

استيقظت هذا الصباح ألملم قواي المنهكة، بعد أن بعثرتها الخيبة وأرهقها القلق، رحت أستجمع حيويتي لمواجهة يوم جديد، مبتدئاً برشف الركوة الأولى من قهوة الصباح. تذكرت عبدالله حمدان الذي

خرج لتوّه من غرفة العيادة، وبدت عليه بعض علامات الراحة والتحسن والكثير من التقرحات حول أنفه وفمه، لشدة حرارة الملاريا. تذكرت أيضاً، أنه لا يملك من الثياب إلا تلك التي كان يرتديها ساعة وصوله، وهذه قد تبللت من العرق وجفت عدة مرات، وبدأت رائحتها تضايقه ... وتضايقني. لم يكن لدي ما يناسب حجمه من الثياب، فهو يميل إلى القصر والنحافة، وأنا أميل إلى السمنة والطول معاً. فاقترحت عليه أن يبدل ثيابه بأي شيء من عندي، حتى تغسل ثيابه ريثما نحصل له على بعض الثياب. وهكذا حصل، ارتدى قميصاً وشورتاً اضطر معهما إلى إسناد الشورت بيده كلما أراد الوقوف .. أو المشي. كان جالساً عندما دخل البيت فجأة، مسلحون من جماعة برنس. وبعد أن وجهوا أسلحتهم إلينا، بلّغونا أننا محتجزون، وعلينا مرافقتهم إلى القاعدة العسكرية في كولدويل. حاولت التخلص أو التملص بالأسلوب الليبيري المعهود، ولكن بدون إلحاح .. لحراجة الموقف. قبلت مرافقتهم .. فالأمر سيهون عندما يراني برنس. لكنهم أصروا على اصطحاب عبدالله حمدان، دون أن يشفع له سوء حالته الصحية. سألني رأيي باصطحاب أدويته، فوافقت قائلاً؛ من يدري .. قد تطول إقامتنا في ضيافة الأمير.

حمل أدويته بيد .. والشورت باليد الأخرى، وغادرنا البيت بعد أن تأكدنا من إقفال النوافذ والأبواب، فلم ننس أنه مر على احتجاز البعض ثلاثة أيام. وعند مرورنا بالجهة الثانية من المبنى حيث يقيم سامي الجمل وأنطوان هلهول. أشار أحد المسلحين متسائلاً .. من يقيم في هذه الشقق؟ فأجابه عبدالله على الفور .. لقد رحلوا إلى لبنان، فسرعة جوابه أوحت بالثقة والصدق، فقبضها المسلح "وزمط" كل من سامي وأنطوان. ما زال بودّي أن أهنئه على سرعة بديهته في الكذب، الذي يعتبر فضيلة في مثل هذه الأحوال.

.. اعترفت على الفور بأن السيارة الواقفة في الداخل هي ملكي، خوفاً من أن يفتحوها خلعاً. صدرت أوامر أحدهم بأن السيارة قيد الاعتقال.! مرّت لحظات وانطلقنا باتجاه القاعدة، وسرعان ما أوقفنا ليدفعوا بالسيد منير نهرا داخل السيارة، فما إن رآني حتى عاد بعض الطمأنينة إليه، (فهو يعرف علاقتي ببرنس). سألته عن زوجته قال إنها في البيت، فحمدت الله على كونهم ما زالوا يراعون وضعية النساء الأجنبيات.

اكتظت السيارة بسبعة أشخاص، وقد جلس نصف الواحد منا على نصف الآخر. بعد بضع دقائق فقط وصلنا إلى الحاجز الأول والرئيسي على مفرق القاعدة (كولدويل). توقفت بعد أن أصدرت لي الأوامر بذلك، فتقدم نحونا من اعتبرناه مسؤول الحاجز. بلَغَه معتقلونا بطبيعة مهمتهم فأشار إلي مسؤول الحاجز وكان تأثير الخمرة واضحاً في حركاته، متسائلاً إن كنت في عداد المعتقلين، فأجابه من كان معنا .. بنعم. فثارت ثائرته على كل الموجودين في السيارة من مدنيين وعسكريين، إذ كيف يسمح لمعتقل مثلي أن يقود السيارة، فأمر العسكريين بالنزول من السيارة، باستثناء عنصر واحد طلب إليه قيادة السيارة إلى القاعدة، فأخبره هذا العنصر بأنه لا يحسن قيادة السيارات، وكان الخوف بادياً عليه مثلنا إن لم يكن أكثر. غضب قائد الحاجز من جديد وراح يأمر بإنزالنا من السيارة وإعدامنا على الفور، لأن وضعنا هذا أصبح عبئاً عليه وعلى الثورة، فالفيلد مارشال جونسون أصبح لديه الكثير من الرهائن الأجانب. وما نحن سوى زيادة عدد ثم عاد يكرر أوامره بإنزالنا وإعدامنا فوراً.

في هذه اللحظات احتشدت في رأسي أفكار كثيرة، وبشكل لم أعد أسمع سوى صدى أفكاري أنا، التي أصبح لها عقل ولسان (كنت أهذي على ما أعتقد) علماً أن كل الموجودين في السيارة

تكلموا مع قائد الموقع دفعة واحدة، لا أدري لماذا كان المسلح الذي معنا أكثر خوفاً من أي منا، وهذا ما زاد من خوفنا. رحت أهدّئ من روعه، طالباً إليه أن يتسلق على من يجلس بيننا وينتقل إلى مقعدي كي أعلمه قيادة السيارة في أقل من دقيقتين، فالمسألة في غاية السهولة.

كان همي أن نبتعد عن الحاجز قبل أن تتحول تهديدات هذا الثمل إلى جد، فنصبح في عداد الموتى. كنت أتجنب الخروج من السيارة كي لا أطيل من عمر هذه اللحظات، فتمت عملية تبادل المقاعد في داخل السيارة.

في الطريق الترابية المؤدية إلى القاعدة حيث كثر الوحل على جانبيها والحفر في وسطها. راح سائقنا الجديد يتنقل بين جانبي الطريق دون أن يترك حفرة واحدة تعتب عليه، كالكثيرين ممن تأخذهم النشوة لم يعد سائقنا يصغي إلى تعليماتنا، فاكتفينا معه بغيار السرعة الثاني، واكتفى هو مزهواً بالضغط الشديد على البنزين. وكلما زادت سرعة المحرك وعلا صوته، ظن صاحبنا أن السيارة في سرعتها القصوى، وشعرنا نحن بأن خطر الطريق أصبح أشد من خطر الاعتقال ذاته.

وصلنا إلى باحة احتشد فيها الكثير من الجند، فراح بعضهم يراقبنا ونحن ننزل من السيارة، لا شك أنهم ينتظرون المزيد من الرهائن. سمعت صوت برنس يناديني فتعرفت عليه بين رجاله وكان يرتدي الكوفية، فهو يعتبر ياسر عرفات ومعمر القذافي قدوة له، (وهذا ما أبعد الأميركان عنه). تقدمنا نحوه جميعاً، ففتح ذراعيه وعانقني وكذلك فعل مع السيد منير نهرا بعد أن دعاه باسمه أيضاً (لا شك أن برنس يملك ذاكرة إلكترونية). فانقشعت أسارير السيد نهرا، ودخلت إلى قلبي الطمأنينة، فلكونه تعرف علينا، سيطلق سراحنا فوراً. وبعد عناقه

مع المستر نهرا وصل الدور إلى السيد عبدالله حمدان (الذي أصبح رفيقاً سورياً قومياً اجتماعياً في ما بعد) الذي لم يكن على معرفة ببرنس من قبل، كان واضحاً أن برنس سيعانقه مثلنا، فارتبك عبدالله لأنه كان يحمل كيس الدواء بيد ويسند الشورت باليد الأخرى، فكيف السبيل لمعانقته؟ لكن برنس لم يترك له مجال التفكير، فما كان من عبدالله إلا أن ترك كل شيء بحاله وهمَّ بمعانقة برنس، بينما بدأ شورت عبدالله بالسقوط، فسارعت أنا برفعه.



جمجمة على أحد الحواجز في الطريق إلى القاعدة

ما إن انتهت حفلة العناق هذه، حتى بدأ برنس بتأنيب الذين اعتقلوني وأحضروني إلى القاعدة، ما زلت أذكر قوله على الطريقة الليبيرية، (عندما طلبت إليكم اعتقال كل الأجانب، أنا لم أقصد كل الأجانب). قال هذا وأصدر أوامره بأن يعود الأخ مصطفى (كما يحلو له أن يناديني) إلى بيته، والمستر نهرا والمستر "همدان" بأن يبقيا قيد الاعتقال. أصابتني الخيبة التي بدت واضحة على وجه السيد منير نهرا، الذي كان مثلي شبه متأكد من إطلاق سراحه. اقتيدا إلى داخل المبنى، حيث كان بقية المعتقلين، وبقيت أنا واقفاً مع برنس وهو يجاملني بالحديث، كنت بين الحاضر والغائب، أفكر في الأسلوب المناسب لإقناعه بإخلاء سبيل المعتقلين، وأنا أحاول الإصغاء إلى حديثه. فأتت محاولتي على الشكل التالي: يا حضرة الرفيق برنس (سمعته يستعمل هذه العبارة) إن الغاية التي تريدها من وجود الرهائن كمادة تحريض كي تدفع بالأمم المتحدة للتدخل، هذا أمر مهم وعظيم. غير أن نوعية هؤلاء الرهائن، كلهم لبنانيون وألماني واحد، قد لا تخدم غايتك، فالأمم المتحدة لا تكترث لمواطني العالم الثالث. ثم رحت ألقي على مسامعه ما كنت قد استعرضته في يوم أمس بينما كنت منتظراً السيد نرش الذي ذهب ولم يعد. لم أكن متأكداً من مدى إصغائه لي، لكنه عانقني وهمس في أذني : لا تقلق لن يلحق الأذى بأحد منهم، عندئذ طلبت إليه أن يخلي سبيل نهرا وحمدان، فأجابني سلباً، قلت إن أحدهم مريض وكان طريح الفراش عندما دخلوا علينا واعتقلونا، أجابني أن في القاعدة أطباء يهتمون بأمره، ويجب أن لا أقلق بشأنه. لكنه سرعان ما غير رأيه وأمر بإخلاء سبيل عبدالله حمدان، معلقاً بقوله: نحن لا نريد أن يموت أحد من الأجانب في معسكرنا، قالها بين الجد والهزل.

كنت أفكر في السيد نهرا وغيره من المعتقلين، لكنني خفت من الإلحاح عليه، فالظرف وكثرة من حواليه يفرضان التريث، الأفضل

أن أكلمه في وقت يكون أكثر استعداداً للإصغاء. تذكرت المال، الذي ما زال بحوزتي من مبيع الرز، ربما يكون وسيلة للقائه والتكلم معه، فسألته متى سيحضر إلى منزلي لأسلمه ما تبقى من مبيع الرزّ، أجابني بأنه سيكون عندي خلال ساعة على الأكثر. فاطمأنيت لوعده وقفلت راجعاً بصحبة عبدالله، بعد أن استرجعنا السيارة من المقاتل الذي ما زال يتدرب على قيادتها في طول الطريق وعرضه.

في مدخل أنترا كانت تنتظرنا عقيلة السيد نهرا، التي افتقدت زوجها الذي لم يصطحبنا إياباً. والتي بدأت بالبكاء قبل أن أقول لها شيئاً. ولكوني كنت محتاراً بما أقوله لها، فرددت على مسامعها تطمينات الأمير وكيف أني أنتظر قدومه لأقنعه بإخلاء سبيل زوجها وباقي الرهائن. أعلمتني أن زوجها يعاني من داء القلب. وجلسنا جميعاً ننتظر برنس حتى بلغت الساعة السابعة مساءً. فأيقنا بعدم حضوره بعد هذا الوقت. فعزمت على الذهاب إليه في صباح اليوم التالي.

نمت في تلك الليلة وفي رأسي تدور عشرات الحجج وأساليب الإقناع، طبعاً هذا إذا ما وجدت لدى الأمير رغبة في الاستماع.

Liberia rebels release hostages

MONROVIA: Liberian rebel leader Prince Johnson has freed all 16 foreign hostages held in the capital. Prince Johnson seized the hostages, including an American and four Britons last weekend as US marines staged a helicopter rescue of Americans from the West African state which is torn by civil war. Prince Johnson arrested American, British, Lebanese and Indian civilians in the hope of provoking international intervention in the seven-month conflict. The hostages included two West Germans, a Dutchman and an Argentinian who were taken from their hotel by forces attempting to oust President Samuel Doe.


Prince Johnson

نسيت أن أذكر أنه بعيد عودتنا من القاعدة بساعة واحدة، دخل علينا مسلحون يريدون اعتقالنا من جديد. فاختلف أسلوب التعامل معهم هذه المرة بعد أن تأكدت من موقعي لدى الأمير. نهرتهم منتقداً تصرفاتهم ، فغادروا مسرعين ضاحكين. وهذا دليل آخر على عشوائية الاعتقالات.

في صباح يوم الثلاثاء 7 آب أخلي سبيل كافة الرهائن دون أن يتأذى أحد منهم. فأفرج عن جارنا وصديقنا منير نهرا - بلا جميلتي - بعد أن نام ليلة في ضيافة المير، استوحى خلالها عنوان كتاب - رهائن الرعب - الذي وعدنا بتأليفه. وعمّت السعادة قلوب اللبنانيين، إذ فرح من أطلق سراحه، واطمأن من كان ينتظر دوره.

وشاركتنا البهجة قوات الرئيس دو، إذ أرسلت إلى جو منطقتنا عدة قذائف صاروخية، فأتت على بعض البيوت والممتلكات وسجّلت بعض الإصابات.

كنا نسمع تراشق نيران في وسط المدينة، يقترب حيناً ويبتعد أحياناً، دقائق من الوقت أو ساعات قد تفصل ما بين غزيره وخفيفه، والمقاتلون بين كرّ وفرّ، إذ ليس لهم مواقع ثابتة، تشير إلى تقدم هذا أو تراجع ذاك، فالرصاص أكثره يطلق في الهواء، والقتلى أكثرهم من المدنيين الذين على مرأى من مسلح خائف أو سكران.

أما غزارة النيران فسببها كان تغطية هرب أو سرقة. كل هذه الأمور كانت تحصل بين الساعة السادسة صباحاً والسادسة مساءً. فالليل لم يكن وارداً في قاموسهم العسكري.

وكذلك جرت العادة عند رجال دو بأن ينهوا نهارهم بدزينة قذائف صاروخية يوجهونها نحو منطقة البوشرد أيلاند (منطقتنا) وكأني بهم ينادون .. يا قطّاع الرؤوس.

وفي هذا اليوم أيضاً نزل عبدالله إلى الحديقة - البحيرة - بعد أن تحسنت صحته وبدأت العافية تتلمس طريقها إليه. راح يتجول في البحيرة يجمع ويصلح ما عام وتفرق من أدوات وأواني تجمع ماء الشتاء. سمعت صوته يناديني معلناً أنه يرى عزام سبيتي على البوابة .. وكذلك سليم عزالدين .. لكن سليم .. وخفت صوته.

نهضت أستطلع الأمر .. فإذ بالرفيق سليم نصف محمول من الرفيق عزام، معاً يحاولان اجتياز البحيرة للوصول إلينا. هرعنا نساعدهما، فالرفيق سليم قد أصيب برصاصة طائشة مرت من صدره ورست في زنده. ما لم يقل خطراً عن الإصابة هو المجازفة بحياتهما والتنقل بين شقتهما حيث أصيب سليم وعيادة الدكتور عارف قصاص التي لا تبعد أكثر من نصف ميل من غزارة نيران عشوائية عن الشقة. وبعد أن أجريت الإسعافات الأولية له، عادا واستكملا طريقهما نحوي من منطقة سيطرة الرئيس دو إلى منطقة سيطرة برنس، بما في ذلك من مخاطرة أكبر لطول الطريق وكثرة الحواجز والمسلحين. ويبقى الخطر الأكبر على الرفيق سليم هو تأمين العناية الطبية اللازمة له. لا شك بأن المعنويات العالية التي يتمتع بها وصبره وجلده، قد ساعدنا على تخطّي المرحلة.

بعد ظهر هذا اليوم زارني برنس ومعه ما لا يقل عن خمسين مرافقاً، وبعده بدقائق فقط دخل بعض المسلحين ومعهم الرفيق جهاد عبد الخالق، وكان قيد الاعتقال، تعانقنا إذ لم نتلاق منذ أن فصلتنا مناطق النفوذ. أخبرني الرفيق جهاد عن اعتقال الرفقاء حسن مقبل وسليم عبد الخالق والمواطن علي قبلان، من قبل رجال برنس ولم يعرف عن مصيرهم شيئاً منذ الصباح. ولما سألته عن التهمة الموجهة لهم أجاب: أن الموضوع متعلّق بمحطة المحروقات التي يملكها هو ويديرها الرفيق سليم عبد الخالق، لأنهم كانوا يبيعون المحروقات

لنظام الرئيس دو. أما اعتقال الرفيق حسن والمواطن علي فتمَّ خطأً لأنه هو المقصود وليس هم، لذلك حضر إلى منطقة برنس ليسلم نفسه مقابل الإفراج عنهم.

ثم دخل من يخبر برنس بأن القائم بأعمال السفارة البريطانية يود مقابلته، وهو ينتظر خارجاً، فاقترحت على برنس دعوته حيث نخلو لهما الصالون، وهكذا كان، خلال اللقاء دعاني برنس للدخول بصحبة الرفيق سليم عزالدين، ثم استرسل بالشرح للمسؤول البريطاني عن اعتداءات رجال دو على الأجانب، وبالأخص ذوي البشرة البيضاء منهم. وأعطى حادثة سليم (المتعمدة) مثالاً حياً على ذلك. خرج سليم وكذلك القائم بالأعمال البريطاني، فاغتنمت فرصة بقائي وحيداً مع برنس والكولونيل فارني لأدفع بقية حساب الرز - وكانوا قد نسوه أو تناسوه لا أدري - وأبحث قضية المعتقلين الثلاثة والرفيق جهاد عبد الخالق، فانتهى الإشكال وأوفد من يفرج عنهم.

أصر الرفيق جهاد على مرافقة وفد الإفراج بدلاً من الانتظار عندي. خرج الجميع وكانت الساعة تقارب السادسة مساءً. ثم أتى من يبلغني بأمر اعتقال الشباب معتذراً عن التأخر لصعوبة التجوال، قلت له أطمئنَ لأن الموضوع انتهى .

وصلني بعدها أن الرفيق حسن مقبل مستاء مني لأني لم أتدخل لإطلاق سراحه .. صدقوني!

على الهامش

ما إن سمحت الظروف بالتحرك، حتى قصد سعادة السفير اللبناني الأستاذ ميشال البيطار قاعدة برنس جونسون للتحدث إليه بأمور تتعلق بأوضاع الجالية اللبنانية. غير أنه لم يجد أذناً صاغية-بسبب

الفوضى- التي تعم مكتب برنس. فطلب سعادته، بعدما سمع عن حسن علاقتي ببرنس، من السيد علي قبلان ، الذي يقطن بالقرب مني، أن أؤمن لسعادته لقاءً مع برنس في شقتي. وفعلاً رتبت هذا الأمر وأعلمت سعادته بموعد الاجتماع، فاعتذر لأسباب ما عدت أذكرها. وطلب تأجيل اللقاء لليوم التالي، فتم له ذلك. لكنه غادر البلاد ولم يتم اللقاء. السفير اللبناني كان آخر من غادر ليبيريا من السفراء.

في صباح يوم الخميس 9 آب استيقظت على قرع شديد كأن مدافع الرئيس دو تدك باب شقتي. قفزت لأستطلع الأمر، فوجدت أن كل من في الشقة وعددنا أصبح خمسة، مستنفرين مثلي، فتح الباب، وكان السيد سامي الجمل وتعابير وجهه تدل على كارثة وقعت، وراح يتكلم بسرعة رشيش أوتوماتيكي، لكنه لا يطلق الكلام بل يبصقه بصقاً، شأنه في كل مرة يروكب، وبعد أن فرغ خزانه الأول، استوقفته قبل أن يلقم الخزان الثاني وقلت له إني لم أفهم شيئاً مما تقوله، فلماذا لا تقول لي بهدوء ما الذي تريده مني. فقال: تعال معي إلى القاعدة لأنهم اعتقلوا الحاج محمد فواز (وهو نسيب السيدين قاسم وعباس فواز) منذ مساء البارحة ولم يعد، فاصطحبت الرفيق عزام وانطلقنا.

في الطريق صادفنا سيارة يقودها تحسين الدقاق (مواطن فلسطيني يعمل في الصحافة) وكان ناشطاً إعلامياً في تنظيم برنس، ومعه كل من الرفيق حسن مقبل والرفيق جهاد عبد الخالق والسيد إيليا حداد وكان الأخير رئيس الجامعة الثقافية اللبنانية - فرع ليبيريا - مشينا بمحاذاتهم وبادرناهم التحية و..خير إن شاء الله، فأجابوا مجرد زيارة للأمير، وبعد السلام والكلام تابع كل منا مسيره.

في دار الأمير جلسنا نتبادل أطراف الحديث، منتظرين حضوره،

بينما راح الرفيق عزام يتحرى لنا أخبار الحاج محمد فواز. أخبرني الرفيق حسن عما عاناه يوم أمس، وكيف قتل أحد المواطنين الليبيريين على مرأى منه، وكيف هدد هو وباقي الشباب معه بالقتل لتعاملهم مع نظام الرئيس دو ومده بالمحروقات. كذلك أخبرني عن عرضين قدما له مقابل الإعفاء عنهم.

العرض الأول قدمه مواطن ليبيري كان شريكاً سابقاً للرفيق حسن مقبل ويدعى لاري كبوتي LARRY GBOTTI (قتله برنس في ما بعد) ويقضي بأن يبيع حسن كمية السمك الموجودة في براده وتتعدى الأربعين ألف كرتونة بسعر كلفة المحروقات التي يستعملها مولّد الكهرباء.

والاقتراح الثاني قدمه تحسين الدقاق، ويقضي بأن يبيع الرفيق حسن كرتونة السمك ب15 دولاراً ليبيرياً (3 دولارات أميركية).

طبعاً، أتى هذان الاقتراحان في سياق التفتيش عن وسائل الإفراج.

وكيف أن حسن وافق حتى على تسليم مفاتيح البراد مقابل الإفراج عنهم، وهو تحت ضغط المساومة على حياته وحياة من معه. فوعدته بأني سأحاول حل هذا الموضوع مع الأمير.

قمت مع سامي بتعريف الموجودين عندما دخل برنس، وجلسنا نستمع إلى تعليقات برنس حول ما يجري على الساحة الليبيرية، فهو يحب الكلام إلى درجة تظنه لا يستمع إطلاقاً، وهذا صحيح إلى حد بعيد، فإذا أردت أن تقول له شيئاً فعليك أن تختصره بشكل لا يتجاوز الثلاثة جمل، وأن تغتنم فرصة مناسبة لتقولها.

والوضع هو ذاته في كلتا الحالتين. فسواء كان الموضوع يهمك أو

يهمه هو شخصياً. هذا بالإضافة إلى كونه عديم الثقة بالغير. ففي هذا اللقاء كان للسيد إيليا موضوع يتعلق بالبضاعة الموجودة في المرفأ (الذي كان تحت سيطرة برنس) فالسيد إيليا حداد يملك مستودعاً على المرفأ، وبالتالي هناك أنواع من البضاعة قابلة للتلف عند انتهاء مدتها.

الموضوع كان جيداً من حيث المصلحة العامة، لكنه لم يجد الأذن الصاغية لدى برنس، فوضعت هذا الموضوع على قائمة اهتماماتي حين أجد الفرصة المناسبة لطرحه على برنس.

طلبت من برنس أن أحادثه على حدة، حينما راح السيد تحسين الدقاق يحاول فتح موضوع السمك وتسعيره، إذ كان الموضوع الأهم على جدول زيارتهم.

سألت برنس رأيه في زيادة عشرة دولارات على كل كرتونة سمك دعماً للثورة، مقابل أن لا يتدخل أحد بتسعير السمك. مذكراً إياه بأن حسن كان قد تبرع سابقاً بمئة كرتونة سمك للثورة. فوافق برنس وكذلك حسن .. وانتهى الأمر.

لا أذكر ما كانت الحكمة من وراء الاقتراحات التي قدمت حول بيع السمك بتلك الأسعار الزهيدة. إلا إذا كان المقصود هو إنعاش منطقة برنس وتوفير الغذاء الذي كان شبه مفقود، وبتلك الأسعار المنخفضة.

أما برنس فقد أوفد إلى المسمكة مجموعة مسلحة لحمايتها ليلاً نهاراً؛ وكي لا تعم الفوضى عند البيع.

انتهت الزيارة بعد أن عاد عزام مفيداً أن الحاج محمد فواز بخير وعافية وأنه في ضيافة الأمير، لكونه ملماً أو خبيراً بتركيب وتصليح أجهزة اللاسلكي. فعرفنا أنه في مأمن حتى ولو كان مرغماً على

هذه الإقامة المؤقتة، وقفلنا راجعين، فالأمير يكرم من هو بحاجة إليهم.

* * *

في 15 آب بدأ الوضع الأمني يزداد خطورة وتأزماً. من الناحية العسكرية تأمنت المدينة بيد برنس، باستثناء القصر الجمهوري وثكنة الجيش المحيطة به.

بعد اتصالات عديدة كان قد ساهم بها سعادة السفير اللبناني ميشال البيطار، وافقت الحكومة الأميركية على نقل الرعايا اللبنانيين، بواسطة طوافات الأسطول الأميركي إلى فريتاون عاصمة سيراليون المجاورة.

لا شك أن هذا العمل الذي استغلته أميركا إعلامياً، كان عملاً إنسانياً لو لم تتقاض جهة ما في السفارة الأميركية بدل 300 دولار أميركي عن كل شخص. أو توقيع تعهد بالدفع لمن لم يتوفر المبلغ معه.

وهنا أود أن أذكر حادثة بهذا الصدد.

حين أصر المسؤول في السفارة الأميركية على الدفع نقداً. دفعت أنا وحضرة المدير ثمن تذكرة لمواطن لبناني مريض لا يملك ثمنها، ولكن هذا المريض تحسنت صحته وعدل عن السفر. وبعد حين أوفدنا أحد الأشخاص مع الإيصال بثمن التذكرة التي لم تستعمل، نطالب بالتعويض عن هذا المبلغ. فأجيب موفدنا بأن المسؤولين عن هذا الموضوع غادروا، وليس للسفارة علاقة بهذا الشأن.

PAID Rec.# 0139

S1

EVACUATION DOCUMENTATION

OMB NO. 1405-0054
EXPIRES:
ESTIMATED BURDEN: 6 MIN.

NAME (LAST, FIRST, MIDDLE): Fayad. Adnan. Salah Eddine
SOCIAL SECURITY NUMBER:
NATIONALITY: Lebanese

DATE OF BIRTH: 1949
PLACE OF BIRTH: Ansar Libanon
☐ MALE ☐ ~~FEMALE~~

PASSPORT NUMBER: 134362
DATE ISSUED: April 17-1990
PLACE ISSUED: Monrovia

☐ USG EMPLOYEE
☐ USG DEPENDENT
☐ PRIVATE
☐ I.R. ALIEN
☑ FOREIGN NATIONAL

ACCOMPANYING FAMILY MEMBERS (NAME, SEX, DATE OF BIRTH, RELATIONSHIP): X

SPECIAL NOTES

☐ ILL-INFIRM (Comments)

EMERGENCY CONTACT (NAME, ADDRESS, PHONE NUMBER): Libanese Embassy.

☐ PROBABLE U.S. CITIZEN ☐ PROBABLE IMMEDIATE ALIEN ☐ OTHER

☐ PREGNANT ___ MOS.
☐ INFANT(S) - AGE

AUTHORIZING OFFICIAL (SIGNATURE AND TITLE): FRANKLIN L. MILHOUS
VICE CONSUL OF THE UNITED STATES

AUTHORIZATION FOR RELEASE OF INFORMATION UNDER THE PRIVACY ACT (SEE BELOW): I do hereby authorize the Department of State as well as U.S. Diplomatic and Consular Missions to release information concerning my welfare and emergency evacuation to: family, friends, individual members of Congress, members of the press, the general public (strike out inapplicable items).

SIGNATURE AND DATE: Adnan S. Fayad Nov. 7 90

PROMISSORY NOTE: I hereby promise to repay to the Department of State within 60 days after the signing of this note, and at an interest rate established in accordance with Federal Law, all expenses (including, but not limited to, transportation, subsistence, medical attention) incurred by the U.S. Government incident to my evacuation from Monrovia to Freetown.

I clearly understand that I am accepting evacuation of my own free will, at my own risk, that transport used may cost more than in normal circumstances and may not comply with normal international and safety regulations, that in the case of military aircraft travel the U.S. Government acts only as agent and not as contracting carrier, and that my passport will be amended to limit its validity until my debt has been repaid in full.

SIGNATURE AND DATE: Adnan S. Fayad Nov. 7 90

PRIVACY ACT STATEMENT
THIS INFORMATION IS REQUESTED UNDER THE AUTHORITY OF 22 USC [illegible] AND FURNISHING IT IS ENTIRELY VOLUNTARY. THE PRINCIPAL PURPOSE OF THE INFORMATION IS TO PROVIDE AN ACCURATE LIST OF AMERICANS BEING EVACUATED FROM FOREIGN COUNTRIES IN TIMES OF CRISES AND TO ASSIST IN COLLECTION OF EXPENSES INCURRED BY THE U.S. GOVERNMENT IN EVACUATING U.S. CITIZENS. ALL COPIES OF THIS FORM ARE DESTROYED AFTER PAYMENT OF THE PROMISSORY NOTE. IF THE REQUESTED INFORMATION IS NOT PROVIDED, AN AMERICAN CITIZEN WOULD STILL BE PROVIDED ASSISTANCE.

(SEAL)

COMMENTS CONCERNING THE ACCURACY OF THE BURDEN ESTIMATE, AND SUGGESTIONS FOR REDUCING THIS BURDEN, MAY BE DIRECTED TO CWS, OFFICE OF INFORMATION AND REGULATORY AFFAIRS, STATE DEPARTMENT DESK OFFICER, WASHINGTON, D.C. [illegible]

OPTIONAL FORM 23 (Rev. 7-88)
DEPT. OF STATE
NSN 7540-01-082-2804
ORIGINAL - M/COMP
5023-103

فما كان من حضرة المدير وأنا، إلا أن غلينا الإيصال وشربنا ماءه.

إن كل عمل يتقاضى بدلاً. تسقط عنه الصفة الإنسانية .. فلماذا كل هذه الجعجعة الأميركية.

الأميركان ما زالوا يعلنون عدم تدخلهم لإيقاف الاقتتال، معتبرين الموضوع شأناً ليبيرياً داخلياً. لكنهم ما زالوا يعلنون أيضاً عن استعدادهم لنقل الرئيس دو وعائلته إلى خارج البلاد .. إن هو أراد ذلك.

اختلفت الإشاعات والروايات حول هذا الموضوع. فالبعض يقول إن الرئيس دو يشترط ذهابه بصحبة المئات من رجاله (تراوح العدد بين المئة والثمانمئة، حسب مصدر الإشاعة) والبعض الآخر يقول إنه أسير رجاله في القصر، الذين أصبحوا على قاب قوسين أو أدنى من الموت قتلاً أو جوعاً. وآخرون قالوا إنه أسير قبيلته التي ترى في مغادرته البلاد وبالاً عليها.

مهما كثرت وتباينت الإشاعات، فالحقيقة أنه بقي رغم كل الاستعدادات الأميركية لنقله.

ابتدأت المجاعة تحصد الأطفال والرجال والنساء، كل الناس أصبحوا متساوين، فالفرق بين أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء وجبة طعام واحدة، وبين الأمّي والمتعلم غريزة البقاء. أذكر أني شاهدت محامياً كبيراً أعرفه قبل الحرب. يبيع بعض البرتقال المهرَّب من داخلية البلاد، على دراجة هوائية، كدت لا أتعرف عليه لسوء حالته.

من إيجابيات هذه الحرب، أن الخوف جمع بين الناس، فتناسوا كل فوارقهم الاجتماعية، وكذلك تناسوا أحقادهم في سبيل البقاء.

أما وضعنا كأجانب، فكان مستحباً من قبل المواطنين، فلا تمر مناسبة إلا ويشكروننا على البقاء معهم، نعاني، نتألم، نجوع ونموت مثلهم.

ما إن استتب الوضع الأمني لبرنس جونسون في الجزيرة، حتى بدأت تنتعش المنطقة تدريجياً، بعد أن توفرت فيها بعض المواد الغذائية الأساسية، مثل السمك المجلد الذي بدأ يباع من براد الرفيق حسن مقبل، وكان يرتفع ثمن الكرتونة كلما ابتعدت عن البراد باتجاه

منطقة دو، وكذلك الرزّ توفر بشكل جيد بين ما بيع منه وما وزّعه مجاناً برنس ورجاله. كذلك البضائع التي سرقت من بعض المحلات أو هُرِّبت من المرفأ (عوقب كل من ضبط يقوم بعمل السرقة، لكنهم لم يتحرشوا بمن كان ينقل بضاعة أو يبيعها) فعدم التحرش والتعدي من قبل رجال برنس على المواطنين شجع هؤلاء على عرض البضاعة وبيعها على أرصفة الشوارع، فأخذت المنطقة في الازدهار حتى استحقت لقب "المنطقة المقدسة".

في هذا اليوم أيضاً، وقع أربعة أو خمسة مقاتلين من رجال برنس بكمين لرجال "الخياط" (هكذا كنا نحن اللبنانيين ندعو تايلور) فقتلوا جميعاً وأخذت جثثهم إلى منطقة الخياط حيث أشير إلى جثة قائد الزمرة، وكانت مشوهة، وقيل إنه برنس جونسون، وفعلاً بث هذا الخبر عبر وسائل الإعلام التابعة للخياط، وكذلك نقلته ال BBC عن مصادر الخياط، ومع أن برنس اتصل شخصياً بال BBC في الخامسة مساءً ونفى صحة الخبر، صدق الكثيرون أن برنس قتل فعلاً.

هامش

كنت في زيارة لقاعدة برنس العسكرية، وصادف أن سمعته يتحدث إلى دفعة جديدة من مقاتلين كانوا قد أنهوا دورة تدريبية. فقال لهم: إن أمسكت بأحد منكم وهو يسرق فسأقتله. وان أمسكت بأحد منكم يعتدي على امرأة..فسأقتله. وان تخلى أحدكم عن موقعه..فسأقتله. وقال أشياء أخرى ما عدت أذكرها، لكنه أعاد على مسامعهم مثل هذا الكلام، مشدداً ومركزاً على قتل كل من يخالف هذه التعاليم. ثم سألهم ليتأكد من أنهم سمعوه وفهموه: ماذا سأفعل بمن سيسرق منكم: فأجابوه جميعاً وبصوت واحد: ستقتله. وماذا سأفعل بمن يغتصب امرأة؟ فأجابوه جميعاً وبصوت واحد: ستقتله.

وماذا سأفعل بمن يتخلى عن موقعه؟ وبصوت واحد أجابوه: ستقتله.

حسناً، فالذي لا يوافق منكم على شروطي هذه باستطاعته أن يترك حالاً..رددها مرتين.

وهل كان بينهم من يجرؤ على تركه؟

طبعاً، كان برنس يلتزم دائماً بالجزء الذي يتعلق به من هذا التعاقد.

غير أن رجاله بقوا يتصرفون، كأن الذي لم يمت منهم، لم ير من مات قبله.

حاشية

منذ فترة ونحن نتابع الحلول المقترحة للأزمة الليبيرية، ومثل كل الحلول التي ترعاها المنظمات الدولية، تسير ببطء، لأن عملية توزيع الأدوار والحصص مسألة شائكة وتستغرق الكثير من الوقت. فالحصص تأتي بحجم الأدوار والأدوار بحجم الأوزان، ويتم كل ذلك وفق مقاييس ومعايير دولية، تراعى فيها أطراف محلية وإقليمية وقارية وعالمية، وأخيراً ينظر بأمر الشعب المنكوب، بعد أن تطول أزمته خدمة للمستفيدين.

من سوء طالع الشعب الليبيري، أنه في عهد أزمته سقط الاتحاد السوفيتي فريسة السباق على التسلح. وانتهى بسقوطه صراع الدولتين العظميين على مناطق السيطرة والنفوذ. هذا الصراع - أو ما يسمى بالحرب الباردة - الذي عاش على جوانبه الكثير من دول أوروبا وآسيا وأفريقيا، بالأخص المتخلفة منها.

لم يعد لأميركا خصم يزاحم نفوذها، وبالتالي لم تعد لأميركا مصلحة تحثها على التدخل، فمن أهم المنشآت الأميركية في ليبيريا

هو بعض محطات التجسس، حتى هذه لم تعد بذات أهمية بعد أن تطورت صناعة الاقمار الاصطناعية.

بانتظار قوة التدخل الأفريقية، تلاعبت في مشاعرنا الكثير من الإشاعات. إذ وردتنا أخبار تفيد بأن القوة أصبحت مؤهلة وجاهزة للدخول إلى ليبيريا، وغيرها تقول؛ ما زال المعنيون بالأمر يبحثون مع الدول التي ستشارك في تشكيل هذه القوة. وأخرى تقول؛ إن القوة ستدخل خلال يومين، ونقيض لها يقول؛ إن القوة هذه لن تدخل إلا بموافقة جميع الأطراف المتقاتلة على الساحة الليبيرية، وأخبار تفيد بأن القوة ابتدأت بالدخول براً عبر الحدود الغربية مع سيراليون، وغيرها يؤكد أنها غادرت فريتاون بحراً.

تلاعبت هذه الأخبار بأعصابنا ومشاعرنا، حتى فقدنا الأمل والمراهنة على هذه القوة، فلم نعد نُعير هذه الأخبار - أو هذه القوة - أي اهتمام يذكر، ورحنا نعيش ليومنا .. كأننا نعيش أبداً.

وأخيراً تأهبت سفينة الحل في فريتاون، بعد أن تم اختيار قوة حفظ سلام أفريقية غربية تابعة لمنظمة ECOWAS بدعم مادي أميركي، وعيِّن الجنرال ARNOLD GUAINO (غانا) قائداً لها.

أما على الصعيد الليبيري فكان للأطراف المتنازعة مواقفها بين مؤيد ومعارض لقوة التدخل الأفريقية. من أسباب التأييد والمعارضة أذكر ما يلي:

- شارلز تايلور الذي كان يسيطر على 90٪ من الأراضي الليبيرية، ولم يبق سوى العاصمة منروفيا، وقناعته تقول إن إخضاع العاصمة أمر في متناول اليد، إذا ما أعطي الوقت الكافي لذلك. إذن هو ضد دخول قوات حفظ السلام الأفريقية، لأن وجود مثل هذه القوات سيمنعه من تحقيق رغبته في دخول العاصمة وإخضاع الجميع،

هذا من جهة، أما من الجهة الثانية، فانعكاس الخلافات الأفريقية الغربية على النزاع الليبيري، بين من يدعم تايلور ومن يدعم دو. إذ إنه من الناحية السياسية تنقسم أفريقيا الغربية إلى كتلتين: واحدة أنكلوفونية وأخرى فرنكوفونية، فالدول الفرنكوفونية الداعمة لتشارلز تايلور هي؛ ساحل العاج وبوركينا فاسو، تخلفت عن الاشتراك في قوات حفظ السلام الأفريقية (باستثناء غينيا) فتشكلت هذه القوات تحت الهيمنة الأنكلوفونية. فأعلن تايلور أن قواته مستعدة لقتال قوات حفظ السلام ومنعهم من دخول الأراضي الليبيرية. وفي هذا الاتجاه كان قد خطا خطوتين؛ واحدة باتجاه الحدود مع سيراليون ليحكم سيطرته العسكرية على المنطقة لمنع دخول هذه القوات برًا. والخطوة الثانية كانت باعتقال جميع رعايا دول أفريقيا الغربية المشاركة في قوات حفظ السلام، حيث تم تصفية العديد منهم.

أما الرئيس صموئيل دو، وبعد أن تخلى عنه كل وزرائه، حتى أبناء قبيلته، وأخذت تتقلص مناطق نفوذه وتنحسر تحت ضربات رجال برنس من جهة، ورجال تايلور من جهة أخرى، فحصر في منطقة لا تتجاوز العشرة بالمئة من العاصمة.

أصبح الرئيس دو فريقاً مقاتلاً على الساحة بعد أن كان نظاماً له علاقاته في الداخل والخارج، وكان على علاقة جيدة بالنظام العسكري في نيجيريا - بقيادة الجنرال إبراهيم بابنغيدا IBRAHIM BABANGIDA - تخوله الحصول على دعم مميز لو لم ينهزم جيشه بسرعة. وضعه الحالي سيئ من الناحيتين السياسية والعسكرية، وانقطاع المؤن والإمدادات يزيد وضعه سوءاً يوماً بعد يوم. إذن دخول قوات حفظ السلام الأفريقية سيكون لمصلحته مئة في المئة. لذلك كان مؤيداً بدون تحفظ لدخول هذه القوات، علماً أن تأييده من الناحية العملية لا ينفع ومعارضته لا تضر.

أما برنس الذي انفصل عن قوات تايلور ومعه حفنة من المقاتلين الذين تلقوا تدريباتهم في ليبيا على يد منظمة التحرير. يتقاسم رجاله بعض قطع السلاح المتوفرة لديهم. لقد جند المقاتلين في طريقه إلى العاصمة، وجهزهم بسلاح استولى عليه في معارك جانبية مع تايلور، وعند وصوله إلى منروفيا استولى على الكثير من السلاح والذخيرة من عناصر الجيش ومواقعه. لا شك أنه كان قائداً يتمتع بأهلية عسكرية تفوق بكثير ما لدى الرئيس دو وتشارلز تايلور، لذلك كان رجاله أكثر انضباطاً من غيرهم. وضعه الحالي جيد ومعنويات رجاله مرتفعة بعد أن أحكم السيطرة على 90٪ من العاصمة، لكنه لا يملك خطوط إمداد ولا أي دعم خارجي، ولم يكن لديه أي اتصالات بهذا الشأن، فهو نفسه لم يكن معروفاً إلا منذ بضعة أسابيع فقط. كما أنه لم يستطع استعمال بعض السلاح الذي استولى عليه، بالأخص الثقيل منه، لأنه لم يملك الذخيرة له وعدم توفر الذخيرة بشكل عام لديه منعه من تجنيد المتطوعين الجدد.

فالذخيرة كانت نقطة ضعف يحاول اخفاءها بشتى الوسائل، ولم يكن هناك أفضل من وجود قوات حفظ السلام وسيلة لذلك. وبحكم سيطرته على المرفأ - بوابة الدخول الوحيدة لهذه القوات، رفعت أسهمه على الصعيدين المحلي والأفريقي، وأخذ نجمه يسطع على هذين المستويين.

* * *

في حوالي السابعة من صباح يوم الجمعة 24 آب بدأت أنا، عزام وعبدالله نسمع تبادل إطلاق نيران، باتجاه المواقع المتقدمة على طريق SOMALIA DRIVE التي تفصل قوات برنس عن قوات تايلور، مما يدل على اشتباك حاصل بين الطرفين، كانت تتسع رقعته كلما تقدمت

ساعات النهار، ما إن بلغت الساعة الثانية بعد الظهر حتى امتدت الاشتباكات على طول المنطقة المحاذية للمرفأ. مما يعني أن قوات تايلور تحاول الاستيلاء على المرفأ.

اشتدت المعارك ما بين الرابعة والسادسة بعد الظهر حدة وضراوة، وحمي الوطيس، ابتدأنا نسمع صوت الرصاص من كل الطرق الفرعية وبين المنازل وداخل المرفأ بالذات. لم نعد متأكدين من الذي يسيطر على المنطقة، برنس أم تايلور؟

في السابعة مساءً هدأت حدة المعارك ولم نعد نسمع سوى رشقات متفرقة. لا شك أن أحداً يطارد فلول الآخر، تملكني بعض الخوف، فمن يدري إذا ما انتقلت السيطرة إلى رجال تايلور؟ قد يقوم هؤلاء (بدافع الانتقام) بأول زيارة شخصية إلى شقتي، لجهة تعاطيَّ مع برنس، فهم يجهلون الدوافع والحيثيات، وقد لا تعني لهم شيئاً على الإطلاق.

نعم، كنت أهيّىء للدفاع عن نفسي، بالحجة والمنطق.. إذا كانوا ما زالوا يعقلون.!

سمعنا من المرفأ بوق باخرة، يجاوبه وابل من الرصاص. ابتهاجاً لمعركة ظافرة قادها برنس لإنزال أول فرقة من قوات حفظ السلام



قوات حفظ السلام الأفريقية



Gen.-Quainoo

الأفريقية. مما يعني أن معركة اليوم ابتدأها تايلور، للسيطرة على المرفأ ومنع دخول قوات حفظ السلام. في هذه المعركة خسر برنس ابنه بالتبني EMMAUAL حيث كان يقاتل إلى جانبه.

خرجنا إلى شارعنا المطل على المرفأ وشاهدنا باخرة تحمل العلم الغاني.

بقيادة الجنرال ARNOLD QUAINOO من (غانا) نزلت القوات الأفريقية في مرفأ منروفيا الذي اصبح مركزاً لها. ثم راحت تنتشر كبقعة زيت في مناطق برنس الذي وافق على مجيئها وقاتل في هذا السبيل، وراح يتصرف معتبراً نفسه قائد هذه القوة وصاحبها وأمها وأباها.

انتشار قوات حفظ السلام في شوارع العاصمة وعلى الحواجز التي استلمتها من برنس، لم يمنع قوات برنس من التجوال بكامل عتادها في طول العاصمة وعرضها بأسلوب استفزازي، مما طرح الكثير من التساؤلات حول وضع قوات حفظ السلام هذه في ظل هيمنة برنس ورجاله.

بعد حوالي الأسبوعين من وصول قوات ECOMOG التابعة لمنظمة ECOWAS أو ECONOMIC COMMUNITY OF WEST AFRICAN STATES ، قامت، مجدداً، قوات تايلور بهجوم على منطقة المرفأ، فصدَّتها القوات الأفريقية بمساعدة قوات برنس التي كان لها الفضل الأكبر، لكونها الأكثر معرفة بجغرافية أرض المعركة.

أما برنس الذي رأى أن معركته لم تنته بوجود القوات الأفريقية،

وحراجة موقفه تدفع به لاتخاذ خطوة ما يغيِّر بها هذا الموقف. فهو عملياً محاط من قبل دو من جهة وتايلور من جهة أخرى، فضلاً عما يعانيه من نقص في الذخيرة. فكان أن اتصل بالرئيس دو، الذي كان بوضع لا يحسد عليه كما ذكرنا سابقاً، واتفقا على نوع من الهدنة، على أثرها قام برنس بزيارتين متتاليتين إلى ثكنة الجيش التابعة للرئيس دو والمحيطة بالقصر الجمهوري، حيث تبادل مع دو الخطب وتهجما معاً على تايلور (الكونغو) لكونهما من قبائل (الناتف) بالرغم من أنهما لا ينتميان إلى ذات القبيلة، عملاً بالمقولة اليهودية "أنا وأخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب."

ومبالغة في حسن النية، قدَّم برنس حمولة شاحنة من الأرز إلى عدوه الرئيس دو، مما جعل هذا الأخير يطمئن لنوايا برنس. وفي هذه الأثناء حصل ما لا أستطيع الجزم بتفاصيله، بالرغم من علاقتي ببرنس وقربي منه. إن كان برنس هو الذي استدرج دو لزيارة مركز قوات حفظ السلام الأفريقية الواقع في مناطق برنس، تمهيداً لإلقاء القبض عليه، خدعة ابتدعها برنس في زيارته الثانية لثكنة الرئيس دو، أي قبل يومين فقط من إلقاء القبض عليه.

أم أن الرئيس دو هو الذي قرر هذه الزيارة بعد أن اطمأن جانبه لعدوِّه القديم وحليفه الجديد برنس.

لدى عودة برنس من إحدى الزيارتين التي قام بها للرئيس دو، وفي طريقه إلى قاعدته العسكرية، توقف عند مسمكة يملكها الأخوان قاسم وعباس فواز. وطلب أن يأتوه بالمسؤول عن المسمكة، فأحضروا له السيد نجيب اللقيس إذ كان يقيم على مقربة من المسمكة، ولديه مفاتيحها بعد أن سلَمها له الحاج محمد فواز لدى مغادرته ليبيريا، طالباً إليه أن يهتم بشؤونها كتشغيل المولد الكهربائي بين الحين والآخر للحفاظ على كمية السمك الموجودة في براداتها،

وبالتالي بيع هذه الكمية عندما تسمح الظروف بذلك.

في مواجهة برنس، تنكَّر السيد نجيب اللقيس لأي علاقة تربطه بالمسمكة، أو أصحابها، فترك بعد أن سلَّم المفاتيح واستلم بدلاً عنها، بضع لكمات وركلات من مرافقي برنس.

علمت بهذا الموضوع من حضرة المدير، نقلاً عن السيد عفيف الرومي أحد موظفي آل فواز. بعد أن كرر حضرة المدير على مسامعي ضرورة الحفاظ على مصلحة آل فواز، وأن نتناسى خصومتنا السياسية معهم، إذ لا يجوز أن نسمح لأي كان أن يتعرض لمصلحة أي مواطن لنا، مهما كانت مواقف هذا المواطن منا ومن حزبنا. علماً بأن رأيه هذا لم يكن بالجديد عليه أو عليّ. غير أني استأنست برأيه، ففي هذه الأيام الصعبة والمحفوفة بالمخاطر، تشعر بلذة عندما تمارس مُثُلَك العليا في وقت سقطت فيه أكثر القيم، وبهذا يكون أجرك وجزاؤك وحافزك للاستمرار.

ألحّ حضرة المدير عليّ بالتحرك الفوري قبل أن يفسد السمك الموجود لعدم توفر التيار الكهربائي في المسمكة. طلبت إليه أن يوفد لي المواطن عفيف الرومي كي أستوضحه عن بعض التفاصيل لأتمكن من اختيار الأسلوب المناسب في معالجة الموضوع مع برنس. لكن أحداً لم يحضر، فالخوف الذي زرعه برنس في قلوب الناس، والسرعة التي يتناول بها مسدسه تضاهي ما نشاهده في أفلام الوسترن. كذلك سرعة قراراته التي ذهب ضحيتها العديد من الأبرياء (باعترافه شخصياً). إن شخصاً لديه هذه المواصفات مع غيرها من إيجابيات وسلبيات. يجعل الاحتكاك به مسألة فيها خطر، لذلك أنا لا أجد لوماً على الذين كانوا يتهربون أو يتجنبون الحضور في حضرته.

من أجل هذا (على ما أعتقد) لم يتقدم أحد للاهتمام بموضوع المسمكة. والجدير ذكره في هذا الصدد أن لآل فواز علاقة وثيقة مع

الرئيس دو ونظامه. وهذا يفترض أن تكون مصالحهم مستهدفة. غير أنني استبعدت هذا الاحتمال في أن يكون سبباً في السيطرة على المسمكة، لأن برنس لم يقم بهذا العمل فور دخوله العاصمة، فلمَ يقوم به اليوم؟ كما وأنه استعان في وقت سابق بالحاج محمد فواز في تركيب جهاز الاتصال.

بعد ثلاثة أيام جمعتني المصادفة بالسيد نجيب اللقيس بحضور السيد شوقي عيد. سألته عن الموضوع فسمعت منه ما تجمّع لديه من أخبار حول التهمة الموجهة من قبل برنس. وفحواها أن كمية من الرز يفترض وجودها في مستودعات آل فواز، لحساب الرئيس دو ونظامه، وهنا يؤكد نجيب أنه لا يعرف شيئاً عن وجود أي كمية من الرز على الإطلاق. ثم أضاف أن الكمية التي كانت موجودة، شحنت كلها إلى أحراش الخشب التي يملكها آل فواز لتوزع على عمالهم، وذلك قبل أسبوعين فقط من إقفال الطرق ومحاصرة العاصمة. إن هذه الشحنة أوقفها في بداية الطريق ضابط كبير من رجال دو، بتهمة أنها مرسلة لدعم المتمردين (الثوار) ولكنها تابعت طريقها بعد أن حل هذا الإشكال.

اكتفيت بهذا القدر من المعلومات وتوجهت لمقابلة برنس.

في مكتبه، قال برنس "إنه في أثناء زيارته لدو، وبعد أن وافقا على وقف إطلاق النار وتوقيع معاهدة الهدنة، طلب منه هذا الأخير مده ببعض الرز. وعندما تلكأ برنس بالموافقة، لعدم وجود كميات كافية منه (غير صحيح)، أفادت معلومات من مصادر الرئيس دو، بأن لديهم كمية من الرز (500 كيس سعة 50 كلغ) لكنها موجودة ضمن مناطق برنس. وما على برنس إلا أن يسمح لهم بنقلها. وبعد حوار حول هذا الموضوع بروحية وحدة الحال التي يفترض أنها عمت بينهما - بعد توقيع الاتفاق - اعترفوا له بأن الرز في مستودعات آل فواز."

وكان ما كان من مصادرة المسمكة حتى يتم الكشف عن كمية الرز هذه.

أخبرته بأن معلوماتي تؤكد عدم وجود أي رز في المستودعات، أو في أي مكان آخر، وأخبرته أيضاً عن شحنة الرز التي أرسلت إلى الأحراش، وأن علاقة آل فواز بالرئيس هي علاقة رجال أعمال بنظام الدولة الموجودين فيها، وفي أحيان كثيرة لا يقوى رجل الأعمال على التهرب من مثل هذه العلاقة، التي تفرضها طبيعة وجوده تحت رعاية هذا النظام.

وللتأكد من أن معلومات رجال دو هي فرضية وخاطئة، فلماذا لا تسمح لهم بنقل الرز المفترض وجوده.؟

كذلك أخبرته عن كمية السمك الموجودة في البرادات، والمعرضة للتلف إن لم نسارع بتشغيل مولد الكهرباء، وكم هو حرام أن لا نوفر هذا السمك للجياع من الناس، مذكراً إياه بالسمعة الطيبة التي حصدها نتيجة حماية وتسهيل بيع السمك في مسمكة الرفيق حسن مقبل. لاقت هذه الطروحات الأذن الصاغية والاستحسان لديه، وكعادته، أصدر قراراً سريعاً بتحويل القوة الموجودة في المسمكة من قوة مصادرة إلى قوة حامية، ومساعدة الرفيق عزام والرفيق اللاحق عبدالله حمدان والرفيق مصطفى عياد والسيد نجيب اللقيس على بيع السمك، الذي كان فاسداً، لكن حاجة الناس وجوعهم وال5 دولارات لبرنس على كل كرتونة - دعما للثورة - كل هذه الأسباب باعت السمك حتى آخر سمكة.

أول هدية

أذكر أن أهم هدية استلمتها أثناء الحرب، كانت بعد وصول قوات حفظ السلام الأفريقية .. ثلاث بصلات من السيد سامي

الجمل، بعد أن أخبرني قصة أشبه بمغامرات أرسين لوبين، وكيف حصل عليها بعد أن أعطى مقابلها ما يساوي ثمنه ثلاثة أطنان من البصل. وعن تلك الوعود التي أغدقها كيف كانت كافية لتكسبه مقعداً في مجلس النواب اللبناني، ما عدا الواسطات - المكلفة - التي اعتمدها في طريقه للوصول إلى رئيس شعبة التموين في قوات حفظ السلام. أما أنا فلم أصغ إلى نصف ما كان يقوله، لأن نصف اهتمامي كان منصباً على تلك البصلات الثلاث التي ما زالت بين يديه، يداعبها بأصابعه، كأنها شهوة متعبد في جنة الله.

فأشعلت في نفسي غريزة ، كانت قد أطفأتها أهوال الحرب، ألا وهي عشقي لأكل البصل. كدت أسجد أمامها للذي أبدع في تكوينها، شكلاً ولوناً وملمساً، فبعد انقطاع بضعة أشهر عن البصل، أراني في هذه اللحظات يتعمق إيماني بقدرة الخالق، الذي جعلتني مشيئته أن أبدل في نظرتي إلى البصل وعلاقتي به، وأصبح للتعاطي معه - البصل - أصول أتقيد بها وأحترمها. فكلما تناولت بصلة وألقيت نظرة إليها، بلحظة واحدة استعرض الحرب الليبيرية كلها، واستعرض تلك الساعات التي اختبرت فيها، فعلاً، أن الدنيا كلها ... تساوي قشرة بصلة.

* * *

INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)

OFFICE OF THE FIELD MARSHALL

September 2, 1990

General Quainoo
Commander
Peace-Keeping Force
ECOWAS
MONROVIA-LIBERIA

Dear General Quainoo:

In reference to my letter to you on September 1, 1990, informing you that I have authorized the Lebanese merchant to take their goods from their warehouses before they are looted, I hereby introduce Mr. Moustapha El Cheika Ali as the head of the Lebanese merchants in Monrovia.

Sincerely yours,

Prince Y. Johnson
FIELD MARSHAL

في الخامسة والنصف من صباح الأحد 9 أيلول، بدأت قوات حفظ السلام، بقصف مواقع تايلور لتدمر استحكاماته الجديدة، وتبعده عن مواقعها التي كانت تحت مرمى نيرانه .

عند الظهيرة توقف القصف وعاد الوضع إلى طبيعته، رشقات وطلقات فردية نسمعها هنا وهناك دون أن تعني لنا شيئاً.

بين الواحدة والثانية ظهراً، سمعت أنا وعزام وعبد الله جهاز الإنذار (SIREN) الذي يصدر عادة عن سيارات الشرطة، فنحن لم نسمع هذا الصوت منذ أن دخلت الحرب إلى العاصمة، ولم نعهد أن في منطقتنا هذا النوع من السيارات، لأنها بقيت جميعها ضمن منطقة القصر الجمهوري حيث دائرة الشرطة.

بدافع الفضول، خرج الرفيق عزام إلى الشارع ليستطلع الأمر، لحظات، ولحق به عبدالله حمدان، ثم رجع عزام ليؤكد أنه شاهد سيارة شرطة بمحاذاة البوابة الخلفية للمرفأ. مما يساعد على الاعتقاد بأنها في عداد موكب يرافق شخصية مهمة تزور قوات حفظ السلام. لحظات أخرى وعاد عبدالله ليفيد بأنه شاهد برنس متجهاً إلى المرفأ ومعه العديد من السيارات والمقاتلين. وكان برنس يصرخ بالمارة طالباً منهم إخلاء المكان.

لم يكن لدينا متسع من الوقت حتى نحلل ما رأينا وما سمعنا. إذ قطعت غزارة النيران شريط أفكارنا واستنتاجاتنا، فالمرفأ يشهد معركة، لا شك أن برنس أحد أطرافها .. ولكن من هو الطرف الآخر؟ هل هو قوات حفظ السلام؟ أم قوات تايلور؟

لم نعش في دوامة هذه التساؤلات أكثر من عشرين دقيقة. اذ توقف إطلاق النار وتعالت في الشارع أصوات تندد بالرئيس دو .. وتبتهج لاعتقاله. قفزنا إلى الشارع نستطلع الحدث، فإذ ببرنس يقفز

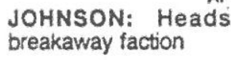
من سيارة الجيب قبل أن تتوقف أمام البوابة، وراح يناديني ويقول تعال وشاهد .. رددها مرتين وفتح الباب الخلفي للجيب. يا لهول ما رأيت! رأيت الرئيس دو مكبلاً ومرمياً بين المقاعد، وقد اخترق الرصاص ساقيه. كان يرتدي ملابس عسكرية، مزّقت بمعظمها، عاري القدمين. سأله الرفيق عزام إن كان هو الرئيس دو؟ فهز رأسه إيجاباً مصطنعاً ابتسامة صغيرة بانت على وجهه .. واختفت إلى الأبد.

حزنت جداً لمنظره، كان مرعوباً وما زال تحت تأثير الصدمة، إذ لم يمض على أسره أكثر من عشر دقائق فقط لا غير. تمتمت بصوت مسموع؛ ألم يكن رحيلك هو الأفضل لك ولرجالك .. ولليبيريا كلها؟

تكاثر الناس حول البوابة، ثم تزاحموا على معانقة برنس، تعبيراً عن غبطتها وسرورها.

أما برنس المتأثر أيضاً، بفعل الدهشة التي وقعت على الفاعل والمفعول به معاً. طلب إليَ أن ألحق به إلى القاعدة، لكنني آثرت البقاء في البيت، وكغيري من الناس شاهدت ما جرى للرئيس دو في القاعدة على شريط الفيديو المسجل الذي تقشعر له الأبدان. حيث تم تعذيب الرئيس دو والتحقيق معه بطريقة عشوائية لم تفدهم بشيْ. توفي الرئيس دو في الثانية بعد منتصف تلك الليلة بعد. أن نزف دمه.

قتل ما يقارب الثمانين شخصاً من مرافقي دو، في زيارته لقوات حفظ السلام، ومن نجا منهم لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. لم يؤسر إلا دو وحده، جرى ذلك كله في أقل من عشرين دقيقة، تحت أنف قوات حفظ السلام، مما يدل على أنها خدعة وليست معركة تساوت بها القوى. قد لا تكون قوات حفظ السلام شاركت في هذه الخدعة، وقد يكون عامل المفاجأة وقصر الوقت حالا دون

AP
JOHNSON: Heads breakaway faction



Reuters
TAYLOR: Forces control most of nation



AP
DOE: Had been in power since 1980

Rebel chief Johnson seems in charge after Doe's death

أن تقوم هذه القوات بمحاولة تحمي ضيفها الرئيس دو. لا شك أن دو كان في زيارة رسمية للقوات، وليس في محاولة هرب كما روجت مصادر برنس، بدليل الموكب الرسمي الذي رافقه كرئيس جمهورية، من حرس وسيارات شرطة، وإحدى سيارات الرئاسة (مرسيدس ليمو) إذ دخل منطقة برنس واقفاً في السيارة يحيِّي الجماهير وهو في طريقه إلى المرفأ، والجماهير التي ردت له التحية، هي ذاتها الجماهير التي عانقت برنس ابتهاجاً باعتقاله. في اليوم التالي نقل جثمان الرئيس دو إلى مشفى الأيلاند كلينيك ISLAND CLINIC حيث حنط .. وعرض للفرجة، من أجل تأكيد اعتقاله .. وموته.

أما ردة الفعل بين رجاله في ثكنة ال BTC والقصر الجمهوري فكانت على النحو التالي:

– هدوء تام شمل العاصمة كلها خلال الساعات العشرين الأولى التي تلت اعتقاله، وذلك لعدم معرفة مصيره، والمراهنة على بقائه حياً، أو لسبب الارتباك لحجم الصدمة التي تلقوها.

– أما وبعد أن أعلنت وفاته وعرض جثمانه في اليوم التالي، فقد

دب الهلع في صفوف رجاله وراحوا مذعورين يلقون السلاح ويلوذون بالفرار متعلقين بناقلات وشاحنات قوات حفظ السلام، تسهيلاً لفرارهم عبر المرفأ بواسطة بواخر هذه القوات وتحت حمايتها.

– وبعضهم آثر الفرار براً، باتجاه منطقة تايلور، لعدم اطمئنانهم لحماية قوات حفظ السلام، بعد الذي حل برئيسهم دو.

وصلت أخبار إلى برنس تفيد أن رجال الراحل دو، يتجمعون في المرفأ بانتظار نقلهم إلى الخارج، فما كان منه إلا أن اصطحب بعض مقاتليه واتجه إلى المرفأ لاعتقالهم بتهمة التحقيق معهم بمجزرة الكنيسة التي ذهب ضحيتها مئات الأبرياء. وفعلاً تم اعتقالهم و.. تصفيتهم في ذات اليوم.

عند سماعي هذا الخبر أدركت أن برنس ارتكب خطأ فادحاً. إذ كان من المفروض أن يؤمِّن لهم فرارهم في صفقة ما للاستيلاء على الثكنة والقصر. لكنه فقد بصيرته التي وقعت فريسة الحقد القبلي. كما أني اعتقدت خطأً بأن تايلور الأدهى سيستغل خطأ برنس ويتفق مع الكراون – لكونه كونغو ولم يقتل دو – على تأمين فرارهم إلى مناطقهم مقابل أن يسلموه القصر والثكنة. فيكون قد قطع الطريق على برنس قاطفاً ثمرة –مقتل دو– ولكن لم تحصل كل هذه الافتراضات، فرجال تايلور بغالبيتهم من قبائل المانو والغيو MANO, GIO المعروفين بعدائهم القبلي للكراون KRAHN وقعوا هم أيضاً –مثل برنس– فريسة الحقد القبلي. فقتلوا كل من حاول الهرب عبر مناطقهم.

إزاء هذا الواقع، انطبق على الكراون قول طارق بن زياد "العدو من أمامكم والبحر من ورائكم" فانقلبوا من أرانب خائفة إلى أسود مفترسة، عملاً ب "إن كان ليس من الموت بدٌّ، فمن العار أن تموت جباناً".

على الهامش

وردني أن الكثيرين من جنود دو عندما تأكدوا من مقتل رئيسهم. خلعوا ملابسهم العسكرية ودفنوها مع أسلحتهم في حديقة القصر الجمهوري. وبعضهم ارتدى قمصاناً حمراء -رمز الثوار- وجلسوا ينتظرون رجال برنس كي يستسلموا له، اعتقاداً منهم، أن برنس سوف يشن هجوماً لاحتلال القصر بعد مقتل دو. انتظروا يومين دون أن يأتي برنس. فنبشوا أسلحتهم وثيابهم.

على هامش الهامش

مكتب برنس يعج بالناس، إذ يزور القاعدة عدد من المراسلين الأجانب. وكان برنس يتحدث إليهم والعرق يتصبب منه..كالعادة. سأله أحدهم إن كان من الممكن أن يشاهدوا شريط الفيديو المسجل عن التحقيق مع الرئيس دو قبل وفاته (مقتله)، وافق برنس على عرض الشريط وذهب لإحضاره بنفسه. لحقت به إلى غرفة نومه وأمسكت بالشريط محاولاً إقناعه بالسمعة السيئة التي سيحصدها له الشريط. فقال لي وكلانا ممسك بالشريط من جانبه: إن دو ونظامه قاما بأكثر ما في الشريط. قلت له: قد يكون هذا صحيحاً..ولكنه لم يصور أعماله ويعرضها على الناس، كما تفعل أنت الآن.. .وأخيراً عرض الشريط..في كل محطات العالم، وحصد برنس سمعته.

❊ ❊ ❊

إن ثكنة شفلي "Camp Shafflin" الواقعة على بعد 20 ميلاً من العاصمة باتجاه المطار الدولي في الجنوب الشرقي، والتي قيل إنها سقطت بيد تايلور بعد أن تخطتها قواته بما لا يقل عن 15 ميلاً، ولم نسمع عن وضعها شيئاً منذ أسابيع.

(ففي عام 1985 عندما قام كويونكبا بمحاولته، ولاح أن الأمر يستتب له. في ذات اليوم، انطلقت قوة من هذه الثكنة فقلبت المعايير وعادت بالرئيس دو إلى الحكم)

لم يكن متوقعاً أن القوة الموجودة في هذه الثكنة، والتي تعد ب500 مقاتل من الكراون، ما زالت داخل الثكنة. بعد إعلان مقتل دو، زحفت هذه القوة بكامل عتادها بمحاذاة الشاطئ حتى وصلت القصر الجمهوري دون أن يعترض طريقها أحد. مما أثار تساؤلات عدة حول الحكمة من عدم استعمال هذه القوة؟ التي تخطاها تايلور ولم يواجهها، شأنه بذلك شأن كل الثكنات التابعة للجيش. هل كانت الاتصالات معدومة إلى هذا الحد؟ سؤال آخر يبقى دون إجابة.

في القصر، راحت هذه القوة تنظم هجمات تجتاح شوارع العاصمة، دون أن يكون هدفها استرجاع مواقعها التي خسرتها لبرنس. بل لأجل الانتقام، راحت تحرق الأبنية مرددة (لا منروفيا بعد دو) وتنهب البيوت وما تحتويه من غذاء وغيره. وعند السادسة مساءً تعود هذه القوة إلى القصر، لتعاود الكرة في اليوم التالي.

على أثر هذه الهجمات سقط للجالية اللبنانية قتيلان هما، حبيب أبو راشد وعبود العبدالله وذلك في 12 أيلول. في هذا اليوم بالذات، اعتقل برنس بعض عناصر من قوات حفظ السلام كانوا في زيارته، وذلك ليجبر هذه القوات على اتخاذ مواقف أكثر تصلباً وتشدداً إزاء تايلور وقواته، لكنه أخلى سبيلهم بعد ساعات قليلة.

أثناء هذه الفترة كنت منهمكاً باتصالات أقوم بها مع قوات حفظ السلام من جهة وبرنس جونسون من جهة ثانية، لتخليص بضائع بعض اللبنانيين الموجودة في المنطقة الحرة -المرفأ- لأن عمليات نهبها كانت على قدم وساق. خاصة بعد مجيء قوات حفظ السلام

واستلامها المرفأ من برنس وجعله مركزاً لها.

لا شك أن برنس وبعد استيلائه على المرفأ في النصف الثاني من شهر تموز. راح ينقل بعض محتوياته إلى قاعدته في كولدويل، لكنه -إجلاءً للحقيقة- لم يكن مهتماً بغير المواد الغذائية مثل الرز والزيت والسكّر.

أما السلع الأخرى التي وجدت طريقها إلى قاعدته، كالسيارات والآلات الكهربائية والإلكترونية من تلفزيونات وآلات فيديو وغيرها، فصادرها برنس من رجاله. كنت حاضراً ذات يوم عندما قام برنس بجولة تفقدية على بيوت مقاتليه المنتشرة في قاعدة كولدويل، وراح يصادر المسروقات منها.

في الـ34 يوماً التي كان المرفأ فيها تحت سيطرته، لم يمنع المواطنين من الدخول إليه فحسب، بل منعهم من السير على الرصيف الذي يحاذيه أيضاً منعاً للسرقة.

أما وبعد دخول قوات حفظ السلام الأفريقية، فقد فتحت أبواب المرفأ على مصراعيها وبدأت عمليات السرقة والنهب. وذات يوم دخلت المرفأ بصحبة برنس الذي أصر على أن يعرِّفني بالجنرال QUAINOO. وأذكر أن السيد شوقي عيد كان برفقتي، وفي طريقنا إلى مركز القيادة صادفنا مجموعة من عناصر قوات حفظ السلام تنقل كميات من آلات التسجيل والتلفزيونات وغيرها. في مركز القيادة وعلى مسامعي أثار برنس هذا الموضوع مبدياً استياءه من عملية النهب التي تحصل. لكني شاهدت بعض المسروقات في غرف القيادة ذاتها، فأدركت أن السماح للمواطنين بسرقة علبة من هنا وقطعة من هناك، ما كانت سوى تغطية لعملية النهب التي تقوم بها عناصر من قوات حفظ السلام نفسها. لقد نقلوا على متن بواخرهم كميات هائلة من محتويات المرفأ، وعدداً كبيراً من السيارات. (لقد حوكم بعضهم فور عودتهم إلى بلادهم).

إن هذا الفلتان كان من الأسباب التي حدت ببرنس أن يوجه انتقاداته اللاذعة لقوات حفظ السلام، حيث وصلت في أحيان كثيرة إلى درجة الإهانة التي طالت القيادة والعناصر في آن واحد.

وهذا الفلتان أيضاً كان من الأسباب التي جعلت السيد شوقي عيد يزيد في إلحاحه لأكثف اتصالاتي مع المعنيين بالأمر لجهة سحب بضائع اللبنانيين من المرفأ، حيث كان له ولأقاربه مستودع يحتوي على كميات من البضائع.

لم يكن هناك من صعوبة في إقناع برنس بهذا الموضوع إنه شاهد بأم عينه السرقات التي تحصل في المرفأ. فقلت له؛ إذا بقيت البضاعة داخل البلد قد يخسرها صاحبها إذا سرقت، أما إذا نقلت إلى الخارج فيخسرها البلد. كان هذا كافياً ليكتب إلى قوات حفظ السلام عدة رسائل، يطلب فيها تسليم البضاعة إلى أصحابها.

علماً أني ابتدأت هذا الموضوع عندما كان المرفأ تحت سيطرة برنس، لكن ملاحقتي له كانت متقطعة بسبب الظروف الأمنية، فضلاً عن أن كيفية التعاطي مع برنس تفرض تأجيل عمل اليوم إلى الغد. إن لهذا الرجل طبيعة يصعب معها أن تقصده لموضوع ما، فتلتقيه وتحسم موضوعك وترحل. فالواقع أنك وإن صادفته ذاهباً، فيطلب إليك أن تلحق به، فتفعل .. دون أن تعرف إلى أين، فتصبح عضواً في عداد الموكب الذي يرافقه.

أما وإن صادفته جالساً، فانه ولا شك يلقي محاضرة على أتباعه، فتفرض عليك اللياقة الجلوس والإصغاء، فيشير إلى أحدهم أن يهتم بك، شراباً وطعاماً، وما إن ينتهي من موضوع حتى يبدأ بآخر.

وفي كلتا الحالتين يعتبر وجودك عنده مجرد زيارة، فيحسن ضيافتك دون أن يسألك إن كنت تريد شيئاً، فكم من مرة صرفت

فيها بضعة أيام لأكلمه على انفراد بموضوع يستغرق بضع دقائق.

في ذات يوم قصدته برفقة السيد شوقي عيد، لمتابعة موضوع بضاعة المرفأ. فصادفناه في منتصف الطريق باتجاه المدينة، أشار إلينا بأن نلحق به، ففعلنا، قام بعدة زيارات، شاركناه في بعضها وانتظرنا خارجاً في البعض الآخر .. وقتيلان شاهدناه يقتلهما .. بلمحة بصر. لم أعد أذكر ماذا سألهما قبل أن يقتلهما، بل أذكر جيداً أنه لم ينتظر الجواب.

توقفنا في المرفأ، حيث راح يستعرض قوات حفظ السلام وكأنها قواته. لا شك أنه كان فخوراً بوجودنا معه، إذ كنا نبدو للناظر وكأننا من رجاله.

عدنا إلى القاعدة، حيث ابتدأت حفلة موسيقى وغناء وشراب، فقرقعت بطوننا وزقزقت عصافيرها من الجوع، إذ إننا لم نتناول شيئاً منذ الصباح .. غير البيرة التي كان يقدمها لنا بين الحين والآخر.

نعم،كنا نتلوى طرباً وسكراً وجوعاً، عندما نادانا إلى غرفة نومه. فقلت في نفسي؛ لعله شعر أخيراً بأن لوجودنا سبباً يريد معرفته، وبعد أن أجلسنا، طلب إلى زوجته أن تقدم لنا شيئاً من الطعام .. وخرج.

قدمت لنا زوجته طبقين من الطعام، فيهما الرزّ وأشياء أخرى لم نميزها. لم يكن لمنظر الأطباق علاقة بما نعرفه عن المطبخ الليبيري .. أو أي مطبخ آخر. تذكرت قولاً لطفل ليبيري كان يطهو سمكاً فاسداً "لا يفسد شيء في مطبخ الحرب". فشعرت بأن لهذين الطبقين علاقة وثيقة بمطبخ الحرب.

توددت لشوقي أن يأكل بعض الشيء، كي لا نسيء إلى برنس الذي يفسر الأمور وفق مزاجه. أعجبت جداً بالروح الرياضية التي يتمتع بها شوقي، إذ راح أحدنا يشجع الآخر، فصرنا نذوق الطعام،

ثم نلوكه، ثم نأكله، ثم نلتهمه، بعد أن اعتقدنا بأن ما نأكله هو حساء القريدس بالزغاليل على الرزّ. ورحنا نزايد في تذوقه واستطيابه حتى غدا شهوة رافقتنا أيام الحرب كلها.

* * *

وأخيراً طفح الكيل، بعد كثرة المماطلة والتأجيل من قبل قوات حفظ السلام، للبتّ في موضوع البضاعة وتسليمها لأصحابها، الأمر الذي جعلني ألح على برنس كي يقوم بعمل ما قبل أن يفرغ المرفأ من محتوياته. وفعلاً طلب إلى نائبه الكولونيل فارني أن يصطحب معه مجموعة من المقاتلين، ويذهب إلى رئيس الأركان في قوات حفظ السلام، لغياب القائد العام، ويستصدر قراراً فورياً يسمح للبنانيين بسحب بضائعهم -أو ما تبقى منها- ثم أشار إلي كي أرافق الكولونيل فارني كي أتكلم باسم أصحاب البضاعة. بعد أن أوصاهم بنقل بعض عبارات التهديد إن هم عادوا إلى وتيرة المماطلة والتأجيل.

ذهبت برفقة المجموعة التي راحت تتصرف وكأنها مكلفة بمهمة احتلال المرفأ من جديد. ولو لم يكن لي بعض الثقة بتعقل الكولونيل فارني ورويته لأنسحبت من هذا الموضوع إلى غير رجعة.

في المرفأ وفي مكتب رئيس الأركان الجنرال C.C.IWEZE نيجيري على ما أعتقد) دخلت نصف المجموعة المرافقة لنا بكامل أسلحتها .. وفوضويتها. مما أثار التساؤلات حول هذه الزيارة وغايتها. سرعان ما حسمها الكولونيل فارني بادئاً كلامه مع رئيس الأركان حول موضوع المستودعات ومحتوياتها، مذكراً الجنرال ببضعة رسائل خطية بعث بها الفيلدمارشال برنس جونسون حول هذه القضية بالذات. فنقص المواد الغذائية عند الشعب من جهة، وعمليات السرقة التي تتعرض لها المستودعات من جهة ثانية، يتطلبان السرعة بحسم هذا الموضوع،

وهو -أي الكولونيل فارني- يعتبر أن غياب القائد العام الجنرال ARNOLD QUAINOO يجب ألاّ يؤخر هذا القرار. وزيارته بصحبة المسؤول عن الجالية اللبنانية -مشيراً إليَ- هي لتأكيد إنهاء هذه القضية.

E

RESTRICTED

Headquarters ECOMOG
Intelligence Cell
Free Port
Monrovia
LIBERIA
22 Sep 90

APPOINTMENT FORM

Mr/M......... MUSTAPHA ALI ....is hereby
authorised to see. COS ....at HQ. ECOMOG
...................on ANY DAY ....1990 between 0700 Hrs ....
hours and 1700 Hrs ....hours.

Authorised by. CMIO .....
[signature]
May Chris OTULANA
Date. 22 - 9 - 90.

RESTRICTED

تكلم الجنرال IWEZE معتبراً أن هذه المستودعات هي ملك الدولة الليبيرية، أما محتوياتها وان كانت ملك أشخاص أو مؤسسات، فلا يستطيع أحد أن يثبت هذه الملكية في غياب الدولة، مشيراً إلى حالة الحرب ومعتبراً أن أصحاب البضائع من ضحاياها. ثم أنهى حديثه بالسؤال التالي: كيف نتأكد من حقيقة الذي يدعي أنه صاحب هذه البضاعة أو تلك.؟

دخلت على الموضوع بتصحيح معلومات الجنرال؛ مبتدئاً بملكية المستودعات التي تحمل على آرمات ويافطات وإعلانات أسماء تدل على المؤسسات التي تملكها، بطريقة لا لبس فيها، وكذلك البضاعة

الموجودة فيها سواء كانت بالصناديق أو بالكراتين، فهي أيضاً تحمل أسماء المؤسسات المستوردة والمالكة. ثم على الأشخاص الذين سيتقدمون لاستلام البضاعة أن يثبتوا علاقتهم بهذه المؤسسات. سواء كانوا أصحابها أم موظفين فيها، يجب أن يكون لديهم رخصة تسجيل صادرة عن وزارة التجارة، أو رخصة عمل صادرة عن وزارة العمل، أو رخصة إقامة صادرة عن وزارة العدل، إلى جواز السفر الصادر عن وزارة الخارجية .. الخ.

لكنني سرعان ما تخوفت من أن يصرّوا على وجود كل هذه الأوراق مجتمعة (لعلمي بفقدان بعضها عند بعض الناس بعامل النهب أو النزوح بسبب الحرب) فيأخذوا من كلامي حجة للمماطلة والتأجيل. فاستدركت هذا المطبَّ بالقول: لا بد أن يستطيع أصحاب البضاعة أو القيمون عليها أن يأتوا ببعض هذه الإثباتات في ظل الوضع الراهن وغياب الدولة. مشدداً على كلمة بعض . كان لكلامي الوقع الجيد، بدليل مناقشتي التفاصيل، حتى انتهى الأمر بتشكيل لجنة مؤلفة من: ممثل عن قوات حفظ السلام، ممثل عن قوات برنس جونسون وممثل عن الجالية اللبنانية. مهمة هذه اللجنة التأكد من صحة الأوراق الثبوتية والإشراف على تسليم البضاعة بموجب إضبارة وضعت خصيصاً لهذه الغاية. يوقع عليها المعنيون بالأمر، بعد أن تملأ بكل المعلومات والتفاصيل عن البضاعة المسلمة لأصحابها.

تركنا مكتب الجنرال IWEZE بعد أن استلمنا منه رسالة خطية تفي بالغرض المطلوب.

في 15 أيلول كان قد استعمل الطيران الحربي للمرة الأولى في تاريخ ليبيريا كله. إذ قصفت الطيارات الحربية التابعة لقوات حفظ السلام، مواقع تشارلز تايلور المحيطة بالعاصمة. في محاولة منها لتوسيع رقعة سيطرتها، وتأمين مواقعها الموجودة في متناول مدفعية

تايلور. وهكذا تكون الحرب اللبيبرية قد دخلت طوراً جديداً لم يختبره الشعب اللبيبري من قبل.

بدأ اللبنانيون بالتذمر من تصرفات رجال برنس في منطقة MEMBA POINT ومحيطها، فكثرت شكواهم، يأتونني بها حتى أنقلها إلى برنس. فكنت أرفع بعضها وأطلب منهم أن يتعاطوا هم مع البعض الآخر.

F

RESTRICTED

Headquarters
ECOMOG
Free Port
Monrovia
Liberia

[illegible] ECOMOG/249/Q

25 September 1990

Independent National Patriotic
Front of Liberia (INPFL)
Monrovia
Liberia

(Attention: Prince Johnson)

Dear Sir

COLLECTION OF GOODS BY LEBANESE COMMUNITY

Reference:

A. Your letter dated 2 September 1990.

1. I am directed to inform you that the Chief of Staff has approved the release of all goods belonging to the Lebanese Community in the port for collection.

2. I am further directed to inform you that the owners of the goods are required to produce following information before collection.

a. For Container Goods

(1) Names.
(2) Address.
(3) Evidence of ownership including photocopy of bill of lading showing number. Original bill of lading to be sighted.
(4) Passport number.
(5) Passport photograph - 2 copies.

b. For Goods in Warehouses

(1) Registration of business
(2) Resident permit
} Photocopies to be collected after sighting original.
(3) Travel passport.
(4) Passport photograph - 2 copies.

3. You are kindly requested to assist in passing this information to all concerned so that they can collect their goods immediately.

Yours faithfully

MA Rufai

MA RUFAI
Colonel
for Force Commander

G3

MONROVIA, LIBERIA

Date: Oct. 8, 1990

GOODS DELIVERY FORM

I, KADER DELBANI Passport No. 833669
Resident Permit No. 41462 Acknowledge the receipt of ONE Truck Load Consisting Of (140) one Hundred fourty Carton of Shirts. (Garment)
That Present Goods Belong to DELBANI BRo.
was Found in Container P/L Contain was open
at the Freeport of Monrovia.

Signed:

CUSTOMER SIGNATURE

WITNESS:

Azzu Shirty
Nijib Tabis
Abdallah Hamdan

THIS ORIGINAL FORM RECEIVED BY:

WITH THE FOLLOWING SET OF PHOTOCOPIES:
1- BUSINESS REGISTRATION
1- " TRADE LEVY
1- PASSPORT
1- PERMIT OF RESIDENT
1- B/L.

G4

MONROVIA, LIBERIA

Date: Oct. 9. 1990

GOODS DELIVERY FORM

I, IMAD Khoury Passport No. 596998
Resident Permit No. 45583 Acknowledge the receipt of
Two Containers Truck Load Consisting Of (975) Carton
of Markrel 3/5 and (850) Carton of
Markrel 4/5
That Present Goods Belong to P.K. HAGE & COMPANY

was Found in Two Containers
at the Freeport of Monrovia.

Signed:

Emad Khoury
CUSTOMER SIGNATURE

WITNESS:
Abdallah Jbarah
Abdallah Hamdan

THIS ORIGINAL FORM RCVD BY:

WITH THE FOLLOWING SET OF PHOTOCOPIES
1 - BUSINESS REGISTRATION
1 - PASSPORT
1 - PERMIT OF RESIDENT.

MONROVIA, LIBERIA

Date: Sept. 27. 90

GOODS DELIVERY FORM

I, ATA E. RAZOUK Passport No. 1103974
Resident Permit No. Acknowledge the receipt of
5 (FIVE) Truck Load Consisting Of 1000 cts Bottle
FOR RADIO, 60 AIR CONDITIONER, 5 DRYER, 3 OVEN
165 cts DEVELOPER, 3 FREEZER, 5 FRIDGE.
That Present Goods Belong to RAZOUK BROTHER

was Found in BONDED WAREHOUSE.
at the Freeport of Monrovia.

Signed:

CUSTOMER SIGNATURE

WITNESS:
WISSAM KHOURY
MUSTAPHA AYAD

THIS ORIGINAL FORM RECEIVED BY:

WITH THE FOLLOWING DOCUMENTS - PHOTOCOPIES

1 - BUSINESS TRADE LEVY
1 - PASSPORT.

أما برنس الذي أدرك أن قلة زياراته لتلك المنطقة، كانت سبباً مباشراً في تفلت بعض عناصره، راح يزور المنطقة بعد كل شكوى أرفعها إليه.

بعد بضعة أيام، تسربت أخبار تفيد أن قوات برنس تنسحب من داخل العاصمة، فدب الذعر والهلع عند اللبنانيين قبل سواهم. إذ جاءني من يؤكد لي خطورة وضع اللبنانيين، لأن وجود رجال برنس كان يشكل سلطة على الأرض، يلجأ الناس إليها عند الضرورة. أما انسحابهم فيعني الفلتان الكلي، لأن قوات حفظ السلام ترفض التدخل، بالقول" إن وجودهم ليس لحماية مصالح اللبنانيين" عبارة لطالما رددوها على مسامعنا كلما استنجدنا بهم.

توجهت إلى برنس لأستطلع الأمر والغاية من سحب قواته. أجابني وعلامات التعجب واضحة على وجهه وفي عباراته، "كنت أعتقد ان سحب رجالي من داخل العاصمة هو مطلب لبناني، بعد أن بلغني استياؤهم من تجاوزات بعض العناصر". فأجبته لو خيِّرنا بين رحيلكم وبقائكم، لفضلنا بقاءكم، معللاً ذلك بالإيجابيات التي تفوق السلبيات بكثير.

وبعد حوار حول الوضع، ودَعته ومعي وعد بتشكيل زمر للتدخل السريع عند الحاجة، ويكون هذا التدبير مؤقتاً حتى يتم البديل بالتنسيق مع قوات حفظ السلام.

***

أسامة عبد الكريم

الصديق يورمي YORMIE هو كولونيل سابق في الشرطة الليبيرية. وكونه ينتمي إلى قبيلة الغيو، عانى الأمرّين في أواخر عهد

الرئيس دو، عندما بدأ الصراع القبلي بعد محاولة كويونكبا الفاشلة. واليوم هو من الرجال المعتمد عليهم عند برنس.

زارني منذ بضعة أيام بصحبة شاب لبناني يدعى أسامة عبد الكريم. في العشرين من عمره (لم أكن على معرفة به من قبل) وكان أسامة يحمل مسدساً ويرتدي سترة عسكرية واقية للرصاص، أثار منظره دهشتي!! فسألته إن كان هو صاحب المسدس والسترة، فأجاب نافياً مشيراً إلى الصديق يورمي. سألته عن الغاية من ارتداء السترة وحمل المسدس؟ فطأطأ رأسه ولم يجبني. ورحت ألقي على مسامعه ما حضرني من الحجج وما تيسر من وسائل الإقناع. لما في عمله هذا من انعكاسات سلبية عليه وعلى الجالية بأكملها.

وبعد أن فرغت من كلامي، انتظرت كلمة منه تدل أو توحي باقتناعه، لكنه هز كتفيه وزمّ شفتيه، فأفصح عن رأيه دون أن ينطق بكلمة واحدة. فأدركت أن محاضرتي ذهبت أدراج الرياح.

توجهت بالكلام إلى الصديق يورمي، فاستعاد المسدس والسترة منه.

في اليوم التالي كنت في زيارة للقاعدة، فلمحت أسامة ذاته يرتدي السترة العسكرية ذاتها. حاول الاختباء بين عشرات العناصر الذين هم دائماً في البيت الذي يشغله برنس، ولا أقول بيته لأنه يحتل بيتاً أنيقاً وفخماً، في المجمع السكني التابع لإحدى الشركات الألمانية. تركت أسامة وشأنه ورحت أفتش عن يورمي، الذي وعدني البارحة بأن موضوع أسامة لن يتكرر.!

لم أخفِ غضبي مع الكولونيل يورمي، فأتى كلامي أقرب إلى التأنيب منه إلى التفهيم (طبعاً كنت مستنداً بذلك لعلاقتي ببرنس وجيرتي القديمة مع يورمي نفسه). مشيراً إلى أني سأكلم برنس

بالموضوع إن لم يكفوا عن هذه التصرفات الصبيانية.وعدني الكولونيل يورمي خيراً بعد أن طلب من أسامة أن يكف عن زيارته في القاعدة. ثم أخبرني يورمي بالعلاقة الحميمة التي تربطه بشقيق أسامة الموجود خارج البلاد.

بعد بضعة أيام من تلك الحادثة، زارني برنس ذات مساء وكنت جالساً مع حضرة المدير الرفيق علي حمزة والسيد رائف فاضل (رئيس سابق للجامعة الثقافية اللبنانية–فرع منروفيا). حين دخل علينا برنس ومعه بعض العسكريين والمدنيين والنساء الجميلات ما تغص به قاعة الأليزيه. نهضت كعادتي أستنجد بمن حولي، لنعيد ترتيب أثاث الصالون ليسع مزيداً من تشكيلة الكراسي الجاهزة بمساهمة كل الجيران. وبعد أن فرغت من إجلاس ما تيسر من المرافقين، وهممت بالجلوس ، لمحت شخصاً أبيض البشرة يرتدي بدلة عسكرية ويحمل رشاشا (كلشن) مزيناً نفسه بالقنابل اليدوية التي تتدلى على وسطه وصدره وزنده. يقف منتصباً كالعمود، وفي عبوسه وهرة الأسد المتوثب على فريسة. نعم، إخالك عرفته .. إنه أسامة عبد الكريم.

صعقت لهذا المنظر، فلم أتمالك نفسي من أن أطلب إلى مرافقي برنس أن يضعوه خارج البيت ويجردوه من سلاحه. وكان في طلبي أمر وفي نبرتي حدة، فنفذوا الأمر لمعرفتهم بعلاقتي المميزة مع قائدهم برنس. لكنهم فعلوا ذلك بضوضاء ، لفتت أنظار الحاضرين، مما جعل برنس يستاء مما يحصل، لأنه، كعادته، يحرص على أن يكون موضع اهتمام الحاضرين دائماً، خاصة عندما يتكلم، وهو دائم الكلام. سأل عما يحصل، بينما كنت منهمكاً بتدبير مسألة الضيافة ما بين المطبخ والصالون.

راح برنس ينتقد تصرفي، ويلومني بشدة، وبدأ يؤنبني معتبراً

تصرفي إهانة له ولجميع مرافقيه، ثم راح يستطرد بأني أعرّض حياته للخطر. ومع كل تهمة جديدة، ترتفع نبرة صوته، شأنه في كل الأمور التي تبدأ معه صغيرة وتنتهي كبيرة. لم يكن الوقت مناسباً لفتح أي نقاش معه، فالساعة تشير إلى ما بعد السادسة مساءً، والخمرة التي تناولها الرجل طوال النهار، تفعل فعلها، لذلك اقتصر تعليقي على جملة واحدة: إني مدين لك بتفسير ما حصل، فإن لم تقتنع بوجهة نظري .. فسأعتذر . كررتها عدة مرات، لكنه خسر أذنيه وكبر لسانه. فراح يتوجه بالكلام إلى الحاضرين، كأنه يستفتي رأيهم، فكانوا يوافقونه على كل ما يقوله، باستثناء القلة الذاهلة منهم، وعلى رأسهم السيد رائف فاضل.

بقيت هادئ الأعصاب حتى طلب أن أعتذر من أسامة، الموجود خارج البيت، بعد أن أوفد من يناديه. فخرجت عن هدوئي، رافضاً طلبه رفضاً قاطعاً، وقائلاً إني لم أوافق على الاعتذار منك شخصياً، قبل أن تسمع رأيي بالموضوع، فكيف تفرض عليَّ الاعتذار منه. حصلت بيننا مشادة كلامية لم أعد أذكر تفاصيلها، لكثرة ما دار في رأسي من أفكار وتصورات، كأنها مسيرة العمر تختصر في لحظات.

فالذاكرة فتحت دفاترها وراحت تلح عليّ بتصفية بعض الحسابات العالقة. تخيلت أن محكمة حزبية قد انعقدت، تترأسها لجنة من أمناء وعمد ورفقاء بينهم زوجتي وأولادي وإخوتي، يحاكمونني ويستعجلونني لإنهاء الأمر.

أما برنس الذي ما زال يزداد انفعالاً، وبالتالي اقتناعاً بشتى التهم التي استنبطتها مخيلته، أخافني، إذ ليس لهذا الرجل محكمة أو قانون يحاسبانه أو يردعانه. وعشرات المرافقين هم جمهور يصفقون، لا شهود يراقبون. كان في ذروة انفعاله عندما تدخل نائبه الكولونيل

فارني، فدار بينهما حوار بلغتهم القبلية، لم يفهمه من الحاضرين إلا أبناء قبيلتهم، على أثره طلب إلي فارني أن اختلي به في إحدى غرف النوم، حيث حاول إقناعي بالاعتذار. فسألته لماذا تصرون على اعتذاري دون مناقشة الأمر. واطلاعكم على الدوافع لتصرفي، ثم لماذا لا ندع مناقشة هذا الموضوع إلى الغد، طالما أن الوقت لا يسمح بذلك الآن. وهل يعني اعتذاري أن المواطن اللبناني سيستمر بحمل السلاح أم لا؟ أرجو أن تفهموا أني أدافع عن مصالح اللبنانيين كما أنتم تدافعون عن مصالح الليبيريين. ولا أرى أي تناقض بين هذه المصالح، فلمَ لا تدعمونني حتى أستطيع دعمكم؟ إن ما أقوله هو من المبادىء التي تساوي دمي .. ولكم الاختيار.

خرجنا من الغرفة وأنا أكثر ارتياحاً لموقفي.

في الصالون، وبلغتهم أيضاً، وجّه الكولونيل فارني كلمات مقتضبة لبرنس. فهمت من لهجته أنه يريد إنهاء الموضوع. طلب إلي برنس كي أرافقهما إلى القاعدة، فشعر الحاضرون بأني سأصبح قريباً في خبر كان. وشعرت بأنه يفتش عن مخرج لهذا الوضع الحرج، تأهب حضرة المدير لمرافقتي، بعد أن شرح له السيد فاضل تفاصيل ما يجري، فالرفيق علي لا يتقن الإنكليزية بشكل جيد. حاولت إقناعه بالذهاب إلى منزله أو البقاء في شقتي على الأقل، ولكن دون جدوى، فالموضوع غير قابل للنقاش معه. اعتراني خوف شديد عليه، كونه لا يستطيع هو أو غيره أن يبدل شيئاً في تصرفات برنس في مثل هذا الوقت. وبالتأكيد سيتورط معي في حال كان قتلي هو المخرج الوحيد. فالرفيق علي يرفض أن يتعامل معي إلا كناظر عمل في منفذية ليبيريا للحزب السوري القومي الاجتماعي. وهذا التعامل يحكم علاقة القوميين بعضهم ببعض، بقدر ما هم واعون علاقتهم بنهضتهم وما تمثل من قيم ومفاهيم.

خرجنا من الشقة، وسرنا في عداد موكب برنس باتجاه القاعدة، كنا نسير وكأننا في جنازة، فالصمت عقد ألسنة الجميع.

عدت إلى زادي، أنهل منه بعض ما تعلمته في مدرسة الحياة، فقول سعاده "بألا تضطرب أعصابكم ساعة الخطر، لأن الخطر في اضطراب الأعصاب" كنت ألجأ إليه كلما داهمني الخطر، أو حلّت بي نكبة كادت أن تحولني من رجل قوي إلى رجل ضعيف.

الحياة وقفة عز لا يستطيع أن يقفها إلا من اتضحت مقاصده ومثله العليا في الحياة، وعمل لها بيقين المؤمن لا بتردد المشكك.

شعرت براحة في الضمير، شأن من عمل بدنياه ما لا يندم عليه بآخرته. فهدأت أعصابي، وعاد إلى نفسي بعض الطمأنينة بعد أن ارتضيت مواجهة قدري.

كنت بين اليقظة والحلم، عندما سمعت رئيس المحكمة يعلن بأني لست شهيداً، لعدم توفر الشروط المطلوبة لذلك. فارتاحت زوجتي من مسؤولية زوجة شهيد وأبنائي من ارث أبناء الشهيد. لا أدري إن كان حب البقاء يشدني إلى الحضور أو يدفعني في غيبوبة. فالاعتذار من برنس أو أسامة، لم يكن ليغير شيئاً في قرار برنس، بل سيزيده انفعالاً، ومعرفتي بشخصيته أوحت لي بالرفض.

بين الحلم واليقظة، عبرت مسافة الطريق إلى القاعدة، ففي الحلم، محكمة حزبية، أمناء وعمد، زوجتي وأولادي، ترتفع معنوياتي ثم لا تلبث أن تهبط. وفي اليقظة أرى الرفيق علي حمزة بكل ما يمثل من أخلاق العقيدة ونظامية الحزب.

وصلنا إلى قصر الرئاسة، كما سُمِّيت الدار الكبيرة الذي يشغله برنس (في المجمع السكني الذي حوَّله إلى قاعدة عسكرية)، بعد أن نصب نفسه رئيساً بالوكالة فور مقتل الرئيس دو.

لم يمض على جلوسنا بضع دقائق، حتى تعالى صوت امرأة مقاتلة من مرافقي برنس .. وحريمه. تستنجد بالحاضرين، بعد أن قيدوا معصميها وخلعوا عنها نصف ملابسها (شأن كل من يريدون إعدامه) وطرحوها أرضاً.

تبكي، تستغيث، رافضة تهمة الخيانة الموجهة إليها من قبل برنس، فهي تؤكد أنها لا تهوى سواه. وعد برنس بإعدامها بعد أن يتناول طعامه. وتوجه إلى غرفة النوم حيث يتناول الطعام عادة. لحقت به، بعد أن أدركت أنه يفتش عن ضحية (كبش محرقة) أو فشة خلق للخلاف الحاصل بينه وبيني.

اغتنمتها فرصة ذهبية، كونه يتناول طعامه سأستطيع الكلام دون مقاطعته. بدأت الحديث معه بكلمة -رفيق- المحببة إليه، إذ كان ينادي بها المقربين إليه من رجاله.

رفيق برنس، إني تصرفت هذا المساء بوحي من مسؤوليتي كممثل للجالية اللبنانية، وكمقيم على الأراضي الليبيرية منذ أكثر ما يزيد عن العشرين عاماً، وهذا أكثر بقليل من نصف عمري، لذلك كان تصرفي مع المواطن اللبناني أسامة عبد الكريم كعضو في جالية أتحمل مسؤوليتها، كما تتصرف أنت مع أي مواطن لك عندما يكون عضواً في تنظيمك.

...إن وجودنا المنتشر على جميع الأراضي الليبيرية، حيث يوجد ثلاث فئات ليبيرية متنازعة، وعلاقتنا مع الشعب الليبيري يحددها تعاطينا التجاري والثقافي والإنساني. وأي تجاوز لحدود هذا التعاطي يضر في مصالح الفريقين، وأي لبناني يساهم عسكرياً في حرب الأشقاء هذه، بانحيازه لفئة ضد أخرى سيعرض أرواح وممتلكات اللبنانيين الموجودين ضمن سيطرة الفئات الأخرى. هذا ما يسيء إلينا.

أما وإن شوهد اللبناني أسامة عبد الكريم، الأبيض البشرة والمميز عن غيره من المقاتلين. فهل يقال إنه من المقيمين هنا أو بالأحرى من المولودين هنا؟ طبعاً لا .. بل ستتلقف وسائل الإعلام المحلية والعالمية هذا الخبر، ليقال إن برنس جونسون يستعمل المرتزقة والأغراب في حربه .. أو ثورته، وبالتالي سينسبون ويجيرون كل انتصاراتك لوجود هؤلاء المرتزقة، بعد أن يخمنوهم بالعشرات أو المئات. وهذا ما يسيء إليك وإلى رجالك.

دلت ملامح وجهه على أن كلامي يصيب مواقع الاستحسان عنده، فآثرت السكوت عند هذا الحد.

وبعد أن فرغ من طعامه، غسل يديه بوعاء أحضرته زوجته، ثم مسح فمه .. وداعب رأسي بيده قائلاً هيا بنا.

في صالون الشرف، يجلس عشرات الناس، يختبئون وراء ضجيج أصواتهم، خوفاً من تأثرهم بما يحصل ، فهم لا يجرؤون على التأثر أمامه، إن لم يكن هذا التأثر يخدم غايته.

دخل برنس بأسلوبه التمثيلي المعهود، شأن من يهوى الضياء وهتاف الجماهير. ليعلن من خلف مكتبه مفاجأة السهرة، فيعفو عن الامرأة، فتدوي في القاعة أصوات تهتف باسمه. فبانت على وجهه ابتسامة توحي بالرضى عن النفس. فهو يذكِّر الناس بقدرته على حجب الحياة .. أو منحها لمن يشاء ساعة يشاء.

وبعد أن طلب إلى أسامة تسليم سلاحه وثيابه العسكرية .. وإخلاء المكان. طلب إلى جوقته الموسيقية المؤلفة من مقاتليه، العزف، ثم راح يغني ويغني.

أمضيت مع حضرة المدير بعض الوقت، ثم قفلت راجعاً، وفي رأسي تدور مجموعة أسئلة تنتهي كلها .. بماذا بعد؟.

على الهامش

كان برنس مغرماً جداً بإنشاد الأغاني الدينية. فكونه مسيحياً وقائد ثورة ناجحة (في بدايتها) كان من الممكن لأي شريط يسجله، أن يلقى نجاحاً باهراً في أفريقية الغربية كلها. وكان يبتسم كلما طلب منه ذلك.

في أواخر أيلول

شهدت ضواحي العاصمة قصفاً مدفعياً مكثفاً بين مواقع تايلور وقوات حفظ السلام الأفريقية على مدى النصف الثاني من شهر أيلول. أما وسط المدينة فكان يتمتع بهدوء نسبي مما شجع بعض التجار على فتح محلاتهم وبيع بضائعهم.

ها قد مضى أكثر من شهر على انتخاب الحكومة الانتقالية برئاسة الدكتور ايموس صوير Dr. Amos Sawyer ، ولم تحضر بعد لاستلام مهامها. الأمر الذي ساء برنس كثيراً، فراح يهدد بتعيين رئيس للبلاد إن لم يحضر صوير المنتخب في مؤتمر بنجول (غامبيا). والجدير ذكره أن وفداً من جماعة برنس جونسون شارك في انتخاب الرئيس صوير.

لا شك أن من أهم الأسباب التي أدت إلى تأخر الحكومة الانتقالية هو كثرة الإشاعات التي أثيرت حول شخصية برنس ذاته.

مزاجيٌ، سكّير، من الصعب التنبؤ بما سيقدم عليه، يقتلك لمجرد أن لون قميصك لا يعجبه .. الخ من إخباريات، بعضها صحيح والبعض الآخر من صنع الخيال. لذلك وجد الرئيس صوير من ينصحه بعدم المجيء إلى منروفيا إن لم تتعهد قوات حفظ السلام بحمايته من جونسون قبل سواه.

في هذه الأثناء كانت تتجمّع عند برنس نخبة من رجالات

ليبيريا، أكثرهم من حملة شهادة الدكتوراه، وبعضهم ممن كانوا وزراء في عهود سابقة. عرف هذا التجمع باسم Policy Making Committee مهمته رسم سياسة ليبيريا الجديدة في كل المجالات. ترأس هذا التجمع Dr. Peter Naigow وزير سابق في حكومة الرئيس دو ونائب رئيس لاحق في حكومة صوير.

أقول بكل فخر واعتزاز إني كنت عضواً في هذه اللجنة التي ضمت 54 آخرين. وكنت الأبيض الوحيد والأجنبي الوحيد. وكانت اللجنة تجتمع مرتين في الأسبوع. انبثقت عنها لجان اختصاص تقاسمت المواضيع في ما بينها، كنت عضواً في لجنة الاقتصاد والتجارة، كما كنت عضواً في لجنة شؤون الأجانب.

بعد جلسات وحوارات عديدة، تبنت اللجنة الكثير من اقتراحاتي، وضمنتها التوصيات التي وضعت بصدد سياسة ليبيريا الجديدة (قدمت هذه الدراسة إلى الحكومة الانتقالية).

كنت أعتذر عن إبداء رأيي بالمواضيع التي كنت أشعر أنها تخص الليبيريين وحدهم، معللاً قناعتي بذلك، وهكذا اكتسبت مودة بعض المتحفظين على وجودي بينهم.

خلال جلساتنا ومناقشاتنا، شعرت لأول مرة، بعد واحد وعشرين عاماً على إقامتي في ليبيريا، بصدق إحساس غالبية أعضاء اللجنة، شعرت بصدق وطنيتهم فأحببت العمل معهم، في هذه الظروف الصعبة حيث يخيم الموت ويسيطر الجوع ويعم الخوف، وتستبد الحاجة إلى كل شيء. اجتمع هؤلاء الرجال (من كل القبائل - باستثناء الكراون) ليعيدوا بناء دولة تقضي على أسباب كل هذه الويلات.

أما برنس الذي قاد حربه ضد شخص يدعى صموئيل دو، وبعد

مقتل هذا الأخير راح يرفع يافطة (انتهى وقت الحرب وبدأ وقت السلام) وفعلاً لم يعد لبرنس هدف واضح بعد مقتل دو. فأخذ يرفع شعارات ويافطات فيها الكثير من التناقض أحياناً، والتطفل أحياناً أخرى.

إلا أنه لم يتعاط أعمال اللجنة، بل أمّن لها مناخ العمل ومستلزماته، كان يفاخر دائماً بوجود أكبر عدد من حملة الدكتوراه في تنظيمه.

في ذات الوقت كان رجاله بمساندة مدفعية قوات حفظ السلام يهاجمون مواقع تايلور ويسقطونها الموقع تلو الموقع.

في 11 أكتوبر سقطت محطة تكرير المياه Hydro Plan بيد قوات برنس، فتمركزت بها قوات حفظ السلام.

وفي 22 أكتوبر سقطت الإذاعة بيد قوات حفظ السلام. وفي التاريخ ذاته اقتحم رجال برنس منطقة ال Dupou Road وتقدموا باتجاه الشمال أيضاً فاجتاحوا منطقة فندل Findel وباتجاه الشرق وصلوا إلى منطقة فايرستون Firestone، كما سيطروا على منطقة البوابة 15 .(Gate 15)

أما قوات حفظ السلام فتوقفت عند حدود شركة الكوكا كولا في منطقة Paynsville ، وأمسكوا عن مساندة رجال برنس بالمدفعية. فتبين أن لقوات حفظ السلام خطة محدودة في التوسع، تختلف عن خطة رجال برنس ولا أقول برنس، لأنه فعلاً لم يعد كثير الاهتمام بأمور الحرب. الأمر الذي أدى إلى تراجع رجاله إلى معمل الكوكا كولا أيضاً. وهذا دل على عدم وجود تنسيق بينه وبين قوات حفظ السلام من الناحية العسكرية، بينما جُيِّرت معظم تلك الانتصارات إلى هذه القوات من الناحية الإعلامية.

في هذه الأثناء اتسعت دائرة الاعتراف ببرنس كقوة عسكرية على الأرض، وحظي تنظيمه بالمؤيدين من مختلف فئات الشعب الليبيري، المقيم منه والمهاجر.

كذلك كان يزوره باستمرار أعضاء السلك الدبلوماسي الذين في ليبيريا، عوضاً عن ممثلي التنظيمات التابعة للأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية العالمية.

لم يكن لبرنس مكتب خاص يستقبل به زواراً من هذا المستوى، بل كان يستقبل كل الناس، من كل المستويات، في ذات الوقت، في ذات الصالون. مما كان يسبب إحراجاً له وللزوار الذين يريدون محادثات خاصة معه.

زاره ذات يوم سعادة السفير اللبناني الأستاذ ميشال بيطار، فلم يستطع التباحث معه، بسبب الفوضى التي كانت تعم الصالون لكثرة عدد الموجودين والداخلين والخارجين، كذلك شاهدت السفير الأميركي - عدة مرات - في الوضعية ذاتها، يحاول الاستماع قدر الإمكان دون أن يُعلِّق بأكثر من نعم أو لا.

اقترحت على برنس تفريغ إحدى غرف البيت وجعلها مكتباً خاصاً، لاستقبال زواره المميزين. وهنا أذكر مواطناً لبنانياً كان يشكو كثرة اعتداءات بعض رجال برنس (عدا عن كونه كثير الخوف) على صالة مفروشات كان موظفاً فيها ومسؤولاً عنها لغياب أصحابها - من آل فوعاني - فاقترحت على هذا المواطن - إن كان مخولاً بالتصرف - أن يتبرع بفرش مكتب لبرنس (غرفة واحدة) لكونه سيكون أفضل وسيلة حماية. وفعلاً حفظت تلك الصالة طوال تلك الفترة. (ذكّرني لأقص عليك كيف شكرني أصحاب الصالة لدى عودتهم).

K

INPFL DECREE NO.1

Decree by the INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA (INPFL), suspending the Constitution of the Republic of Liberia.

SECTION I

That the Constitution of the Republic of Liberia, published January 6, 1986, is hereby suspended with immediate effect.

SECTION II

That the Interim Government of Liberia which was sworn in in August 1990 in Banjul the Republic of the Gambia, is hereby established as the legitimate Interim Government of Liberia.

SECTION III

That all Statute Laws and Supreme Court Opinions remain valid insofar as they do not affect the legitimacy and mandate of the Interim Government.

SECTION IV

That the Acting President, Field Marshal Prince Y. Johnson, shall continue to manage the affairs of state of the Republic of Liberia, until such time as the Interim Government of Liberia has been seated in the capital, Monrovia.

SECTION V

This Decree shall take immediate effect upon the signature of the Field Marshal and Acting President.

SECTION VI

Any law to the contrary notwithstanding.

Issued by the Independent National Patriotic Front of Liberia, in the city of Monrovia, Liberia, this 18 day of October, 1990.

PRINCE Y. JOHNSON
FIELD MARSHAL OF THE INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA AND ACTING PRESIDENT OF THE REPUBLIC.

إلا أن مكتب برنس لم يخدم الغاية المنشودة منه، كما خدمها في حماية الصالة. ففضولية الليبيريين دفعت بكل الذين كانوا في الصالون الكبير، لحشد أنفسهم في المكتب الصغير.

في ذات يوم من أيام شهر أكتوبر، كنت في زيارة روتينية لبرنس. التقاني على الفور وأخذني ممسكاً بيدي إلى مكتبه الجديد، الذي كان خاوياً إلا من شخص واحد هو .. أسامة عبد الكريم والذي كان بكامل لباسه العسكري وعتاده الميداني. وقبل أن أنبس ببنت شفة، تكلم برنس طالباً إلى أسامة أن يريني ما حل به، فخلع أسامة قميصه فبانت على بطنه وظهره آثار الضرب، في حين كان برنس يشرح لي كيف اعتدى رجال دو على أسامة بالضرب - لأنه لبناني - ولأنه زارني مرة أو مرتين. كان يصف الاعتداء على أسامة وكأنه شاهد عيان.

عرفت في قرارة نفسي، أن كل ما في الأمر هو تبرير، لحمل أسامة السلاح، وعليّ أن أقتنع به. أنهى برنس كلامه ب"يحق لأسامة كما يحق لجميع اللبنانيين الدفاع عن أنفسهم، كما أن ثورته ليست ملك الليبيريين فقط، بل هي ملك جميع المقيمين على الأراضي الليبيرية"، وكانت في عباراته هذه لهجة من يبلّغ أوامر عسكرية، لا من يطرح موضوعاً للنقاش. أصدر لأسامة أمراً بالاعتذار مني، أدركت أن لافائدة من أي حوار، فقلت له: لا إشكال بيني وبين أسامة الذي أعتبره أخاً صغيراً.

بان الارتياح على وجهيهما، أما أنا فلا أدري ما دلت عليه ملامح وجهي. فأنا لست من النوع الذي يحسن إخفاء مشاعره. لا شك أن الخيبة كانت واضحة في ملامحي، إذ كان ينتابني الشعور بالفشل في أهم مسألة تعني الوجود اللبناني في ليبيريا - باستثناء جمع الثروة - أنا لست من مدمني الفشل..!

C

INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)

[illegible]

Ref. No.]

September 20, 1990

MEMORANDUM:

TO	:	The Liberian Business Community/Bushrod Island
FROM	:	B/Gen. Prince Yeduo Johnson FIELD MARSHAL & ACTING PRESIDENT REPUBLIC OF LIBERIA
SUBJECT	:	AUTHORIZATION TO OPEN BUSINESS CENTERS AND SELL

All members of the Liberian Business Community on Bushrod Island are hereby authorized to open their Business Centers in order to carry out normal businesses starting from 7:00 A.M. to 2:00 P.M. daily.

This is intended to provide essential commodities for consumption by the Liberian starving masses.

Kindest regards,

"DEATH BEFORE DISHONOR"

اعتراني شعور بالحزن على ما ستؤول الأوضاع إليه من فلتان وتسيّب.

كيف السبيل إلى تخطي هذا الموضوع أو احتوائه؟ بدأ هذا السؤال يطرح نفسه بإلحاح عليَ.

INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)

[illegible]

Ref. No.] INPFL/

September 21, 1990

MEMORANDUM:

TO	:	Mr. Moustapha Ali CHAIRMAN/LEBANESE BUSINESS COMMUNITY
FROM	:	B/Gen. Prince Yeduo Johnson ACTING PRESIDENT OF LIBERIA & FIELD MARSHAL/INPFL
SUBJECT	:	AUTHORIZATION TO RESUME BUSINESS ACTIVITIES

Please be informed that I have authorized all business houses on the Bushrod Island and all other areas under my control to resume normal business activities.

You are hereby requested to provide us with the list of those business houses which will be operating along with the list of products and their prices, so we can offer them some sort of security.

Attached is a fascimile copy of the memorandum authorizing the resumption of all business houses on the Bushrod Island.

"DEATH BEFORE DISHONOR"

بضعة أيام فقط، بعد تجنيد أسامة، أصبح عدد المجندين اللبنانيين في صفوف برنس ثلاثة شبان. إذ لحق بأسامة اثنان آخران هما: قاسم فواز وعلي رحال. كان لا بد لي من أن أحاول معهما أيضاً، مع يأسي من موضوع أسامة، لكني فعلت ذلك بحذر شديد، خوفاً من أن يقولوا لبرنس إني أحاول إقناعهم بالابتعاد عنه، وهنا لا أستطيع أن أضمن ردة فعله. كما أني لا أعرف هذين الشابين قبلاً، وبالتالي لا اعرف كيف سيفهمان نصيحتي لهما. فجاءت محاولتي معهما دون المستوى المطلوب من حيث الإلحاح أو لهجة المخاطبة، فالعقل يقضي بالتريث في ظل البندقية المسيّبة.

لم تنفع محاولاتي معهما، ففي حينها وجدت ضرراً بطرح هذه المخاوف حتى على أقرب الناس إليَّ فاحتفظت بها لنفسي. كان لديَّ خياران بالتعاطي مع هؤلاء المسلحين، بعد أن أصبحوا ثلاثة إما استعداؤهم وإما احتواؤهم وبالتالي ضبطهم، للتخفيف من التجاوزات والأخطاء التي قد يدفعهم إليها طيشهم، أو غرورهم بحمل السلاح من جهة وتقربهم من برنس جونسون من جهة ثانية.

عملت بالخيار الثاني بعد أن شجعني على ذلك أسامة ذاته، إذ أبدى استعداداً للتجاوب مع كل ما أطلبه منه. باستثناء الضرر بالمصلحة العامة، وأنا لا أقلل أبداً من حجم هذا الضرر. فعلى الصعيد الفردي إن هؤلاء الشبان لم يعتدوا على أحد قط. بل أسدوا بعض الخدمات التي استفادت منها الجالية.

مما لا شك فيه، أن وجودهم تحت قيادة برنس، وبرفقته الدائمة، ساعد في ضبطهم إلى حد بعيد.

علاوة على طيشهم، لا أدري إن كان موضوع الاستفادة المادية سبباً آخر لحملهم السلاح. فإن كان هذا مبتغاهم لا شك أنهم مُنُوا بخيبة أمل

كبيرة. ففي الحقيقة أني لا أعرف شخصاً واحداً ممن تعاملوا مع برنس أو كان مقرباً منه، استطاع أن يستفيد مادياً. دع عنك الإشاعات، فبرنس كمعظم الليبيريين إن أعطاك بيد، أخذ منك بالاثنتين.

* * *

INPFL/053/'90

October 3, 1990

B/Gen. J.J. Iweze
Chief of Staff
E C O M O G
Freeport of Monrovia
MONROVIA-LIBERIA

General Iweze:

I write to request your assistance to transport the below listed Lebanese Nationals to the Republicoof Sierra Leone. Those people were harassed by the Samuel K. Doe's soldiers and caused them to flee their homes. In the process, they lost their passports.

The Lebanese Embassy in Freetown, Sierra Leone will be responsible for them.

We anticipate your usual kind cooperation.

Below are the persons:

Mrs. Fatima Zein - 34 years
Miss Meriam Zein - 3 "
" Rania Zein - 8 "
" Yasmin Zein - 6 "

Thanks.

Yours truly,

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
ACTING PRESIDENT OF LIBERIA
& ACTING PRESIDENT/INPFL

PYJ/JBL/avk

"بناء على طلب اللجنة، برنس يكتب إلى الجنرال IWESE يطلب مساعدته بنقل امّ لبنانية مع أطفالها الثلاثة إلى فريتاون، وقد أضاعوا جوازات سفرهم."

جاءني يوماً السيد نجيب اللقيس وأخبرني عن وجود كمية من الطحين في قاعدة برنس، كان قد استولى عليها من المرفأ. وبما أن الخبز بالنسبة لنا اللبنانيين، كالرزّ بالنسبة لليبيريين. هل من الممكن أن يبيعنا هذه الكمية؟ سؤال طرحه السيد اللقيس. ثم رافقني .. بعد تردد إلى برنس كي نسأله رأيه. أما برنس فقد طلب مئة دولار أميركي ثمناً للكيس الواحد سعة 50 كلغ. طبعاً، بعد أن ذكّرنا بتعاونه معنا نحن اللبنانيين وإعطائنا كمية من الرز دون مقابل لتوزيعها على جميع اللبنانيين. بأن ثورته تحتاج إلى المال لتغطية مصاريفها الباهظة، كالإنفاق على البعثات والوفود إلى مباحثات السلام في بنجول ..الخ

قبلت أن أستلم مئة كيس من الطحين، بتشجيع من السيد نجيب اللقيس على أن أسدد ثمنها فور بيعها.

في اليوم التالي، لاحظ بعض الليبيريين الشاحنة تفرغ حمولتها من الطحين. فراحوا يتجمعون لشرائه، وهذا ما لم يكن في الحسبان، فالسعر يعتبر غالياً وبالعملة الصعبة، وبما أنه يعني اللبنانيين قبل غيرهم، فلم يكن الليبيريون مقصودين أو معنيين بهذا الموضوع. فماذا أقول لهم؟ بعد أن وافقوا على السعر وبالعملة الصعبة. نعم ماذا أقول لهم ؟ دون أن يفسر موقفنا بأنه تمييز عنصري، إذا ما تمنعت عن بيعهم في هذا الوقت الحرج.

رحنا نستعمل كافة المبررات، (أتكلم بصيغة الجمع، لأن الرفيق عزام والمواطن عبدالله حمدان ساعداني في هذه المهمة) والحجج الواهية، فحصدنا كافة أنواع الشتائم واللعنات.

أعلمت حضرة المدير بموضوع الطحين، فبادر إلى سؤالي: وماذا ستفعل بالذين لا يملكون مالاً من اللبنانيين؟ وقد نهبت محلات وبيوت البعض منهم، ولم يبق عندهم شيء.

فعالجنا الموضوع على الشكل التالي: أن نبيع 90 كيساً بسعر 110$ بدلاً من مئة دولار التي طلبها برنس، فنكسب عشرة أكياس نوزعها على من لا يملك ثمنها. وفعلاً تولى الرفيق علي توزيعها، شرحنا لكل مشتر قصة العشرة دولارات، كي يشعر بأمر مساهمته ولا يتهمنا بالربح. وعلى سيرة الربح استدركت أمراً كان على مستوى من الخطورة، إذ خفت أن يصل إلى مسامع برنس أني أبيع الطحين بزيادة عشرة دولارات، فيتهمني بالغش أو الربح غير المشروع، وكلتا التهمتين لا تحمد عقباها. فسارعت إلى إعلامه بقصة هذه العشرة دولارات المضافة على كل كيس.

في اليوم التالي كنت في طريقي إلى القاعدة، لأسدد لبرنس ثمن الطحين. حين حضر إلى شقتي عشرات اللبنانيين يطلبون المزيد من الطحين، وكان بينهم من اشترى البارحة، فتعجبت لطلبهم. ثم طار صوابي وعلا صراخي حين عرفت أنهم باعوا الطحين إلى الليبيريين بأسعار خيالية. فلا همّهم صراخي ولا هزهم انفعالي. هم يريدون طحيناً .. فقط لا غير.

تدريجياً بدأت المحلات تفتح أبوابها، وعاد النشاط التجاري يأخذ مجراه. وبفضل لجنة الجالية اللبنانية التي أشرفت على تنظيم معظم الأنشطة التجارية، وأمّنت الحماية اللازمة لها، قام كل اللبنانيين بأعمال تجارية ناجحة. باستثناء الشبان الثلاثة المجندين مع برنس (لعدم تجرؤهم على هجره) فهو لا يتساهل مع من يعتبره فاراً من الخدمة أو من يتخلى عن موقعه. علماً أن برنس لم يستعمل هؤلاء الشبان في أي معركة أو على أي جبهة، بل استعملهم كمرافقين له في تجواله في شوارع المدينة. إذ يكفي أن يراهم الناس حوله كي يدركوا عظيم شأنه.

بدأ هذا الجزء (قاطع الجسر) يشهد حركة ازدهار. إذ سمحت الظروف الأمنية بذلك، فانتشرت كل أصناف البضائع على جوانب

الطرق، فبانت معظم البضائع المسروقة خلال الحرب. كسر الناس حاجز الخوف وخرجوا إلى الشوارع، كل ينادي على بضاعته. غير أن القلة القليلة من اللبنانيين لم تكتف بكسر حاجز الخوف فقط بل كسرت معه حاجز الحياء. إذ بدأت تصلني أخبار تفيد عن (شلة) تخلع المحلات بحجة إقفالها، وتسرق محتوياتها بحجة نقلها إلى مكان أكثر أماناً. كان يجري كل هذا في داخل السوق التجاري للمدينة دون مراقب أو محاسب أو حتى شاهد.

اتصلت بحضرة المدير الرفيق علي حمزة والدكتور عارف قصاص، بعدما تأكدت من صحة هذه الأخبار. ووضعتهما بصورة ما يجري لِخبرتهما في هذه الشؤون، فضلاً عن أني أحترم رأيهما.

وبعد نقاش طويل، حول ما آلت إليه الأوضاع، اقترحا إيجاد لجنة تشاركني في القرار وتساعدني في المهام. في 23 أكتوبر عقد في شقتي اجتماع حضرته الأغلبية الساحقة من اللبنانيين الموجودين في ليبيريا آنذاك. وفي هذا الاجتماع طرحنا الغاية من اللقاء، بعد أن شرحنا بإسهاب أن اللجنة التي ستكلف هي لجنة طوارئ تتنكب مسؤولية حماية مصالح الجالية في ظل الحرب القائمة، ولسبب غياب لجنة الجامعة اللبنانية الثقافية بكامل أعضائها. لذلك ستكون لجنة مؤقتة ريثما تعود البلاد إلى حالتها الطبيعية، أو تعود لجنة الجامعة إلى مقر عملها. وبطريقة التكليف والتطوع صار إلى تسمية عدة أعضاء مع إبقاء باب التطوع مفتوحاً حتى آخر يوم بعمر اللجنة.

أذكر أن حضرة المدير طلب تسجيل أسماء شخصين غائبين عن الاجتماع. وعليهما كانت تشير أصابع الاتهام للنهب المنظم الذي يجري داخل السوق. تعجبت من أمر حضرة المدير الذي رأى علائم التعجب واضحاً على وجهي. فكرر بصوته العالي اقتراحه بالاسمين. ففهمت أنه سيحدثني لاحقاً بهذا الشأن. وبعد انفضاض الاجتماع

الذي شعرنا خلاله بحماس الحاضرين وتوقهم إلى لجنة تمثل مصالحهم، ويلجأون إليها في الساعات العصيبة. توجهت نحو حضرة المدير الذي أجابني قبل أن أسأله "لوضعهم تحت المجهر" فأجبته: هذا إن قبلوا بالعمل معنا.!

N

حضرات أبناء الجالية اللبنانية المحترمين،

باسم لجنة الجالية اللبنانية الموجودة في منروفيا نود إعلامكم أنه بتاريخ ٢٣ تشرين أول ١٩٩٠ التقى بعض أعضاء الجالية وكبار السن المحترمين في بيت السيد مصطفى الشيخ علي وتم تأليف لجنة للجالية اللبنانية مؤلفة من السادة:

الدكتور عارف قصاص — جورج الراهب
علي حمزة — عزام سبيتي
حنا عطر — مصطفى الشيخ علي
وسام خوري

وذلك للنظر والاهتمام بمشاكل وهموم الجالية وبعلاقاتهم ببعضهم البعض وبالسلطات المحلية.

بناء عليه، تطلب اللجنة من جميع أبناء الجالية وخاصة الذين يتعاطون الأعمال التجارية حضور اجتماع عام يعقد نهار السبت القادم الواقع في ٢٧ تشرين أول ١٩٩٠ الساعة العاشرة صباحاً في بيت السيد مصطفى الشيخ علي للنظر بما يهم الجميع.

ولكم الشكر
عن اللجنة وسام خوري

لا شك أنها كانت أصعب مرحلة من تاريخ ليبيريا. وأخطر ما مر به الوجود اللبناني فيها. حيث لم يعد هناك قيمة للإنسان ولا للحياة ذاتها. مسلحون تعودوا القتل حتى أدمنوه، ساعات عديدة وأيام طويلة قضيناها وليس لدينا ما نفكر فيه سوى أن تمر هذه الحرب ونبقى في عداد الأحياء. أما متاجرنا ومستودعاتنا وكل ممتلكاتنا فلم تخطر ببالنا إلا بعد أن نشعر بأننا أحياء.

بدأت اللجنة بجلسات صباحية من كل يوم، وبعد التداول بالأوضاع وتطوراتها، يذهب (عفواً نسيت أن أذكر أني كلفت برئاسة اللجنة) أعضاء اللجنة إلى المدينة لتعاطي مع مشاكل الجالية، وأذهب أنا للتعامل مع برنس، كونه السلطة الموجودة على الأرض، بعد أن صرنا نخاطبه بفخامة الرئيس بعد مقتل الرئيس دو.

M

October 24, 1990

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
Acting President of Liberia
& Field Marshal of the
Independent National Patriotic Front of Liberia
Monrovia, Liberia

Dear Sir:

We have the honour to inform you that we, the members of the Lebanese Community have organized and appointed, through a meeting held on Tuesday, October 23, 1990, a Committee that will coordinate and transact businesses of mutual interest between ourselves and the I.N.P.F.L.

It is therefore our pleasing duty to introduce to you the Committee as follows:

1. Dr. Aref Kassas
2. Mr. Ali Hamzi
3. Mr. George Raheb
4. Azzam Sbaity
5. Wissam Khoury
6. John Mattar
7. Moustapha Ali

We look forward to a fruitful business cooperation.

Kindest regards.

Sincerely yours,

Moustapha C. Ali
CHAIRMAN

وجلنتنا، كأي لجنة عربية في أي زمان وأي مكان. تبدأ اجتماعاتها بكامل أعضائها، ثم لا تلبث إلا أن تتقلص إلى عدد الناشطين منهم. والناشطون هم: المواطن جورج الراهب، الرفيق علي حمزة، الرفيق وسام خوري، الرفيق عزام سبيتي وأنا. باستثناء الدكتور عارف قصاص الذي كانت عضويته شبه فخرية أو لساعات الشدة، لانشغاله في عيادته حيث كانت حاجتنا إليه أكثر إلحاحاً، علماً أنه كان دائم الحضور حين نحتاج إليه. أما الذين مروا مرور الكرام لغاية في نفس يعقوب، أو لمنفعة شخصية فكانوا كثراً ولا فائدة من ذكر أسمائهم.

R

إلى أبناء الجالية اللبنانية الكرام

نحيطكم علماً أنه وردنا رسالة من السلطات المحلية، تعلمنا وتطلب منا بعدم نقل بضاعة من مكان لآخر إلا بإشراف أصحابها، أو من يحمل تفويضاً خطياً من مالكها، وذلك بعد موافقة اللجنة وإشراف أحد أعضائها، وإذا تعذر وجود صاحبها أو تفويضاً خطياً. باستطاعة اللجنة إيجاد الحل المناسب.

مرفق طيه نسخة عن الرسالة الصادرة،

يطلب ممن يريد الاستيضاح أن يتصل برئيس اللجنة

وشكراً لكم،

منروفيا 90/11/12

رئيس اللجنة

أما الذين أراد حضرة المدير وضعهم تحت المجهر، (ح.م. وشلّته) فلم يكتفوا بمقاطعة اجتماعات اللجنة، بل راحوا ينعتونها بشتى النعوت السيئة، الى أن أصدرت اللجنة قراراً يمنع نقل بضاعة من محل لآخر، إن لم يكن صاحبها أو من يملك تفويضاً خطياً بذلك. وبحال نقل ممتلكات الغير من مكان لآخر بحجة حمايتها، يجب إعلام اللجنة، حتى تشرف على عملية النقل وتدوّن نوع وعدد البضاعة المنقولة.

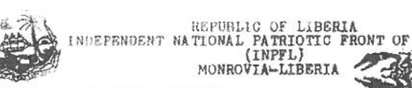
وبعد أيام معدودة علمت أن الذين أردنا أن نضعهم تحت المجهر (ح.م وشلّته)، ينقلون مستودع أحد المواطنين اللبنانيين فقصدت المكان لأطلع على ما يجري. فوجدتهم ينقلون بضائع المتجر الذي قالوا إنه تعرض للسرقة. سألتهم لماذا لم يعلموا اللجنة كي تهتم بالأمر، فأجابوني: أولسنا أعضاءً في اللجنة.! اكتشفت أنا وحضرة المدير، أن عضويتهم لم تضعهم تحت المجهر، بل أعطتهم غطاءً يستعملونه كما يحلو لهم.

ابتدأت اللجنة نشاطها بإجراء إحصاء للجالية، فتبين أن عدد الموجودين لا يتجاوز المئتين، منهم 55 فرداً خسروا كل شيء، فصار إلى الاهتمام بأوضاعهم، وكان الغذاء أهم ما يحتاجون إليه، فنظمت اللجنة حملة تبرُّع، جمعت خلالها ما توفر من مواد غذائية من المحلات التي لم تتضرر، أو كان ضررها جزئياً. وراحت توزعه وفق الجداول التي وضعت لهذه الغاية. اهتم الرفيق علي حمزة بالتوزيع مستعملاً منزله مركزاً لذلك.

لا شك أن بعض الأخطاء وقعت، إذ لم تكن المعلومات التي بين أيدينا دقيقة. فبعض الناس تستغل مثل هذه الظروف، فتقلب واجبك الإنساني إلى وسيلة لجني أرباح لها.

تماماً كما حدث معي قبل وجود اللجنة، عندما طلبت من برنس

100 كيس من الأرز سعة 50 كلغ. لأوزعها مجاناً على اللبنانيين، فلبى طلبي في الوقت الذي كان باستطاعة الفرد أن يبدل علبة للفول ملؤها رز، بتلفزيون ملوّن. أما انشغالي واهتمامي بالأمور الأمنية الكبيرة فجعلني هدفاً سهلاً للمستغلين. وبغياب الجداول أخذ هؤلاء أكثر من كيس أو حتى كيسين للشخص الواحد، بعد أن يتمسكنوا ويتزحفطوا ويقسموا بشرف أمهم وأبيهم، أنهم لم يستلموا شيئاً.



REPUBLIC OF LIBERIA
INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)
MONROVIA-LIBERIA

OFFICE OF THE FIELD MARSHAL

Ref. No. INPFL/168/'90

November 10, 1990

Mr. Moustapha Ali
Chairman
Lebanese Business Community
Bushrod Island
MONROVIA, LIBERIA.

Mr. Ali:

This is to inform you that we received intelligence report that some of the business people in the City of Monrovia were observed removing goods from one location into another without ability to identified themselves with this goods as owner or authorized to do so.

Therefore you are hereby requested to:

1. Inform them to stop this act without prove of ownership or proper authorization.

2. In the absence of authorization or ownership, and only in case of emergency, you are authorized to approve such an act based on your best knowledge and information.

This should serve as a notice, that any person or persons caught in the act shall face a drastic measure including, but not limited to confiscating such goods.

Yours truly,

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
ACTING PRESIDENT OF LIBERIA
& FIELD MARSHAL/INPFL

PYJ/JPL/avk

"DEATH BEFORE DISHONER"



لم يبقَ عندي أكثر من 15 كيساً عندما تنبهت لأسلِّمها لحضرة المدير الرفيق علي حمزة، الذي وزعها بأسلوبه الخاص، مستعملاً الميزان والقلم والورق.

كنا ندرك أن توزيع الإعانات مسألة مؤقتة. فاللجنة لا يمكن أن توزع ما لا تملكه. وليس ممكناً أن تضمن مصادر التمويل. لذلك كان واجباً على المنتفعين من الإعانات أن يجدوا بديلاً، وكان على اللجنة أن تساعدهم بإيجاد هذا البديل.

في ذات الوقت، كان يصل اللجنة أخبار تفيد بأن بعض اللبنانيين القيِّمين على مصالح الغير، ينقلون البضائع من مستودعاتها ليلاً، وبعد التحريات التي أجرتها اللجنة تبين أن السبب في ذلك يعود لواحد من اثنين. إما لسبب التهرب من دفع الضريبة المباشرة لبرنس، وإما لسبب إخفائها والادعاء بأنها سرقت. إذ كانت قد تعرضت هذه المخازن لسرقة محدودة قبل بضعة أيام، كما ادعى القيِّمون على هذه المصالح، ولإخفاء هذه البضاعة سببان أيضاً. إما لسرقتها في ما بعد والادعاء بأنها سرقت مع غيرها، أو لشرائها لا نفسهم بأبخس الأسعار واحتكارها.

وهنا أذكر أن أحد القيِّمين على مؤسسة كبيرة رفض أن يبيع بضاعة-نقداً-للبناني آخر. لأنه اشتراها شخصياً من تلك المؤسسة، طبعاً اشتراها بالأسعار التي وضعها هو، ثم راح يبيعها بأسعار خيالية. تطور الخلاف في ما بينهما إلى أن أطلق أحدهما النار إرهاباً من مسدس كان يحمله. حضر على الأثر بعض رجال برنس وساقوهما إلى القاعدة. في الطريق توسل مطلق النار التوقُّف عندي.

كان الكولونيل فارني يقوم بزيارتي عندما أحضروهما. فشرح له رجاله ما حصل وقاموا بتسليمه المسدس. وبما أن الشخصين

المتخاصمين هما لبنانيان فما كان من الكولونيل إلا أن سلمني الدعوة وانصرف.

كان هؤلاء يسعِّرون البضاعة التي يودون شراءها لأنفسهم بأبخس الأسعار، بحجة أن اللجنة تراقب الأسعار بأمر من برنس. علماً أنهم كانوا يقومون بذلك قبل وجود اللجنة.

استبعدت اللجنة أن يكون التهرب من الضريبة سبباً في تهريب البضاعة ليلاً. لأنها مسألة على مستوى عال من الخطورة في حينه. وبالتالي هم لا يدفعون الضريبة من قيمة المبيع بل يدفعها المشتري مضافة إلى سعر المبيع، فيبقى ورود السبب الثاني بشقيه.

من أجل ضبط هذه الأمور وحماية هذه المؤسسات لغياب أصحابها، لمصلحة الفئة التي خسرت كل شيء، والتي نحن بصدد تقديم المعونة لها وإيجاد البديل لوضعها السيِّىء اتخذت اللجنة القرارات التالية.

1- إحصاء البضاعة الموجودة والمنوي بيعها.

2- اعتبار كل لبناني في ليبيريا آنذاك تاجراً (الكثير منهم كانوا مهنيين) ويحق له تعاطي التجارة.

3- عملنا على تقسيم كل البضائع المطروحة للبيع حصصاً متساوية بين اللبنانيين، وكان للقيِّمين على مصالح الغير حصص مثل غيرهم.

4- أما الذين لا يملكون ثمن حصصهم - وكانوا في حينه كثراً- فصار على أن يدبر لهم من يشتريها مقابل نصف أرباحها.

وزعت البضاعة على ما يزيد عن المئتين حصة، وساعد أعضاء اللجنة في البيع والتوزيع.

بهذا التدبير استطاعت اللجنة أن تحقق أمرين مهمين:

الأمر الأول هو منع عملية الاحتكار التي مارسها ما لا يزيد عن خمسة أشخاص، هم بالأساس ليسوا أصحاب البضاعة.

الأمر الثاني هو مساعدة المتضررين من اللبنانيين، بشكل استغنوا معه عن المعونات وكان عددهم 55 فرداً.

على الهامش

(Watanmal واتنمال) من كبريات الشركات الهندية في ليبيريا وبريطانيا وغينيا وعدة دول أخرى. تعرضت مستودعاتها في منروفيا للخلع إبان الحرب، فراح أحد الهنود يدعي أنه مديرها والمسؤول عنها، مهيئاً نفسه لبيع بضاعتها. وأتى من يقول لي إن هذا الرجل ينتحل صفة لا يملكها، لأنه ترك عمله في الشركة المذكورة منذ أكثر من سنة. تدخلت عندها لجنة الجالية اللبنانية لمصلحة الشركة، عندما تأكدت من أمر الانتحال هذا. فأخذت اللجنة جردة بالبضائع الموجودة، وباعتها حصصاً متساوية على جميع اللبنانيين والهنود معاً. هكذا تجمع في غرفة نومي بضع كراتين من الدولارات الليبيرية، يساوي مجموعها 971,571 $ من فئة الخمسة دولارات، إذ لم يكن في العملة الليبيرية أكبر من هذه الفئة. وهذا المبلغ يعادل 200,000 $ أميركي في حينه اضطررت للاحتفاظ بهذا المبلغ في شقتي لسببين. 1- لم يكن لدينا من نعرفه بين الهنود الموجودين معرفة جيدة، تخولنا الوثوق به. 2- كانت شقتي في مأمن من اللصوص، ومحروسة من قبل رجال برنس.

وغرفة نومي تلك، كان يدخلها برنس وفارني وكل من أراد أن يحادثني بمشكلته من اللبنانيين عندما يكون صالوني مشغولاً بالزوار.

هكذا بشر بعض من دخل غرفتي بالملايين التي أجنيها من هذه الحرب..طبعاً لم يكذبوا عندما قالوا إنهم رأوا بأم أعينهم الكراتين المكدسة والملأى بالدولارات.. ..صدقوهم.

..وقبيل مغادرتي إلى بنجول مع وفد برنس جونسون لمحادثات السلام، وقبل أن يحضر أحد من أصحاب الشركة المذكورة. طلبنا، نحن أعضاء اللجنة اللبنانية، من كل الهنود الموجودين في منروفيا أن ينظموا أنفسهم وينتخبوا لجنة جالية هندية، حتى نسلّمها المبلغ..وبسرعة البرق، نظموا..انتخبوا..واستلموا..ووقعوا. غير أنهم بدلاً من أن يسلموا المبلغ لأصحاب الشركة، فتحوا به شركة مساهمة وراحوا يستثمرون ويتاجرون.

سمعت أنهم سددوا المبلغ على دفعات ولكن..بعد أن قبروا الفقر.

التقيت لاحقاً ابن صاحب الشركة (توفي). ومديرها العام السيد داسواني Daswani له طول العمر. وشرحت لهم بالتفاصيل بعد أن سلمتهما كل الأوراق الموقعة.

لو لم تقم اللجنة بتلك الاجراءات، لكانت البضاعة -أو- ثمنها في خبر كان. وهنا أؤكد أن كل محل خلع مرة واحدة. آلت بضاعته إلى اللصوص من الأفارقة أو إلى من وضعناهم تحت المجهر.

* * *

RECIEPT 6/12/90.

WE THE INDIAN BUISNESS COMMITTEE U
RECIEVED ON BEHALF OF M/S. WATANMAL (LIB) INC
THE SUM OF LD 971,571.75. (LIBERIAN DOLLARS NINE
HUNDRED SEVENTY ONE-THOUSAND-FIVE HUNDRED SEVENTY-
ONE & SEVENTY FIVE CENTS) ~~WHICH~~ FROM LEBENESE BUISNESS
COMMITTEE THROUGH ITS CHAIRMAN MR. MASTAPHA ALI.
THIS AMOUNT REPRESENTS THE SALES OF, NIDO, GUIGOZ,
V-8 JUICE, CANDLES & SUGAR AS PER INVOICE BOOKS
IN TRIPLICATE BOOKS PRESENTED (FIVE IN NUMBERS FROM 1-100)

SIGNED:

(1) MR. M. P. DHALIWALL - CHAIRMAN. Dhaliwal
(2) MR. M. J. SHARMA - VICE-CHAIRMAN
(3) MR. HARESH PARWANI - ACTING PRESIDENT H.J. Parwani
(4) MR. LALCHAND RAMCHANDANI - VICE PRESIDENT Lalchand
(5) MR. CHRISTOPHER ANTHONY — Member
(6) MR. RAJU ADVANI
(7) MR. VIMAL K. BOLIA - Member
(8) MR KARNAIL BHATHAL. K.S. Bhathal

Dec 21, 90

Reciept

Received a Sum of US$1788-00
One thousand seven hundred thirty-eight,
from Mr. MUSTAFA ALI on
A/C of Watanmal Goods (Sugar
oil etc) (The original Sum
was US$2044.00 less 15% for Prince
Johnson)

M. P. DHALIWAL

لكل شيء ثمنه، هذه سنّة الحياة وقاعدة التعاطي بين الناس. وكل من يعطي..يأخذ، وإن اختلفت الأشكال والوسائل.

لم يكن برنس حالة شاذة، بل كان في صميم هذه المعادلة، ما كان يميزه عن سواه.. إنه يعطي..وإن كان يعطي مما لا يملك أوليس له. فكل من عرفتهم في مثل وضعه وظروفه.. يأخذون فقط.

إن المئة كرتونة سمك التي (أعطاها) السيد حسن مقبل، لبرنس مقابل حماية المسمكة ومدها بالمحروقات، إذ كانت تحتوي على 45 ألف كرتونة سمك.تم ذلك بواسطتي وأنا في بدء علاقتي مع برنس. فقررت ألاّ أسلمه الكمية دفعة واحدة وألاّ أعلمه بالكمية أيضاً، بل رحت أسلمه عشرة كراتين في كل زيارة أقوم بها للقاعدة من أجل قضية أو مسألة ما. هكذا توطدت علاقتي به، وهكذا يكون حسن مقبل قد (تبرع) لبرنس بالسمك عشر مرات بدل مرة واحدة.

عندما فتحت بعض المحلات أبوابها، تقدم إليَّ أحد اللبنانيين يطلب حماية برنس لكثرة التحرشات التي كان يتعرض لها من بعض المسلحين. وما إن اتصلنا ببرنس من أجل هذا الموضوع، حتى راح يشرح لنا عدم اكتراث قوات حفظ السلام لحماية اللبنانيين، وتصدِّيها لبعض المشاغبين واللصوص. ثم أردف كيف كان الأمن مستتباً عندما كانت المدينة تحت سيطرة قواته وحدها. وبما أنه الممثل الوحيد للشرعية الليبيرية (بعد أن صرنا نناديه بفخامة الرئيس)، سيؤمن الحماية اللازمة لكل من يريد أن يفتح متجره، لما فيه منفعة الجميع .. وراح ينقلنا من موضوع إلى آخر .. إلى أن حط رحاله بكيف يجب أن يتقاضى ما يحق للدولة الليبيرية من ضرائب وغيره، خاصة أن تنظيمه يتحمل أعباء ومصاريف جمة، وليس له من دولة تدعمه أو تساعده.

وبعد عدة زيارات ومراجعات بهذا الشأن، تم التوافق على ضريبة إضافية (تضاف على سعر المبيع). ضريبة يدفعها المستهلك وليس التاجر أو صاحب البضاعة.

I

INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)

OFFICE OF THE FIELD MARSHAL

[Ref. No.] INPFL/060/'90

October 5, 1990

Mr. Moustapha Ali
Chairman
Lebanese Business Community
Bushrod Island
MONROVIA-LIBERIA

Dear Mr. Ali:

You are hereby directed to report all monies collected by you to the Adjutant General of the Independent National Patriotic Front of Liberia, Mr. Noah A. Bordolo, so that he can bring same to me.

Yours sincerely,

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
ACTING PRESIDENT OF LIBERIA
& FIELD MARSHAL/INPFL

PYJ/JPL/avk

RCVD
$ 60,000.00
N. A. Bordolo
Adjutant Gen/INPFL



REPUBLIC OF LIBERIA
INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)
MONROVIA-LIBERIA

OFFICE OF THE FIELD MARSHAL

(Ref. No.)

Octobeer 24, 1990

RECEIPT

I, B/Gen. Prince Yeduo Johnson, Acting President of Liberia and Field Marshal of the Independent National Patriotic Front of Liberia (INPFL), received the sum of $30,000.00 (thirty thousand dollars) from the A-Z Corporation as their contribution to INPFL operations.

Signed:

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
ACTING PRESIDENT OF LIBERIA
& FIELD MARSHAL/INPFL

PYJ/JPL/avk

Oct. 18, 1990

Dear Mr Moustapha,

Due to pressing duties @ Base I could not come to your house today.

Please send the $50,000.00 (Fifty thousand dollars) and the food by my Chief of Protocol and Body-gard.

Thank you.

Signed: 18/10/90

B/Gen. Prince Y. Johnson
Field Marshall &
Acting President



Republic of Liberia
INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)
Monrovia, Liberia

Office of the Field Marshal

Ref. No.:..................

November 20, 1990

RECEIPT

I, B/Gen. Prince Yeduo Johnson, Field Marshal, INPFL received from Mr. Moustapha Ali, Chairman of the Lebanese Community, Bushrod Island, the sum of $ 170,825.00 (one hundred seventy thousand, eight hundred and twenty-five dollars) as contribution from the A-Z Corporation towards the INPFL activities.

Signed:

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
FIELD MARSHAL/INPFL

"DEATH BEFORE DISHONOR"

جمال رحمة

مهندس من الكيان الشامي، كان يعمل في مؤسسة يملكها أحد اللبنانيين. معرفتي به كانت سطحية، إذ لم تمض على وجوده في ليبيريا مدة طويلة.

دفعت به النخوة إلى شقتي ليعرض خدماته واستعداده للقيام بأي عمل يطلب منه.

فقلت له: وماذا تستطيع أن تقدم أو تفعل؟

قال: إني مهندس تقني

قلت: وما نفع هذا في هذه الأيام؟

قال: لقد سمعت بأن برنس قد استعاد محطة ضخ المياه، وأنها معطلة نتيجة المعارك التي دارت حولها، وبسبب توقفها منذ عدة شهور.. وأنا أستطيع إصلاحها.

قلت: هل أنت جاد في ما تقوله؟

قال: نعم، بكل تأكيد.

قلت: إذن هلم بنا.

ذهبت به إلى برنس، الذي وافق على المشروع دون أي مناقشة. مبدياً استعداده لتأمين كل ما يطلب منه.

تبرعت لجنة الجالية بثمن العدة اللازمة لعملية الإصلاح. وابتدأ المهندس جمال رحمة يعاونه المواطن اللبناني حكمت بربر وبعض المتطوعين من الشباب الليبيري التابع لتنظيم برنس.

تعرض المكان إلى أكثر من هجوم من قبل رجال تايلور، مما عرَّض

حياتهم جميعاً للخطر. في تلك الأثناء وجدت بالسيد جمال رحمة خلافاً للقاعدة، إذ جرت العادة بألا يقصدني إلا من يبغي خدمة ما. فالسيد رحمة أتى يعرض خدماته دون أي مقابل . إن أمثاله يعطونك زخماً في خدمة الغير، ويؤكدون لك في أحلك الأوقات أن الدنيا ما زالت بألف خير.

الدكتور ألفرد كوولا

Dr. Alfred Kulah صديق ليبيري من محافظة نمبا، كنت قد تعرفت عليه عبر الرفيق عزام وهو ينتمي إلى قبيلة المانو.كان من مناهضي حكم الرئيس دو ومن المهتمين بالشؤون والقضايا السياسية الليبيرية. يسكن في منطقة Doupu Road الواقعة تحت سيطرة تايلور،حيث أمضى الخمسة أشهر الماضية دون أن نسمع عنه شيئاً خلال تلك الفترة ولا عن كونه حياً أو ميتاً.

في 25 أكتوبر، بعد أن استتب أمر المنطقة لرجال برنس وقوات حفظ السلام. حضر الدكتور كولا إلى منطقتنا، ولما سمع عن علاقتي ببرنس طلب أن أصطحبه إليه لأعَرف عنه.

جلسنا ننتظر برنس في صالونه الذي يعج دائماً بالناس. كان الوقت عصراً وكانت الضيافة بيرة، وكان بين الحاضرين رجلان ليبيريان، طويلا القامة، ضخمان، يرتديان ملابس مدنية تدل على أنهما ميسورا الحال. وكان برتوكول برنس يعاملهما معاملة خاصة، إذ كان يترك لكل منهما زجاجتين من البيرة بدلاً من واحدة يقدمها لغيرهما من الضيوف، كما أنه كان يزايد في ملاطفتهما. توقعت أنهما حديثا المعرفة ببرنس، لأنه دائماً يفاخر في معارفه الجدد ويتناسى أو يهمل كل علاقاته القديمة. كأي طفل يحب ويفضل دماه الجديدة.

دخل برنس إلى الصالون فوقف له الحاضرون. وقبل أن يبدأ كلامه

أسرعت في تقديم الدكتور كوولا إليه، كي أنهي مهمتي قبل أن يطول مشوارنا على شاطئ أفكاره. أبدى ارتياحه مؤهلاً بالدكتور كوولا ومجاملاً.

لحظات، وطلب برنس إلى رجاله إحضار الرجلين المميزين وطرحهما أرضاً أمامه. نفذ رجاله الأمر وسط ذهول الحاضرين، ثم راح يعرِّف عنهما بقوله إنهما تلقيا تدريبهما العسكري معه في ليبيا، غير أنهما يعملان لحساب تنظيم عسكري آخر يرأسه بويما فانبوليه BOIMA FANBOULAH - أتينا على ذكره سابقاً – وأكمل هذا التنظيم موجود سراً في سيراليون، حيث الحكومة الانتقالية منذ فترة طويلة. اعترف الرجلان بكل ما ورد على لسانه. لا أدري إن كان اعترافهما خوفاً أم حقيقة؟

واستطرد برنس: إنهما حضرا إلى ليبيريا على متن باخرة قوات حفظ السلام القادمة من فريتاون، ثم راح يتساءل عن سبب مجيئهما في هذا الوقت بالذات، حيث الحرب والمرض والجوع .. وتابع جازماً .. إن لحضورهما هدفاً هو قتله، فأصدر أمره بإعدامهما..!!

عبثاً حاول مراسل ال BBC الصحافي الأميركي SCOTT أخذ إفادتهما أو وجهة نظرهما بالموضوع. فالذي سيعدم بعد لحظات، لا تهمه الأحاديث الصحفية.

كالنعاج التي تساق للذبح، سحب الرجلان إلى الخارج حيث سمعنا .. بعد لحظات بضع طلقات نارية .. ثم عاد كل شيء إلى طبيعته، سكراً وغناءً، كأن شيئاً لم يكن.

كان لهذه الحادثة سبب في تأخر وصول الحكومة الانتقالية بضعة أسابيع.



الكولونيل صموئيل فارني





Scott مراسل BBC الأميركي يحاول التحقيق معهما



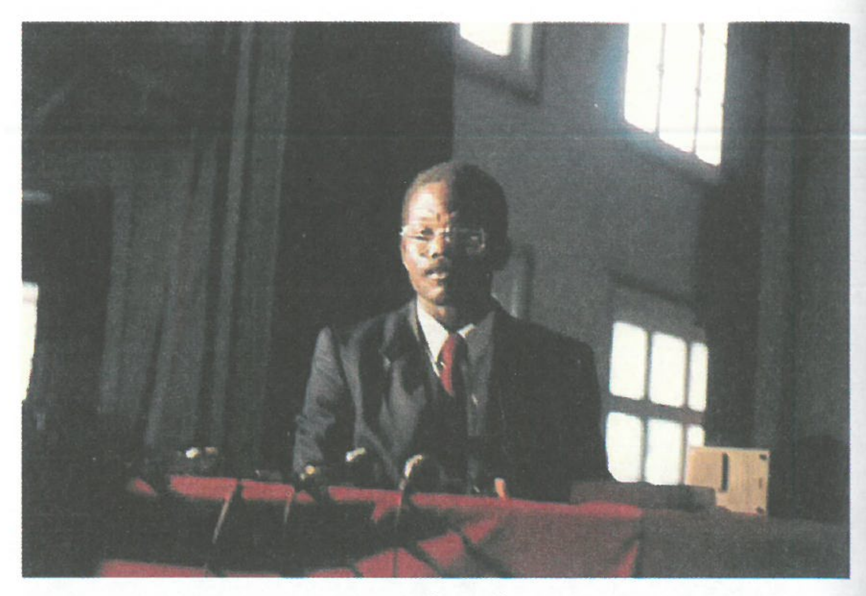
أعفي عنه ثم قتل



مع برنس الصغير



برنس الصغير مع السيدة أوشي



برنس جونسون



برنس قبل أن يغادر المحطة



برنس مغادراً المحطة ويبدو بجانبه نائب الرئيس



يبدو علي رحال الى اليسار في لباسه العسكري



يبدو قاسم فواز في مؤخرة الصورة مرتدياً اللباس العسكري



برنس وموكبه المؤلف من حريمه ومقاتلاته

INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)

Certificate of Recognition

DECEMBER 24,1989 — DECEMBER 24,1990

COMMANDO, BRAVE, STRONG, INTELLIGENT

Mr. Moustapha Ali

In recognition of Your Invaluable Services rendered the Liberian People and Humanity in general during The Liberian Civil War, we award you this

Certificate

Given under our hands in the Township of Caldwell, Montserrado County, R.L. on this ___ day of May 1991

Sr. MILITARY ADVISOR, INPFL

FIELD MARSHALL, INPFL

شهادة تقدير



Republic of Liberia
INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)
Monrovia, Liberia



Office of the Field Marshal

Ref. No.:..................

BRIGADIER GENERAL PRINCE Y. JOHNSON'S ENTOURAGE TO BANJUL, GAMBIA

1. Dr. Peter Naigow
2. Gen. Emmanuel Sayon
3. Gen. Gborgboe Gblinwon
4. Mr. Noah Bordolo
5. Mr. James P. Legay
6. Miss Anna Kofa
7. Miss Houda Senghor
8. Miss Beatrice Suduie
9. Mrs Amy Collins
10. Mr. Peter Toby
11. Mr. Joseph Wanda
12. Mr. Moustapha Ali
13. Mr. Stephen Tour
14. Mr. Daniel Johnson
15. Mr. Isaac Wiles

"DEATH BEFORE DISHONOR"



لائحة بأسماء الوفد إلى محادثات السلام في بنجول



على الغداء في شقتي



الكبير والصغير... وزجاجة من الكحول

عفو ثم إعدام

من المفاجآت التي كانت تحصل كلما توسعت رقعة سيطرة قوات حفظ السلام، بالاشتراك مع قوات برنس. هو اكتشاف أقارب وأصدقاء وأحباء..أو أعداء، كانوا في عداد المفقودين.

كان مرمياً على الأرض، بعد أن خلعوا عنه ملابسه وأوثقوا يديه. إنه من عائلة الرئيس دو: قالها لي أحد المقاتلين فور وصولي إلى قاعدة برنس.

كما أنه كان مسؤولاً في المطار الدولي، استطرد هذا المقاتل، الذي كان بادياً من كلامه أنه هو الذي اعتقله.

وقفت حزيناً أراقب هذا الرجل الذي سيفارق هذا العالم..كما يبدو. حضر برنس، وكان يصدر أوامره بالإعدام عندما تنبه إلى وجودي، فاقترب مني، وبعد أن بادلني التحية راح يشرح لي خطورة هذا الرجل وجرائمه. غير أنه قرأ ملامح وجهي، فعفا عن الرجل، وطلب إلى رجاله أن يفكوا وثاقه. فصرخ الرجل بأعلى صوته، "شكراً لك يا يسوع المسيح" وكررها عدة مرات.

شكرت برنس على تصرفه هذا، كما شكره بعض رجاله. التفت إليّ برنس وقال: اتبعني إلى المكتب. ثم قال لرجاله أن يحضروا السجين إلى مكتبه أيضاً. وبعد أن أنهى برنس محاضرته التي قصف بها أذني سجينه الطليق الذي عادت إليه ملابسه.. والحياة. طلب إلى أحدهم أن يطعم السجين قبل إطلاق سراحه. فعاد السجين يشكر الله والمسيح وهو خارج من مكتب برنس.

..ثم استأذنني برنس لبضع دقائق، وخرج من المكتب، سمعت طلقاً نارياً، عاد برنس إلى مكتبه حيث طلب إليّ أن انتظره. لاحظت قطرات من الدم-الحي- على حذائه وملابسه. فعرفت في قرارة نفسي أنه قتل السجين،

وتأكدت من ذلك في اليوم التالي. أما تمثيلية الإعفاء عنه، فلأن برنس يتجنب القتل في حضرتي، وكنت أتظاهر بتصديقه حتى أحافظ على الاحترام الذي يبديه لي. إذ لم يكن هناك من شك في أن لهذا الاحترام حسناته التي فعلاً أنقذت بعض الناس في بعض الأحيان.

* * *

بمساعدة برنس توسعت دائرة سيطرة قوات حفظ السلام بشكل جيد، حيث ارتاحت العاصمة من حصار تايلور وتهديده المتواصل لأمن المدينة، وقيل إن هذا التوسع كان شرطاً أساسياً لحضور الحكومة الانتقالية الخائفة من كل ما له علاقة بالحرب، فكل أعضائها هم من الذين كانوا خارج البلاد طوال أيام الحرب العصيبة، ففاتتهم التجربة المريرة.

بدأت المدينة تشهد انفراجاً وازدهاراً، خاصة في المنطقة التي تحت سيطرة برنس وقوات حفظ السلام، هذه المنطقة التي أمَّها الناس من كل المناطق الأخرى شهدت أكبر كثافة سكانية في تاريخها، وكأنها استوعبت 90٪ من سكان ليبيريا كلها.

تبين في المناطق (المحررة) وجود أناس ظنهم ذووهم أنهم في عداد الموتى. فأنا اهتديت إلى ابن صديق ليبيري الذي ذهب في رحلة إلى نيويورك، حيث سدَّت الحرب طريق العودة عليه.كان ابنه بوبي (7 سنوات) في عهدة جدته حين داهمتهما الحرب. برنس جونسون ذاته عثر على زوجته وابنه برنس الصغير (8 سنوات). كان شكل هذين الطفلين بوبي وبرنس الصغير يدل على سوء الوضع الصحي والأمني للذين شاءت لهم الظروف أن يكونوا في الطرف الآخر. فانتفاخ البطن المترافق مع هزال الجسد دل على أن الجوع تحوَّل من شعور إلى مرض بدأ ينفخ الكبد. أخذت الطفلين إلى

شقتي ورحت أشرف على تغذيتهما بمساعدة صديقة ألمانية تدعى Ursula Raeder، وكان الدكتور عارف القصاص يشرف على معالجتهما. طعام المعلبات كان متوفراً عندنا بشكل جيد (أعني في منطقة برنس). ما كان ينقصنا هو الأغذية الطازجة كالخضر والفواكه واللحم والسمك والبيض والبصل طبعاً. قمنا نحن جماعة أنترا في بدء نهاية فصل الشتاء وحلول فصل الصيف، باستصلاح قطعة من أرض المستنقع الذي نقطن فوقه. زرعنا في تربتها ما توفر لدينا من بذور البامية، الباذنجان، البندورة، الفليفلة، الخيار والبطيخ. لو اتكلنا فعلاً على هذه المزرعة لكنا في عداد ذوي البطون المنتفخة، لأنه لم ينجح عندنا غير البامية.

أما الثروة الحيوانية، فكنت أملك غزالاً وعنزة .. وثلاثة كلاب (إذا ما دعت الحاجة) اثنان منهما كانا لاجئين. ومن الطيور كان لدي بضعة أزواج من الحمام وبعض الدجاج. خفت على ثروتي هذه من ثلاث: من نفسي أولاً، ومن برنس ثانياً، والغير ثالثاً. لكني كنت دائماً أخفيها، فتمكنت من الحفاظ عليها رغم أنف الثلاثة معاً.

ما إن بدأ بعض الانفراج حتى بدأت ببناء قفص أضع فيه طيوري .. على نوعيها وعلى عينك يا تاجر، رحت أجمع له الخشب قطعة من هنا وأخرى من هناك. لأن الخشب أصبح صنفاً نادراً فالخشب مصدره الغابات التي يسيطر عليها تايلور. تمت عملية بناء القفص على مراحل، عاونني بذلك الرفيق مصطفى عياد، وفي محاولة منا للهرب من ذلك الواقع اليائس، رحنا نتفن ونبرع في بنائه. حتى أصبح لغزاً يتساءل عنه الزوار، فبعضهم قال إنه للعصافير، وغيرهم قال إنه للأسود، وهنا أذكر ما قاله الرفيق عياد "مقابل هذا الجهد الذي نبذله في بناء قصر الدجاج هذا، على كل دجاجة أن تبيض ثلاث مرات في اليوم الواحد". يجب ألاّ أنسى مساهمة عبدالله حمدان في عملية بناء القفص.

23

١- طوني ترشا ئ
٢- ناجي عطاالله
٣- عادل زريق
٤- حنا حرب
٥- إدوار أيوب
٦- جورج نصرالله
٧- سعدالله حرب
٨- سعدالله القيس
٩- حسن عزالدين
١٠- محمد علوية
١١- مصطفى فرحات
١٢- الياس أيوب
١٣- حسان نورالدين
١٤- عصام حمد
١٥- زياد سعدالدين
١٦- حافظ فهمي
١٧- فرحان أبوعلي
١٨- طوني سرحنا
١٩- رزق غريب
٢٠- سالم غريب
٢١- منيف أبو حيدر
٢٢- الياس فارس
٢٣- يوسف محمود
٢٤- شوقي العبدالله
٢٥- كميل أبو حمدان
٢٦- فؤاد قاسم
٢٧- محمد فياض
٢٨- علي السيد
٢٩- إيهاب فرحات
٣٠- عماد خورعي
٣١ عبدالله جبارة
٣٢- أنور كاكسي

١٠١ سمير حايك
١٠٢ محمد داوود
١٠٣ ليلى داوود
١٠٤ [crossed out] نبيل وهبي
١٠٥ ياسر دبوس
١٠٦ خضر الدلباني
١٠٧ حسين الدلباني
١٠٨ احمد ابو النصر
١٠٩ إسماعيل أبو النصر
١١٠ [crossed out] علي جمال
١١١ علي عيد حرفوش

24

علي السيد
١ محمد فياض
٢ عدنان فياض
٣ وسام العلي
٥ زياد بصيبص
٦ بيار بصيبص
٧ لبيب فرح
٨ فؤاد
٩ كمال حسن
١٠ ابراهيم نعنوع
١١ غسان الخطيب
١٢ خليل نعنوع
١٣ عبدالله فرح
١٤ عبداللطيف فياض
١٥ حافظ فهمي
١٦ علي بعل
١٧ كمال كامل
١٨ وليد
١٩ جورج نصرالله
٢٠ كميل ابو حمدان
٢١ جيمي عيد
٢٢ طوني بلال
٢٣ [crossed out]
٢٤ ابراهيم الاخشعي
٢٥ [crossed out]
٢٦ جون طيب
٢٧ الياس الخليل
٢٨ جورج محفوظ

٢٩ حنا نصار
٣٠ جوزيف موسى (جان)
٣١ نبيل ابو زكي
٣٢ ياسر صالح
٣٣ عدنان الزامي
٣٤ خليل سقسوق
٣٥ عبدالله سقسوق
٣٦ حسن سلمان
٣٧ جورس البيايع مع حسن الشخاص
٣٨ زينب سقسوقه
٣٩ جورج زخريا
٤٠ حكمت موسى
٤١ ابو حسن الحسيني وعمه ١٦ اشخاص
٤٢ عبدالله تاج الدين
٤٣ عاطف جمعه
٤٤ هاني دنكور
٤٥ عطا غريب
٤٦ زينب ابراهيم
٤٧ عفيف الرومي
٤٨ صائر الرومي
٤٩ وجيه العلي
٥٠ انور نعمه
٥١ جورج ابو طاهر
٥٢ حسن قاسم
٥٣ حبيب فياض

٥٤ خليل نعنوع
٥٥ ابراهيم نعنوع
٥٦ غسان الخطيب
٥٧ لندنا الحسينا ?
٥٨ رشا الخطيب
٥٩ جورج [crossed out]
٦٠ سمير الاشقر
٦١ ناجي محمد عاشور
٦٢ نظير نزار عياش
٦٣ منيف نصار
٦٤ محمد علي قنشاقش
٦٥ خليل زيدان
٦٦ محمد عطية
٦٧ سمير الشباب
٦٨ نبيل الجوهري
٦٩ طوني الديب MAHMI
٧٠ شوقي حميد وعائله
٧١ مريم حميد
٧٢ فاطمه حميد
٧٣ محمد الحسيني وعائله
٧٤ غازي الجوهري
٧٥ عائله الحسيني
٧٦ جون موسى وعائله

محمد محفوظ
جوزيف [illegible]
عطا [illegible]

في 31 أكتوبر، قامت قوات تايلور بأول هجوم معاكس لها باتجاه منطقة ال Dupou Road حيث يقيم الدكتور كولا، الذي أصبح هدفاً بعد الزيارة أو الزيارات التي قام بها إلى برنس. فكانت النتيجة أنه هجّر مع عائلته من المنطقة، فحضر إلى شقتي يطلب اللجوء، فكان له ما أراد.

الإثنين 5 نوفمبر

كانت صحة الطفلين برنس الصغير وبوبي تستلزم مراجعة الدكتور عارف قصاص، لذلك طلبت إلى الرفيق مصطفى عياد أن يصطحبهما إليه في صباح هذا اليوم الإثنين 5 نوفمبر.

عند الظهيرة كنت في زيارة إلى القاعدة لإنهاء أمر يتعلق بمواطن لبناني، شاهدت الرفيق عياد يجالس بعض الشبان اللبنانيين (كنت أعرفهم كلهم) في صالون برنس. تعجبت لوجوده في القاعدة إذ ليس للرفيق مصطفى أي علاقة تجمعه مع برنس أو أحد مقاتليه. باستثناء بعض الخلافات مع بعض عناصره، كثيراً ما اقتادوه إلى مراكزهم وكنت في كل مرة أذهب لإخلاء سبيله.

سألته ما الأمر؟ فقال: مجرد زيارة مع الشباب، مشيراً إلى من كان معه.

فدار بيننا الحوار التالي:

- كيف أتيت مع الشبان، وكان يجب أن تصطحب برنس الصغير وبوبي إلى الطبيب؟

- لقد تعطلت سيارتي، فسألت الشبان أن يقلوني إلى من يصلحها.

- وكيف أحضروك إلى هنا؟

- كانوا في طريقهم إلى هنا، فرافقتهم.

- ومتى سترافق الأولاد إلى العيادة؟

- فور عودتي.

أبديت استيائي، فراح يلاطفني.

في السادسة مساءً، كنت وحيداً أجالس ركوة القهوة، عندما دخل عليّ السيد نبيل أبو زكي (كان دائم الحضور في القاعدة) ليخبرني بأن برنس تلقى مخابرة لاسلكية من قوات حفظ السلام تفيد بأن أحد المقاتلين اللبنانيين جرح في الجبهة الأمامية، وأن برنس طلب إلى هذه القوات نقل المصاب إلى المستشفى، كما أوفدني لأعلمك بالأمر.

تسارع إلى ذهني اسم أسامة عبد الكريم، فأجاب السيد أبو زكي بالنفي. فقلت إذن، لم يبق سوى قاسم فواز أو علي رحال؟ أجابني بأنه من المقاتلين الجدد. فسألته إن كان هناك مقاتلون لبنانيون جدد؟

قال: نعم، لكني لا أعرف أحداً منهم.

نهضت وفي قناعتي بأن في الأمر التباساً، غير أن هذا لا يعني أنه لا يوجد لبناني جريح.

صعدت إلى السيارة دون أن اعرف وجهة سيري. هل أذهب إلى القاعدة؟ أم إلى المستشفى؟

كنت أتباطأ في سيري، أفتش في طريقي عمن أسأله، فالتقيت الكولونيل يورمي (مدير الشرطة لاحقاً) فإذا به لا يعرف شيئاً عن الموضوع. أكملت سيري ببطءٍ أكثر بعد أن اقتربت من المفرق الذي يفصل طريق المستشفى عن طريق القاعدة، فشاهدت أسامة عبد الكريم، وكان في طريقه اليّ، وفي ملامح وجهه ما يدل على فاجعة. قلت له .. أخبرني .. وبسرعة. فقال: مصطفى عياد وتوفي منذ لحظات.

– أين هو الآن؟ سألته وأنا متمالك نفسي.

– في المستشفى، أجابني بصوت يخالطه الحزن .. والندم.

تابعت سيري ومخيلتي تعج بصور الرفيق مصطفى، بشاشته، رقته وسرعة بديهته وتلك الابتسامة الحاضرة أبداً على محياه. ما الذي دفع به للذهاب إلى الجبهة؟ وهل هو فعلاً انضم إلى صفوف برنس؟ لماذا لم يخبرني بذلك؟ أيعقل أن يحصل كل ذلك بين صباح ومساء؟ وأسئلة عديدة لم تعد مهمة الآن طرحتها على نفسي وأنا في طريقي.

في المستشفى، أشار أحد العاملين إلى الغرفة التي فيها الرفيق مصطفى. وجدته ممدداً على طاولة بالقرب من جثة شاب ليبيري سقط في الموقع ذاته. أطبقت عينيه اللتين كانتا تحدقان باللاشيء، وقفت أتأمله وأنا ممسك بيده. لم أستطع البكاء فشعرت وكأني على حافة انهيار عصبي.

لحظات ووصل برنس، فارتمى فوقه وراح يجهش بالبكاء كطفل صغير فقد أباه. مع ما كنت فيه من مأساة تعجبت لأمر برنس الذي يستطيع أن ينتحب على شخص بالكاد يعرفه، بينما قتلاه تعد بالمئات. ثم طلب إلى مرافقيه نقل مصطفى إلى القاعدة، نظر إليّ وقال: إنه سوف يدفنه بجانب ابنه (الذي قتل يوم 24 آب في سبيل تأمين المرفأ لإنزال قوات حفظ السلام الأفريقية) وفعلاً حملوا الرفيق مصطفى واتجهوا به نحو السيارة التي يقودها برنس. هنا بدأت أصحو من شبه غيبوبتي، فطلبت إليه التمهل حتى الغد كي يتسنى لي أن أبلغ الجالية اللبنانية، فالكثير منهم يودون المشاركة والحضور. وافق برنس .. وغادر المستشفى. بقيت مع الرفيق مصطفى بعض الوقت .. أحادثه تارة وأحادث نفسي طوراً. توجهت نحو المدينة لأجتمع بأعضاء اللجنة لاتخاذ الإجراءات اللازمة.

في اليوم التالي، الثلاثاء، حضر إلى المستشفى ما لا يقل عن 90٪

من اللبنانيين الموجودين في منروفيا آنذاك. وشيع الرفيق مصطفى إلى مثواه في قاعدة برنس.

حقيقة ما حدث

في صباح ذاك اليوم الإثنين 5 نوفمبر، لم تكن زيارة القاعدة واردة في برنامج الرفيق مصطفى، بل إن مصادفة التقائه بعض الشبان بعد حصول عطل في سيارته، هي التي قادته إلى القاعدة. وعندما التقى هؤلاء الشبان – وأذكر منهم حسن عزالدين، محمد علوية وآخرين – برنس جونسون الذي راح يحدثهم عن انتصاراته. وكيف أنه سيعيد تحرير ليبيريا من شارلز تايلور، كما حررها من الرئيس دو .. الخ. من كلام دغدغ عواطف هؤلاء الشبان فدفع بهم حماسهم .. وطيشهم لزيارة مواقع القتال بعد أن عرض عليهم ذلك، أعطاهم السلاح كي يدافعوا عن أنفسهم إذا ما تعرضوا لهجوم ما. قبلوا السلاح دون أن يفكروا ولو لبرهة واحدة في أن مجرد حملهم السلاح سيجعلهم هدفاً مباشراً.

عرضوا مشروع مغامرتهم هذه على الرفيق مصطفى الذي كان ينتظرهم خارج مكتب برنس. فقبل على مضض إذ لم يكن لديه وسيلة نقل، أو من يقله إلى المدينة.

كان يصعد معهم الحافلة التي ستقلهم إلى الجبهة، عندما شاهده برنس وسأله عن سلاحه. فأجابه الرفيق مصطفى. "إني معهم لرفقة الطريق فقط". فأجابه برنس: ولكنك في زيارة إلى جبهة قتال، وقد تتعرضون إلى هجوم ما. خذ هذا معك .. وناوله رشيشه.

في الجبهة تعرضوا لرصاص كمين، فأصيب الرفيق مصطفى في وسطه، استغرق نقله إلى المستشفى أكثر من ساعتين، فنزف دماً.

كثر اللغط حول هذه الحادثة ولا شك في أن الذي شاهدهم يحملون السلاح، اعتقد بأنهم دفعة جديدة من المقاتلين اللبنانيين ممن انخرطوا في صفوف برنس، بل ذهبت مخيلة البعض إلى أبعد من ذلك بقولهم إني أجند اللبنانيين مع برنس جونسون. هذا الذي بدأ نجمه يسطع وينظر إليه كرجل لليبيريا القوي، فإن أتى رئيساً، لا شك في أن النخبة التي حوله سيأتي معظمهم وزراء أو مسؤولين كباراً. ففي سبيل التقرب من برنس أو التزلم له كان البعض مستعداً للقيام بأي عمل كان. في هذا الاتجاه نسبت كل علاقة مع برنس، وأوحى البعض بأن الرفيق مصطفى عياد استشهد في سبيل برنس.

طبعاً، برنس شجع بدوره مثل هذا الكلام كي يوحي للناس بأن لبنانيين، لونهم أبيض، يموتون في سبيل قضيته. مما يكسبه اعتزازاً بسلطته وفخراً بقدرته.

كان من الصعب دحض مثل هذه الادعاءات في حينه، فاكتفيت بكلمتي المختصرة التي شكرت بها برنس على كل ما قدمه من سيارات وتنظيم وطعام يوم الدفن. إذ ذكرت بأن دم الرفيق مصطفى كان دماً بريئاً، كدم أي ليبيري بريء قتل دون أن يكون طرفاً في هذه الحرب.

في 21 نوفمبر وصل الرئيس الانتقالي Dr. Amos Sawyer بعد طول انتظار. وبعد الكثير من التحضيرات والضمانات. هوسيراليوني الأصل، نشأ وترعرع في ليبيريا، يحمل شهادة دكتوراه في العلوم السياسية، أستاذ في الجامعة الليبيرية. ينتمي إلى حركة MOJA (حركة العدل الأفريقية)، كان من أركان حركة المعارضة الليبيرية ومن المغضوب عليهم في عهد الرئيس دو. عاش عدة سنوات خارج ليبيريا. انتخبته الأحزاب السياسية وقوات برنس جونسون (INPFL) رئيساً للمرحلة الانتقالية في بنجول عاصمة غامبيا.

يوم وصوله، قام فوراً بزيارة ثكنة الجيش الليبيري، حيث رجال دو وقبيلته يشكلون الأكثرية الساحقة. وبعدها زار برنس جونسون في قاعدته العسكرية. ثم لحق به إلى ليبيريا معظم رؤساء الأحزاب السياسية مثل MATHEW و KESSELY وغيرهم، فتسلموا مهام وزارية في حكومته الانتقالية. أما نائبه ال Bishop RONALDS DIGGS فكان قد وصل قبله ببضعة أيام. أعتقد أنها كانت عملية جس نبض لردة فعل برنس الذي كان يشكك في مصداقية هذه الحكومة، بعد التأخير الذي حصل، علاوة على مزاجيته التي كان يخافها الناس وتلك الأخبار التي نقلت (مضخمة) عنه. أما لماذا اختاروا Bishop DIGGS فلأنه رجل دين وكان لبرنس بعض الميول الدينية.

في اليوم التالي لوصوله، أدى الدكتور صوير القسم الدستوري بحضور كل الفئات والفعاليات في منروفيا. إن أبرز حدث حصل في هذا الحفل كان لقاء برنس جونسون والجنرال HAZKIEH BOENG الذي كان يرأس قبيلة الكران والجيش الموالي لها وللرئيس الراحل دو. عرف هذا بمرونته واتزانه. فتعانقا وفق ما تقتضيه الأساليب الدبلوماسية وتبادلا بعض العبارات بلهجة - الغيو - التي كان يتقنها الجنرال بوانغ.

* * *

من هو؟

إن أحبك سمح لك أن تمتطيه. وإن كرهك لبطك أو قتلك. مزاجي قد ينقلب ضدك في أي لحظة. تعسفي لا يملك أي حلول وسط. لا يجهد نفسه بالتفكير، ومع كل هذا إنه ديمقراطي لأنه يمثل الأكثرية.

نصحوني بأن أحسن علفه إن كنت أريد أن أمتطيه، لكنني لا أتذكر نصيحتهم إلاّ وأنا أعاني إحدى رفساته.

نعم اخالك عرفته. إنه البغل الذي يدعونه الرأي العام.

في 24 نوفمبر، دعاني على عجل برنس جونسون لافتتاح محطة ضخ المياه. لبيت الدعوة دون أن يكون لي علم بنوعية المدعوين أو عددهم. وزع علينا برنامج الافتتاح فور وصولنا إلى المحطة، فقرأت أسماء الخطباء وكانوا كالتالي:

- نائب رئيس الحكومة الانتقالية الكاردينال رونالد ديغز
- ممثل عن الصليب الأحمر
- ممثل عن منظمة أطباء بلا حدود
- السفير الأميركي
- ممثل عن تنظيم المتطوعين الليبيريين/ التابع لتنظيم برنس
- الكولونيل صموئيل فارني/ نائب برنس

تبادل الخطباء كلمات الشكر في ما بينهم، كل يشكر الآخر على الخدمات أو المواد التي قدمت لإعادة تأهيل المحطة.

باستثناء مادة الكلور، التي شُكر مقدّمها أطباء بلا حدود، لم يسمِّ أحد أي مواد أخرى أو حتى خدمات قدمت للمحطة.

أما نحن - الجالية اللبنانية - الذين قدمنا الفكرة بذاتها والمهندس الذي نفذها والعدة التي استلزمتها، فغُيِّبنا تماماً عن معرض الشكر هذا.

فالإعلام شيء مهم، لم نحسن استعماله بعد نحن أهل الخير، فهو المعلف الذي يأكل منه البغل.

طبعاً كان المهندس جمال رحمة في حفل الافتتاح هذا، وكلما تلاقت نظراتنا كنت أشعر أنه يلومني على الغبن الحاصل في حقه.

كاد الاحتفال أن ينتهي دون أن يذكرنا أحد .. ولو بشتيمة، لولا كلمة الختام التي ألقاها الكولونيل فارني. الذي تطرق بكلمة عابرة شكر بها جهود الجالية اللبنانية (التي قدمت كل شيء) دون أن يذكر أي تفاصيل، لكنه، أيضاً شكر الجالية الهندية (التي لم تقدم أي شيء) وهكذا تساوى الكل شيء باللاشيء.

بدأت الوفود بمغادرة المكان، فاقترب مني السيد جمال رحمة وقال: هل لي بطلب معك؟

قلت: تفضل

قال: هل تطلب من برنس أن يشكرني ولو بكلمة واحدة .. وكان جاداً في طلبه.

قلت: اتبعني

أوقفت برنس الذي كان يهم بمغادرة المكان برفقة نائب الرئيس ومعهما الحرس والمرافقون. وطلبت إليه إن كان لديه متسع من الوقت كي يشكر الناس الحقيقيين الذين قدموا خبرتهم وجهدهم ومالهم من أجل إصلاح المحطة. قلت هذا بلهجة لم أستطع أن أخفي معها استيائي مما حصل، وقدمت له السيد جمال رحمة.

فقال برنس: أنا لا أستطيع أن أشكرك أو أشكره أو أشكر أي عضو من الجالية اللبنانية، لأني لا أملك الكلام الذي يفيكم حقكم ويساوي جهدكم، بل أترك الأمر لله. هو وحده قادر على ذلك، فكلمة شكر من برنس لا تفي بالغرض، لأن الشعب الليبيري بأسره يجب أن يشكركم على ما قدمتموه له في

محنته هذه، فليبارككم الله وليبارك أولادكم من بعدكم.

تساءلت .. من أين يحضره مثل هذا الكلام في مثل هذه اللحظات.

أما نائب الرئيس الواقف قربه، فبدا عليه التأثر والتعجب معاً.

عرفت بعد بضعة أيام ، أن مادة الكلور (المطهر) والذي شُكرت منظمة أطباء بلا حدود، أنهم أخذوها من المواطن اللبناني قاسم مكي - مجاناً - لأنه رفض أن يتقاضى الثمن، عندما عرف الغاية منه.

منذ خمسة أشهر وبرنس يمثل السلطة الوحيدة على أرض العاصمة. على الرغم من دخول قوات حفظ السلام الأفريقية، بقي برنس مطلق الصلاحيات ويتعامل مع هذه القوة كقوة مساندة له. كما كان لرجاله اليد العليا في التعامل مع هذه القوات.

برنس جونسون في أواخر نوفمبر 1990، هو غير برنس الذي دخل منروفيا في 19 تموز 1990، في البدء كان برنس مقاتلاً يتقدم رجاله في أكثر المعارك إن لم يكن فيها كلها. وكان يقضي معظم أوقاته في الخطوط الأمامية، ومن الصعب جداً تمييزه عن مقاتليه. كان يركب دائما سيارة تويوتا حمراء (بيك آب) في وقت لم تجب الشوارع سوى سيارتين من هذا النوع. واحدة لتحركات برنس وفارني وأخرى لنقل الذخيرة والإمدادات والجرحى.

لم يكن برنس ليهتمّ بالحياة المدنية، وبالتأكيد لم يكترث للمال إلا كوسيلة لقضاء حاجة. كان غجرياً يخجل مما لا يعرف، يصغي بعض الشيء في بعض الحالات. وهكذا بقي برنس حتى مقتل دو في 9/ 10 سبتمبر.

بعد هذا التاريخ، حين بدأ نجمه يسطع انقلب برنس إلى رجل يحب

النساء والمال والخمرة والشهرة. ابتدأ حرباً من نوع آخر في سبيل أهوائه هذه، لكنها حرب أعلنها على رجاله وعلى من حوله من مؤيدين.

أغرته الشهرة فعمل لها بكل الأساليب. لم يخطر له أن وجود حكومة انتقالية يعني وجود سلطة تحل محل سلطته، وبالتالي ستأخذ منه الجزء الأكبر من اهتمام الصحافة المحلية. وأن كل الذين يراجعونه في شؤونهم من منظمات عالمية وشركات كبيرة، سيتحولون عنه إلى هذه الحكومة الانتقالية، وكذلك كل الذين يحومون حوله للاسترزاق أو سعياً لوظيفة ...الخ

من وجهة نظره، لا بأس أن تأتي حكومة انتقالية، وأن يكون هناك رئيس جمهورية، شرط أن يكون كل هؤلاء رهن إشارته وأن لا يسرقوا الأضواء عنه.

ما إن حضرت الحكومة الانتقالية، وبدأ هذا التحول يأخذ مجراه، حتى شعر برنس أنه يفقد بريقه. فراح يبتدع الأساليب للفت الأنظار إليه، فهو يعطي أحدهم بسخاء أو يقتله. ففي كلتا الحالتين ردة إعلامية ومزاجيته هي التي تقرر أي أسلوب سيستعمل. وكان قادراً على الاثنتين معاً لأن رجاله ما زالوا منتشرين بكامل أسلحتهم في جميع أحياء المدينة. حصل أكثر من مرة أن قام برنس نفسه بقتل بعض الأفراد في أحياء مختلفة خارج قاعدته العسكرية، الأمر الذي أثار الكثير من التساؤلات حول جدوى وجود قوات حفظ السلام.

في 30 نوفمبر أثار برنس ضجة إعلامية حول خطة يدبرها جيش (الكران) لاغتياله. فراح يجمع قواته في فاي تاون Vai town استعداداً لهجوم سيشنه على ثكنة الجيش والقصر لاحتلالهما.

حضر إليه نائب الرئيس يرجو منه العزوف عن قراره حقناً للدماء. فأهانه برنس واحتجزه. ثم حضر إليه الجنرال النيجيري Dongenyaro

قائد قوات حفظ السلام (حل محل الغاني Quainoo) وقبّل يدي برنس كي يتخلى عن قراره ويسحب قواته. رفض برنس طلبه ثم أعلن الساعة السادسة مساءً موعداً للهجوم. شعرت في قرارة نفسي أن برنس غير جاد في تهديده هذا. فالذي يريد فعلاً اجتياح الثكنة والقصر لا يعلن ذلك قبل بضع ساعات، خاصة برنس المعروف بغدره.

مساءً أعطى برنس أوامره بالهجوم، وعاد إلى قاعدته كأن الأمر لا يعنيه. فكان هجوماً عشوائياً، سمعنا إطلاق الرصاص طوال الليل دون أن نسمع بأي تقدم لأحد الطرفين على الأرض، استمرا على ذات الحال طوال اليوم التالي أي 1 ديسمبر في مساء هذا اليوم بدأت قوات حفظ السلام باعتقال رجال برنس وإطلاق النار عليهم في بعض الأحيان. لم يصدق برنس هذا الخبر عندما نقله إليه رجاله. بل أصدر أوامر صارمة بعدم التعرض لقوات حفظ السلام. وعندما تكرر على مسامعه هذا الخبر، قرر أن يتأكد بنفسه مما يحصل، فاتجه نحو المدينة، ولما دنا من جسر كولدويل حيث حاجز لقوات حفظ السلام، إذ كان قد تخلى عن كل حواجزه لمصلحة هذه القوات التي أطلقت النار عليه. فقفل راجعاً إلى قاعدته.

أما رجاله الذين كانوا في المدينة فاعتقل معظمهم وهرب بعضهم دون أن يقوموا بأي مقاومة، تنفيذا لأوامر برنس.

بين 2 و 3 ديسمبر بدأت تصلنا أخبار تفيد بأن القوات النيجرية التابعة لقوات حفظ السلام قد قتلت كل الذين اعتقلتهم من رجال برنس ورمت جثثهم في النهر، من على الجسر القديم الذي يربط فاي تاون Vai town ب وتر سايد Water side، ويعدُّون بالعشرات.

شخصياً، لم أصدق هذه الأخبار، إذ لا يعقل لجيش نظامي مثل الجيش النيجيري أن يقدم على قتل أسرى. فهذا إجرام وليس حرباً.

أما الذين اعتقلتهم القوات الأفريقية الأخرى التابعة لقوات حفظ السلام، مثل غانا، غينيا، سيراليون وغامبيا فكلُّهم نقلوا إلى مركز قوات حفظ السلام في المنطقة الحرة (المرفأ).

في هذه الأثناء أخبرت عن اختفاء المواطن اللبناني قاسم فواز، وهو أحد المسلحين الثلاثة مع برنس، وكان في شأنه خبران:

– خبر يقول إنه اعتقل في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم السبت في 1 ديسمبر في منطقة ممبا بوينت. ثم قتل حوالي الساعة الثامنة مساءً، وألقي جسده من على الجسر بعد أن شوّه. فهو لم يؤخذ إلى مركز قوات حفظ السلام. وصاحب هذا الخبر هو قائد جيش برنس الذي اعتقلته أيضاً القوات النيجرية، وقادته إلى الجسر (حيث شاهد قاسم فواز) ثم أطلقت عليه النار في عنقه وكتفه وقذفت به إلى الماء، لكنه بقي على قيد الحياة فسبح إلى القاطع الآخر حيث تسلل تحت جناح الليل إلى قاعدة برنس.

– وخبر آخر نقله لي أحد رجال برنس في 3 ديسمبر ويدعى Edmond، الذي أفاد بأنه كان معتقلاً في مركز قوات حفظ السلام وهرب لتَوه. وعندما سألته عمن رأى من اللبنانيين في المعتقل، أجابني: ثلاثة.

وهذا ما جعلني أعتقد بأنه رأى قاسم فواز وعلي رحال وشخصاً آخر لأن أسامة عبد الكريم كان طليقاً (فهو لا يعرف أسماءهم). أما Edmond فناولته بعض النقود والسجائر ونصحته بأن يتواري عن الأنظار. (سأروي لك لاحقاً ما حصل بيني وبين والدته)..

أما الثلاثة الذين رآهم Edmond فكانوا: كمال رفعت، تحسين الدقاق وآخر من آل المصري (نسيت اسمه الأول).

في 3–2 ديسمبر، سمعت الكثير من التهديدات والإهانات التي

كانت توجه إلى اللبنانيين كلما عبروا حواجز القوات النيجرية.

سمع شاب لبناني (محمد علوية) هذه التهديدات، وعما فعلته القوات النيجرية بمواطنه قاسم فواز عندما كان قيد الاعتقال، فدفعت به حماسته - بوجود برنس - للقول: إنه مع بعض الشبان اللبنانيين سينظم عمليات عسكرية ضد قوات حفظ السلام. فنقلت مخابرات هذه القوات المزروعة في قاعدة برنس هذا القول إلى مراكزها.

لم يكن لديّ علم بقول هذا الشاب، عندما حضر إلى شقتي مساء 3 ديسمبر الميجر جنرال Chris (نيجيري) برفقة السيد سامي الجمل، ومعهما ما يفوق العشرة عناصر بكامل أسلحتهم وتأهبهم. كنت في الحديقة مع الرفيق عزام والرفيق اللاحق عبدالله حمدان، عندما توزعت هذه العناصر وكأنها تستعد لاقتحام قلعة. فقال لي الميجر Chris إنه يريد مقابلتي .. وحدي.

صعدت وإياه وسامي الجمل إلى الشقة، يرافقنا اثنان من مرافقيه. الميجر جنرال Chris مسؤول جهاز المخابرات في قوات حفظ السلام الأفريقية، وكانت معرفتي به جداً سطحية، حيث كانت تزعجني لياقته المترفة ونعومة مظهره. بعد سلام مقتضب، ورفض كل ما عرضت عليه مما تمليه واجبات الضيافة. شعرت أن في الأمر خطراً ما، قد يكون اعتقالي .. أقله.

بدأ حديثه بالقول: أنتم اللبنانيين متهمون بالتعامل مع برنس وتزويده بالمال والرجال والخبرة العسكرية. لدينا كل التفاصيل والمعلومات بذلك، كما لدينا معلومات عن اجتماع عقده بعض الشبان اللبنانيين لإعداد خطة لضرب قوات حفظ السلام. وكونك رئيس الجالية اللبنانية جئت لأحذرك وأحمّلك مسؤولية أي اعتداء يقع ضد أي حاجز أو سيارة أو عنصر تابع لقوات حفظ السلام. ثم

أردف، إن الجنرال Dongenyaro الذي أوفدني إليك، يطلب حضورك إلى مكتبه في صباح الغد.

كان يتلو عليّ ما يبدو وكأنه حفظه عن ظهر قلب، وكنت أقرأ ما بين كلماته، فخلصت إلى الأمور التالية:

1- إنه لم يحضر لاعتقالي، طبعاً لم يكن لديه سبب لذلك .. ولكن من سيسأله عن السبب إن هو فعل خاصة في هذا الوقت بالذات؟

2- تعاطى معي كرئيس للجالية اللبنانية.

3- يبدو أنهم خائفون من ردة فعل، يقوم بها بعض اللبنانيين الطائشين من أصدقاء برنس، أو من أن يعلّموا رجال برنس تفخيخ السيارات وغيره من أساليب عسكرية يحذقها اللبنانيون على حد تعبير الميجر جنرال Chris، الذي خدم مع القوات النيجيرية في لبنان.

4- تبادر إلى ذهني أيضاً سوء المعاملة والإهانات التي يلقاها اللبنانيون على حواجز النيجيريين. وكذلك إشاعة مقتل قاسم فواز على حاجزهم بعد اعتقاله ببضع ساعات.

تركت الميجر Chris يتكلم دون أن أقاطعه ولو بكلمة واحدة - على غير عادتي - كما أني كنت محتاجاً إلى الوقت حتى أحلل ما يقوله، وأفكر في ما سأجيبه. ولما فرغ من كلامه، سألت السيد سامي الجمل إن كان يود التعليق على الموضوع، فأجاب بخطاب ناري تهجم على برنس وكل من لف لفيفه من لبنانيين، سواء كانوا عسكريين أو مدنيين. ثم راح يطالب بإنزال أشد العقوبات بحقهم، وكلام آخر لم أعد أذكره إذ كنت ساهياً ومشغولاً بأمور أخرى، وبعد أن فرغ هو أيضاً من كلامه، أجبت الميجر بما يلي:

أرجو من قوات حفظ السلام أن لا تخلط ما بين علاقة الجالية اللبنانية ببرنس جونسون، وعلاقة ثلاثة شبان (أكثر أو أقل) ممن يحملون السلاح معه. ليس للجالية اللبنانية موقف مبدئي أو سياسي من هذا أو ذاك. بل للجالية اللبنانية علاقة بالسلطة القائمة على الأرض، كائناً من كان على رأس هذه السلطة. وهذه العلاقة يفرضها وجودنا الإنساني والتجاري. هكذا تعاملت الجالية اللبنانية مع برنس الذي نشكره على حمايتنا أرواحاً ومؤسسات. أما أن تنعكس تصرفات حفنة من الشبان، لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة على جالية بأكملها. فهذا أمر مرفوض. فجاليتنا لا تبارك ولا توافق أن يحمل أحد أعضائها السلاح مع أي فئة ليبيرية. وبرنس جونسون ذاته يعرف رأي الجالية ورأيي شخصياً بهذا الموضوع. أقول لكم من موقع مسؤوليتي أن تتصرفوا معهم كأي عسكريين تابعين لقوات برنس جونسون دون أي تمييز. وهنا قاطعني بقوله: ولكنهم أعضاء في جاليتك، فأجبته: بل وأولادي أيضاً، لكنهم أولاد عاقون. وتابعت: إن كان لديكم وسيلة لترحيلهم على متن بواخركم إلى بيروت عبر فريتاون، فالجالية اللبنانية تتحمل كافة النفقات وتكون لكم من الشاكرين.

أما أن تحمّلونا مسؤولية أي هجوم يقع على قواتكم، فهذا أمر لا يجوز لأننا غير قادرين على حمايتكم وأنتم مهددون دائماً من قبل خصمكم القديم شارلز تايلور، والآن خصمكم الجديد برنس جونسون، ومن كل من لا يريد سلاماً في هذا البلد. وهنا لم أرد أن أشجب أو أن أتنكر للاجتماع اللبناني المزعوم، والذي تكلم عنه Chris. لأنه كما يبدو أن هذا الموضوع يخيفهم، وهذا ما سيساعدني على التفاوض معهم إذا ما أساؤوا فهم الحقيقة، أو إذا تصرفوا معنا بكيدية. فتناولت هذا الموضوع على الشكل التالي:

أما بالنسبة للاجتماع اللبناني والذي يتناول أمنكم. فيبدو أن

معلوماتكم أكثر من معلوماتي بهذا الشأن، فأنا لا أستطيع تأكيد حصول مثل هذا الاجتماع، كما أني لا أستطيع نفيه، بل كل ما أستطيع تأكيده هو أني لست على علم به. ولو افترضنا حصوله ماذا سينفع التهديد الذي تحمله لي مقابل التهديد الذي تقول إنه يطال أمنكم؟ وأين سينتهي بنا المطاف في خضم التهديدات هذه؟ أليس من الأفضل أن نفتش عن الأسباب التي دعت إلى هكذا اجتماع - إن صح حصوله - فنعالجها بدلاً من أن نؤججها. ألا ترى أن بعض اللبنانيين يشعرون بالخوف بعد أن فرغت المدينة من السلطة التي كانوا يلجأون إليها (قوات برنس) كلما داهمهم خطر أو تعرضت مؤسساتهم للخلع والنهب. فهم ما زالوا يذكرون جواب قوات حفظ السلام كلما لجأوا إلى حواجزها يطلبون المعونة (بأن حماية مصالح اللبنانيين ليست من مهمتها).

ما رأيك لو دعوت الجالية اللبنانية غداً إلى اجتماع، لأقول لهم إن الجنرال Dongenyaro أوفد ليّ الميجر Chris ليطمئننا على مصيرنا أرواحاً وممتلكات، وأن قوات حفظ السلام تنظر إلى أهمية الوجود اللبناني في دعم الصمود الليبيري، وكعامل مشجع في عملية السلام والاستقرار. بدلاً من أن أقول لهم إن الميجر يحمل لنا تهديدا بالثبور وعظائم الأمور.كم كنت أود لو حملت لنا تطميناً وليس تهديداً.

تغيرت وجهة نظر الميجر بعض الشيء، فغدا منظره أكثر نعومة وكلامه أكثر لياقة، مما جعلني أكثر حذراً. لكنه بدأ يفصل ما بين وضع الجالية ووضع المسلحين اللبنانيين، وكذلك تغيرت وجهة نظر السيد سامي الجمل، إذ راح يثني على كلامي. وهنا تذكرت أمر المسلح قاسم فواز، فسألته عنه دون أن أذكر ما سمعته عن مقتله. مؤكداً له أمر اعتقاله بعد ظهر السبت 1 ديسمبر. فوعدني بأنه سيسأل عنه، مؤكداً لي أن كل المعتقلين موجودون في مركز قوات حفظ السلام، ثم عاد يكرر

على مسامعي أمر حضوري غداً للاجتماع بالجنرال دونغنيارو. وعدته بأني سأنظر في هذا الموضوع. فأخذ رجاله وذهب.

في صباح اليوم التالي 4 ديسمبر حضر أعضاء اللجنة، شأنهم في كل صباح. تباحثنا في الأوضاع المستجدة وبينها زيارة الميجر والتهديدات التي نقلها. وافقت اللجنة على متابعة الأسلوب الذي بدأته مع الميجر، بعد أن حذرني حضرة المدير من أن الأمور إن ساءت أكثر مما هي عليه، سيكون رأسي هو المطلوب وليس رأس اللجنة.

كان لا بد لي من زيارة برنس حتى أقف على رأيه بما يجري. قبل أن أقوم بزيارة الجنرال دونغنيارو. فتوجهت إلى القاعدة حيث أصبحت الطريق إليها ملأى بحواجز قوات حفظ السلام الأفريقية، التي تقوم بعمليات تفتيش دقيقة. عرفت فور وصولي إلى القاعدة بأنه قد أخلي سبيل المعتقلين، وقبل أن أسأل عن قاسم فواز أخبرني برنس بأنهم قتلوه ورموا بجثته في النهر بعد أن شوهوها. وكذلك فعلوا ببعض رجاله. كان برنس يخبرني ذلك ومكتبه الصغير يعج برجال الحكومة الانتقالية، بينهم ثلاثة وزراء. نظرت في الوجوه الواجمة من حولي وألقيت بضعة تساؤلات، ماذا عساكم تفعلون إزاء هذه الجريمة المجزرة؟ هل طويتم صفحتها وانتهى الأمر؟ لو قتلوا في معركة لقلنا هذا قدرهم. أما أن يقتلوا بدم بارد دون أية مقاومة وهم قيد الاعتقال وفي طريقهم إلى مراكز قوات حفظ السلام، بعد ساعات عديدة من اعتقالهم.

لديكم ضحايا ولديكم مجرمون، إن لم يعد بإمكانكم أن تفعلوا شيئاً من أجل الضحايا، فهل تتركون هؤلاء القتلة وشأنهم؟ هذا سيكون شأنكم إن فعلتم. أما نحن اللبنانيين فسيكون لنا كلام آخر إذا ما أهين لبناني واحد بعد اليوم. كنت على يقين بأن كلامي هذا سيصل إلى قوات حفظ السلام قبل عودتي إلى منزلي.

لم يعلّق أحد على كلامي من الحاضرين، بل بقي الصمت سيد الموقف. شعرت بأن كلامي رفع من معنويات برنس. دون أن يكون ذلك قصدي.

دخلت المكتب امرأة تبكي ابنها بعد أن بلغها أن النيجريين من قوات حفظ السلام قتلوه على الجسر المزدوج (Double bridge) على طريق Free way . فعرّفني برنس بها على أنها والدة Edmond . فأخبرتها مطمئناً بأني شاهدت ابنها مساء البارحة عندما حضر إلى منزلي، ورحت أؤكد لها بأنه على خير ما يرام. فراحت تبتهل لله وتتشكر السيد المسيح على سلامته.

كانت تمسح دموع الفرح عندما أحضروا جثة ولدها. فارتمت فوقها وقد اختفى صوتها ودموعها معاً. أما أنا فوقفت صامتاً بعد أن أصابني شيء من البله .. نعم .. لقد قتلوه فور خروجه من شقتي .

في طريق عودتي إلى الشقة، كنت أفكر في قاسم فواز علماً أن معرفتي به حديثة العهد، وسطحية جداً. ليس بيننا أي كلام غير تلك النصائح التي وجهتها له بأن يتخلى عن حمل السلاح في قضية لا تعنيه، ردّدت هذه النصائح على مسامعه كلما سنحت لي الفرصة بذلك. ما كنت لأتأثر بموته كما لو قتل في معركة، إذ يكون هذا قدره وخياره. أما قتله وهو أسير وجدته أمراً في غاية الصعوبة. وهو الذي لم يطلق رصاصة واحدة في هذه الحرب كلها.

لم يخفني ما حصل، بل كنت خائفاً مما سيحصل. إن برنس مع كل أخطائه كان ضماناً لنا ولمصالحنا. كان سلطة نلجأ إليها كلما دعت الحاجة. أما انكفاؤه إلى منطقة كولدويل فقد ترك في المدينة فراغاً أمنياً كبيراً. إذ سبق لقوات حفظ السلام أن رفضت ملء هذا الفراغ. وإن لم تحزم الحكومة الانتقالية أمرها وتقوم بالتدابير اللازمة، فستكون مصالح الجالية اللبنانية عرضة لعمليات النهب والسطو المسلح.

وما كنت أخشاه أيضاً، هو أن ينقلب السحر على الساحر فتنقلب محبة اللبنانيين التي زرعتها ونميتها في قلب برنس جونسون وقلوب مقاتليه، إلى كره في قلوب أعدائه يترجم إلى اعتداءات بعد انكفائه إلى قاعدته.

وصلت إلى شقتي لأجد شقيقة المرحوم قاسم فواز تنتظرني لتسألني عن أمر أخيها. علماً أنها سمعت كما سمعت أنا عن مصيره. لكنها حضرت لتتأكد أو لتواسي نفسها. فقالت لي بصوت يقطعه صوت النحيب، أصحيح أنهم قتلوه ورموا به من على الجسر؟ وعادت تشهق بالبكاء عندما أكد لها صمتي ذلك. أردت مؤاساتها، لكنني وجدت صعوبة بالنطق، فخرجت إلى الشرفة المتصلة بدرج الشقة، قبل أن ترى تأثري فأزيد في حزنها.

كنت أفكر في ما سأقوله لها عندما حضر الميجر - وحيداً - إذ بقي مرافقوه خارج السور. حياني فلم أرد التحية، فاكتفى هو الآخر بالجواب الذي قرأه في عيوني وملامحي. فبادرني القول بلياقته المعهودة بأن الجنرال دونغنيارو ما زال ينتظرني منذ التاسعة صباحاً.

- من قال للجنرال إني على موعد معه؟

- وعدتني البارحة بأنك ستحاول الحضور.

- وعدتك البارحة بأني سأنظر بالأمر، وكان هذا قبل أن أتأكد من جريمة قواتكم على جسر ال Water side، أما الآن، فليس لي رغبة في لقاء الجنرال إلا إذا ألقى القبض على هؤلاء المجرمين.

- أقترح حضورك لتتكلم معه بهذا الشأن.

- وماذا تقترح عليّ أن أقول لهذه المرأة، بعد أن أخذت بيده ودخلت إلى حيث شقيقة قاسم فواز تبكي وتنتحب. قل لها أين أخوها وماذا فعلتم به.

وقف الميجر كرس حائراً حيال هذا الموقف، فقدم لها تعازيه وهمَّ بالخروج، ثم توقف أمام الباب ليؤكد لي أنه لا يعرف شيئاً عن مقتل أخيها. فأكدت له بدوري أن القوات النيجيرية قتلته وهو قيد الاعتقال، كما قتلت العشرات غيره من رجال برنس.

بين5 -9 ديسمبر، نشط كل من علي رحال وشقيق المرحوم قاسم فواز بالتفتيش عن جثة قاسم.كما نشط بعض المقربين من الرئيس الانتقالي الدكتور Amos Sawyer بالتحضير إلى لقاء بيني وبينه.

كذلك نشط برنس بأسلوب لا يخلو من الصبيانية، ليعيد العلاقة بينه وبين قوات حفظ السلام، فوجه إليهم دعوة للعبة كرة قدم. كذلك وجه إلى الجالية اللبنانية دعوة مماثلة.

ربما لأنه لم يكن واثقاً من الأخبار التي وصلت إليه عن مقتل العشرات من رجاله على يد القوات النيجرية. أو أنه اعتبرها مضخمة جداً. وأعتقد بأنه عزا النقص الحاصل في رجاله إلى أنهم تخلوا عنه أو أنهم ما زالوا مختبئين في المدينة، وكلا الاحتمالين كان وارداً.

أما بالنسبة لدورة كرة القدم التي كان ينظمها، فقد زرته في اليوم الذي تلقيت به الدعوة، ونقلت إليه عدم رغبة الجالية اللبنانية بالاشتراك بها. تعجبت لسرعة قبوله الاعتذار دون أن يسأل عن الأسباب، لكن سرعان ما زال هذا التعجب عندما علمت أن رجاله يرفضون المشاركة، لأسباب ليست خافية على أحد. وهكذا انتهى أمر هذه الدورة.

في ذات الوقت كان قد اهتدى علي رحال وشقيق قاسم فواز إلى مكان الجثث التي تجمعت بفعل دورة التيار المائي الذي يبدو أنها تستغرق بضعة أيام. الأمر الذي فاجأ القوات النيجرية التي اعتقدت بأن التيار قد أخذ الجثث إلى غير رجعة. فاستحدثت هذه القوات

مركزاً لها على مدخل شبه جزيرة West point الواقعة على مصب نهر المزورادو(Mesurado) في المحيط الأطلنطي. حيث تجمعت الجثث، كي تمنع غير المرغوب بهم من الدخول إليها ومشاهدة آثار جريمتهم. غير أن سكان شبه الجزيرة هذه قد بدأ تذمرهم من الرائحة المنبعثة من هذه الجثث التي بدأت بالتحلل.



Republic of Liberia
INDEPENDENT NATIONAL PATRIOTIC FRONT OF LIBERIA
(INPFL)
Monrovia, Liberia

Office of the Field Marshal

Ref. No.:...INPFL/235/'90

December 7, 1990

Mr. Moustapha Ali
Chairman
The Lebanese Community
Bushrod Island/MONROVIA

Mr. Ali:

In our efforts to promote genuine national reconciliation, unity, peace and love, among our people, friends and partners in progress through sports, the Independent National Patriotic Front of Liberia (INPFL), has organized a Sports Association that is geared towards the upliftment and promotion of peace, democracy and above all, raising the true spirit of sports that once dominated in our country.

In this light, we have scheduled a football match between the Old Timers of both the INPFL and Lebanese Community Sports Associations, respectively, on Sunday, December 9, 1990, on the INPFL Sports pitch here on our base.

We hope that our invitation will be accepted as we all strive to bring peace to this country.

Yours truly,

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
FIELD MARSHAL/INPFL

PYJ/avk

"DEATH BEFORE DISHONOR"



أما علي رحال وشقيق قاسم فقد وصلا إلى موقع الجثث عبر ممرات ومسالك فرعية. وبعد أن تعرفا على جثة قاسم، لم يستطيعا سحبها لأن القوات النيجرية المتمركزة على الضفة المواجهة، أخذت تطلق النار ترهيباً، فأوكلا أمر الاهتمام بالجثة لأحد المواطنين الليبيريين، على أن يأخذاها في اليوم التالي. ثم حضرا إلى شقتي وأخبراني بتفاصيل ما شاهداه، وصادف بعدها مباشرة أن حضر برنس إلى شقتي، في أول خروج له من قاعدته العسكرية بعد ضربة الأول من ديسمبر. وكان بحماية أو مرافقة قوات حفظ السلام. أما مرافقوه فكانوا مثله يرتدون ثياباً مدنية. أخبرته بما جرى مع علي رحال وشقيق قاسم، وعن رغبتنا كجالية لبنانية في سحب جثة قاسم ودفنها. واقترحت عليه الاتصال بالصليب الأحمر إن كان يريد سحب جثث مقاتليه من على الشاطئ.

في اليوم التالي استطاع علي وشقيق قاسم تهريب جثة قاسم ونقلها إلى مشفى Island clinic تحضيراً لدفنها.

كما زارني يومها وزير الدولة الدكتور Levi Zankei، ليخبرني بأنه حضّر للقاء بيني وبين رئيس الجمهورية في صباح يوم الغد، أي العاشر من ديسمبر. اعتذرت له عن اللقاء لكوني سأكون مشغولاً بدفن المواطن اللبناني قاسم فواز، آمل أن يشاركنا الرئيس أو من يمثله في مراسيم الدفن غداً.

تجمعنا في باحة المستشفى، ولم يتجاوز عددنا الخمسة والعشرين لبنانياً، وانتقلنا بجثة قاسم إلى قاعدة برنس في كولدويل، حيث راح برنس يعرض الجثة المشوهة. لا أدري إن كان برنس يستثير عطف الناس أم نقمتهم. كانت رائحة الجثة كريهة جداً إذ مر عليها عشرة أيام، قضت معظمها في الماء. حضر وزير الدفاع إدوارد كسالي ممثلا رئيس الجمهورية الانتقالي.

فهمت قبيل الدفن أن برنس يريد استدعاء الصحافة ليعرض الجثة عليهم، كدليل قاطع على تصرفات قوات حفظ السلام المشينة بحق رجاله. فتداركت الموقف وانعكاساته على الجالية، بقولي لبرنس: أليس من الأفضل أن تستدعي الصحافة إلى الشاطئ حيث عشرات الجثث المشوهة لرجالك، وكلهم من الليبيريين. فعرض جثة مواطن لبناني على الصحافة لا يخدمك ولا يخدمنا. وسارعنا لدفن الجثة قبل وصول الصحافة، بعد أن انخفض عدد المشاركين من اللبنانيين إلى أقل من عشرة أشخاص. بينما كان عدد المشاركين في دفن الرفيق مصطفى عياد يفوق المئتي مواطن لبناني، أي جميع المقيمين في منروفيا تقريباً. مما جعلني أتساءل عن السبب، وكلاهما سقط في خندق برنس – إن صح التعبير – علماً أني كنت مدركاً في ذاتي، أن الناس لم تشارك إلا في مناسبتين تعنيان برنس جونسون الذي كان منتصراً في المناسبة الأولى، بينما كان منحسراً في المناسبة الثانية. أليس هذا من طبائع الناس؟

بعد الدفن، أصرَّ برنس على اصطحاب كل من الدكتور كسلي والعجوز فانغالو وآخرين من الحكومة الانتقالية، إلى حيث تجمعت جثث مقاتليه. وهناك وقعت مشادة كلامية بينه وبينهم، وذلك عندما أشار الدكتور كسلي (وزير دفاع الحكومة الانتقالية) إلى إحدى الجثث المتهَرئة، وسأل برنس عن اسم هذا المقاتل؟ وكيف باستطاعته أن يجزم بأنه كان من رجاله؟ والجدير ذكره أن معظم الجثث كانت مقيَّدة الأيدي خلف الظهر، وترتدي نصف ملابسها العسكرية.

ومما أساء إلى برنس أيضاً، عدم تدخل العجوز فانغالو وهو من كبار قبيلة الغيو Gio إذ من المفترض أن تكون معظم الضحايا من قبيلته. وبالمفهوم القبلي يجب على العجوز أن يدافع عن أبناء قبيلته، لا أن يلزم الصمت كما فعل.(سأروي لك لاحقاً ماذا فعل به برنس).

مقابلة الرئيس

في 11 ديسمبر بدأت أستعد نفسياً لمقابلة الرئيس Dr. Amos Sawyer إذ كان موعدنا في الساعة العاشرة صباحاً. كنت قد اتصلت بالسيد جورج الراهب نائب رئيس اللجنة لاصطحابه في هذه المقابلة. لم يكن لدي مواضيع أطرحها مع فخامته سوى استيائي من تصرفات القوات النيجرية إزاء اللبنانيين، وهو ليس بقادر على تغيير شيء في هذا المجال.

ربما سيطرح معي الرئيس موضوع بعض اللبنانيين في صفوف برنس؟ أو ربما سيطرح معي ما بدأ يتسرب إلى مسامعي بأني أمد برنس بالمال والرجال .. إلى آخر المعزوفة من الإشاعات.

تساؤلات كثيرة كانت تتبادر إلى ذهني منذ الصباح الباكر، غير أنها لم تكن مقلقة، إذ كنت أشعر بثقة بالنفس التي لا ينال منها شيء.

هذه المرة الأولى التي سأقابل بها رئيس جمهورية (باستثناء مقابلة الرئيس دو وهو جريح ومكبل اليدين). وهذه ليست مجرد مقابلة، فأنا رئيس وفد ومتكلم باسمه، وسأتكلم بمواضيع ليست من اختياري.

ما كان يقلقني هو موضوع واحد فقط لا غير. فأنا لا أجيد اللعبة السياسية من حيث إني لا أستطيع أن أقول ما لا أعنيه، ولا أستطيع أن أسكت عما يضايقني ويزعجني.

كنت في خضم تساؤلاتي هذه عندما وصل السيد جورج الراهب. فقصدنا قصر الديكور (الفندق الذي تقيم فيه الحكومة الانتقالية). في الدور الأول، أعلنا عن وصولنا، فاستقبلنا الدكتور ليفي زانكاي وأجلسنا ننتظر فخامته. لم ننتظر سوى بضع دقائق حتى نزل فخامته من الجناح الذي يشغل. حيّانا وتوجه إلى مكتبه، لحظات، وطلبوا إلينا الدخول.

دخلنا إلى مكتب متواضع، قام وزير الدولة الدكتور زانكاي بالتعريف، وكان من الحاضرين عدا عن فخامته، السيد Noah Bordolo رئيس مجلس النواب (من رجال برنس قبل وصول الحكومة الانتقالية) و Dr. Joseph Gwano وزير دولة للشؤون الرئاسية.و Bishop Ronald Diggs نائب الرئيس. كنت على معرفة شخصية بالجميع ما عدا فخامته. تصافحنا على الطريقة الليبيرية -بفقع الأصابع- ثم جلسنا ليبدو على كل منا أنه يريد أن يكون مستمعاً.

فقلت لفخامته: بلغني أنك تريد مقابلتي.

فأجاب دون أن ينطق، إذ دلت ملامحه أنه لم يطلب مقابلتي، أو كأنه يستقبلني بناءً على رغبة مني. فأدركت أن في الموضوع حنكة دبلوماسية تقضي بأن لا تكون المقابلة مطلوبة من جانبه. تدخل الدكتور زانكاي قائلاً: كان من الضروري لقائي مع فخامة الرئيس، ثم أردف أنه باستطاعتي أن أتكلم مع فخامته بكل صراحة. فأيقنت بأن لا فائدة من الجدال حول من طلب المقابلة، كما أن اللياقة تفرض ألاّ أقف كثيراً عند هذه النقطة. ولكوني كنت مهيّأً نفسياً لأن أسمعه وأناقش ما يطرحه من مواضيع. بدأت الكلام حول موضوع الأمن، فقلت إنه يعني الجالية اللبنانية بقدر ما يعني الشعب الليبيري. ونحن معنيون أيضاً بمساعدة إخواننا الليبيريين بالتفتيش عن السبل التي تضمن الأمن وتدعمه، وبهذا الصدد اقترحت على الحكومة الانتقالية ملء الفراغ الأمني، الذي أحدثه خروج برنس من المدينة، والإسراع بتنظيم الشرطة الليبيرية كي تتعاطى الأمور الأمنية الصغيرة. كالاعتداءات الفردية، والسطو على المنازل وخلع المحلات.(فهذه ليست من مسؤوليات أو صلاحيات قوات حفظ السلام - باستثناء مزاجية مسؤول الحاجز).

فاللبنانيون يشعرون بأنهم أصبحوا مكشوفين لعمليات السطو التي

تستهدف متاجرهم ومنازلهم. وهنا استطردت في الكلام عن تصرفات بعض حواجز قوات حفظ السلام مع اللبنانيين من مضايقات تصل لحد الإهانة أحياناً. لاعتقاد هذه القوات بأن اللبنانيين يؤيدون برنس ويدعمونه. تعمدت استدراج فخامة الرئيس للكلام عن وضع الشبان اللبنانيين المنخرطين في تنظيم برنس العسكري، لعلي أستطيع أن أوضح لفخامته ولأعضاء الحكومة الانتقالية رأي الجالية بهذا الموضوع، الذي كان حوله كثير من اللغط على أكثر من صعيد.

وفعلاً بدأ فخامته التعليق بالقول: إن قوات حفظ السلام لا تستطيع أن تفهم عمق العلاقة القائمة بين اللبنانيين والليبيريين. لأنه لا يعتقد بأن مثل هذه العلاقة قائمة في بلادهم، مع الانتشار اللبناني في كل دول أفريقيا السوداء. ثم استطرد قائلاً لا يوجد مواطن ليبيري واحد دون صديق حميم له بين اللبنانيين، وأكمل، لو افترضنا استفتاءً شعبياً لطرد اللبنانيين، لوافق كل ليبيري على طردهم باستثناء صديقه الحميم، وهكذا يجد كل لبناني شفيعاً له بين الليبيريين. إن هذه العلاقة -والكلام ما زال لفخامته- المميزة بين اللبنانيين والليبيريين لا يفهمها أبناء الدول الأفريقية التي تتألف منها قوات حفظ السلام.

ثم غمز من قناة المسلحين اللبنانيين بقوله: إن منظر السلاح بيد بعض اللبنانيين يثير حفيظة هذه القوات، فتتصرف بردة فعل تنعكس على جميع اللبنانيين، وهنا أعدت على مسامعه الكلام الذي قلته للميجر Chris، مضيفاً أن هؤلاء الشبان هم من مواليد وتربية ليبيريا، لذلك هم متأثرون بالشأن الليبيري حتى وحدة الحال، وما انغماسهم بالوضع الحالي سوى نتيجة هذا التأثر وليس نتيجة تدخّل.

أما أنا كرئيس للجالية اللبنانية فأتعاطى معهم من خلال التعاطي مع

الانعكاسات التي يفرضها وضعهم على الجالية اللبنانية. فأرجو من فخامة الرئيس وأعضاء الحكومة الانتقالية، فهم هذه الظاهرة الطبيعية بشكلها ونوعها وحجمها، وأية مزايدة بها لا يخدم أحداً على الإطلاق.

كما أنه لا يمكننا أن نكون حياديين بالمطلق، لأن وجودنا يفرض علينا المشاركة بإيجاد الحلول لكل ما من شأنه أن يؤثر في هذا الوجود. لقد تأثرنا بالخوف والجوع والمرض والموت، كما تأثر إخواننا الليبيريون، لقد تساوينا بكل شيء ما عدا الدمار الاقتصادي الذي حل بالبلاد، لقد كانت لنا الحصة الكبرى منه، إذا ما قيست بالنسبة الفردية.

(كان يهمني جداً إيضاح الصورة لهم، لأنهم -الحكومة الانتقالية- كانوا مأخوذين بالإشاعات القائلة إن اللبنانيين يتدخلون بالشؤون الليبيرية الداخلية، كما أنهم أصبحوا فريقاً رابعاً أو خامساً على الأرض. أو أن برنس جونسون لم يخض معركة إلا بعد استشارة أو موافقة مصطفى الشيخ علي.)

تحت ضغط هذه المؤثرات، كسرنا حاجز الخوف وخرجنا من ملاجئنا نتعاطى مع الأمر الواقع ونجد الحلول الممكنة له. بهذه القناعة نقول لحضرتكم، إننا لا نسمح لأنفسنا بالتدخل بالأمور السياسية والعسكرية، لأنها شؤون ليبيرية داخلية، فاطمئنوا، لكننا معنيون إنسانياً واقتصادياً بكل ما يجري على الساحة الليبيرية، ولنا كلمتنا بهذين الشأنين.

ثم تكلم السيد جورج الراهب عن استعداد الجالية اللبنانية، للتعاون مع الحكومة الانتقالية في كل ما من شأنه خدمة البلد.

وهنا طلب فخامة الرئيس من الجالية أن تستورد -على عجل- بعض المواد الغذائية، حتى يتسنى للمواطن الليبيري، شراء -ولو علبة لحمة- يقدمها لعياله مع حلول عيد الميلاد ورأس السنة.

عند طلبه هذا شعرت أنها الفرصة المناسبة للكلام عن معاناة اللبنانيين وخاصة ذلك الابتزاز الذي يمارسه ضدهم موظفو الدولة، حيث بعض القوانين تترك هامشاً كبيراً لعملية الابتزاز هذه. على الرغم من قناعتي بعدم جدوى هذا الموضوع في الوقت الراهن، لكنه سيكون مفيداً في القريب العاجل، إذ سيكون بمثابة حجر الأساس في البناء الجديد لعلاقة النظام الليبيري بالجالية اللبنانية، إذ لم يكن هناك من شائبة في العلاقة مع الشعب الليبيري.

فقلت للحاضرين ما معناه:

أنتم الآن في صدد إيجاد حل سلمي للأزمة الليبيرية، وحكومتكم هي نقطة تحول في مسار هذه الأزمة (وعلبة اللحم) هي أقل ما يحتاجه الشعب الليبيري ويطلبه منكم في هذه الظروف. إنه يحتاج إلى الأمن، كما يحتاج إلى نظام جديد يرعى شؤونه ويحمي مصالحه، وفي سياق هذا البناء، أنتم مطالبون بالإقلاع عن العقلية البيروقراطية التي حكمت قبلكم وجلبت هذا الويل على شعبكم، كذلك أنتم مطالبون بتأمين مناخات العدل والحرية حتى تزدهر التجارة ويتعافى الاقتصاد، فيجب إعادة النظر في بعض القوانين التي تخيف رأس المال أو تعيق نموه كقوانين العمل والأمن العام والضرائب. أقول لحضراتكم هذا الكلام من موقعي كرئيس لأهم جالية في بلدكم، الجالية التي تعتبر بحق شريكتكم في التقدم والازدهار.

نحن نستطيع تلبية طلبكم في الحصول على كونتينر أو أكثر من اللحم المعلب وغيره من المواد الغذائية، إن أنتم أمّنتم حمايتنا وحماية هذه المواد في محلاتنا ومستودعاتنا.

انتهى اللقاء بتعليق لفخامة الرئيس: إننا نتعامل مع جيل جديد من اللبنانيين.

هذا وأبدى أعضاء الحكومة ارتياحهم للقاء متمنّين أن تتبعه لقاءات للبحث في تفاصيل كل الاقتراحات التي تهم الطرفين. ودفعت بهم حماستهم أو دبلوماسيتهم لمرافقتنا حتى موقف السيارات في الباحة الخارجية للفندق.

خلال هذا اللقاء لمست حاجة الحكومة الانتقالية إلى تعاون الجالية اللبنانية معها. كذلك شعرت بان وضع الجالية أفضل وأقوى وأكثر فاعلية من هذه الحكومة التي تحتاج إلى شتى أنواع الدعم المادي والمعنوي. وشعوري هذا كان سبباً في المنحى الذي أخذه كلامي، إن في المضمون أو الشكل.

* * *

وصلتني رغبة بعض اللبنانيين المقيمين بإحدى فنادق العاصمة السيراليونية في العودة إلى منروفيا. بواسطة البواخر التابعة لقوات حفظ السلام، وسيلة النقل الوحيدة بين فريتاون ومنروفيا، وذلك لتبادل أفراد هذه القوات ونقل الذخيرة وكل أنواع اللوجستيك. قامت لجنة الجالية بعدة اتصالات مع برنس ومع قوات حفظ السلام، من أجل نقل الراغبين في العودة ممن لهم مصالح حيوية في ليبيريا.

لا أدري إن كان لاتصالاتنا هذه الفضل بعودتهم أم لا، فلا أستطيع الجزم. ولكن .. بدأ بعض اللبنانيين بالعودة إلى منروفيا، عبر قوات حفظ السلام وبواخرهم.

كان بين العائدين السيدان ك.م و س.ف من أكثر الذين حازت مصالحهم على اهتمام اللجنة وعنايتها، خلال فترة غيابهما. (لا رغبة لي في سرد التفاصيل..وهي كثيرة) وكانا أكثر المتأثرين بالإشاعات التي طالتني وطالت اللجنة، من حيث سماعها أو نقلها وأحياناً زيادتها. لم يكن بيني وبينهما -قبل الحرب- أي خلاف، بل كان

هناك معرفة قديمة تتسم بصداقة سطحية. لذلك، اعتقدت خطأ، بأنهما سيتصلان بي فور عودتهما. ليشكراني أو ليسألاني أو ليعاتباني. لكن شيئاً من هذا لم يحصل. لأنهما قبعا في منازلهما يردّدان الإشاعات التي حاك معظمها القيمون على مصالحهما خلال غيابهما. فقلت لأحد الذين كانوا على اتصال معهم: أما أن يحضرا ويسألاني وإما أن يصمتا. فلم يحضرا ولم يصمتا.

استدعتهم اللجنة للحضور إلى شقتي للبحث في كافة الإشاعات التي تتداولها الألسنة. فلم يحضرا، بحجة خوفهما من السلاح والمسلحين (والدنيا -بنظرهما- ما زالت حرباً). أبديت استعدادي للحضور إلى منازلهما، إن هما دعوني، لكنهما لم يدعواني.

دعت اللجنة إلى اجتماع عام يعقد في فندق أمباسادور، لعل السيدين يأنسان بوجود عدد كبير من اللبنانيين، فحضر جميع أعضاء الجالية باستثنائهما والقيمين على مصالحهما. في هذا الاجتماع، وضعنا الحاضرين بصورة كل المستجدات الأخيرة.

التقيت الصديق غسان ناصر بعيد عودته إلى منروفيا، فقال لي معتذراً، إنه من كثرة ما سمع عني من إشاعات كاد يصدقها على الرغم من معرفته بي. فقلت له: لا عليك يا صديقي، من يدري ؟ ربما لو بقيت الحال على ما كانت عليه، لبضعة أسابيع أخرى لكنت أنا نفسي..صدقت هذه الإشاعات.

وعند عودة السيد نرش إلى منروفيا، قال لي مبتسماً: إن كانت الأخبار عنك في ليبيريا تمنحك لقب..رجل السنة. فالأخبار عنك في الخارج تمنحك لقب..رجل القرن. إذ كانت الأخبار تتضخم كلما بعدت عن ليبيريا.

هذا وأبدى أعضاء الحكومة ارتياحهم للقاء متمنّين أن تتبعه لقاءات للبحث في تفاصيل كل الاقتراحات التي تهم الطرفين. ودفعت بهم حماستهم أو دبلوماسيتهم لمرافقتنا حتى موقف السيارات في الباحة الخارجية للفندق.

خلال هذا اللقاء لمست حاجة الحكومة الانتقالية إلى تعاون الجالية اللبنانية معها. كذلك شعرت بان وضع الجالية أفضل وأقوى وأكثر فاعلية من هذه الحكومة التي تحتاج إلى شتى أنواع الدعم المادي والمعنوي. وشعوري هذا كان سبباً في المنحى الذي أخذه كلامي، إن في المضمون أو الشكل.

* * *

وصلتني رغبة بعض اللبنانيين المقيمين بإحدى فنادق العاصمة السيراليونية في العودة إلى منروفيا. بواسطة البواخر التابعة لقوات حفظ السلام، وسيلة النقل الوحيدة بين فريتاون ومنروفيا، وذلك لتبادل أفراد هذه القوات ونقل الذخيرة وكل أنواع اللوجستيك. قامت لجنة الجالية بعدة اتصالات مع برنس ومع قوات حفظ السلام، من أجل نقل الراغبين في العودة ممن لهم مصالح حيوية في ليبيريا.

لا أدري إن كان لاتصالاتنا هذه الفضل بعودتهم أم لا، فلا أستطيع الجزم. ولكن .. بدأ بعض اللبنانيين بالعودة إلى منروفيا، عبر قوات حفظ السلام وبواخرهم.

كان بين العائدين السيدان ك.م و س.ف من أكثر الذين حازت مصالحهم على اهتمام اللجنة وعنايتها، خلال فترة غيابهما. (لا رغبة لي في سرد التفاصيل..وهي كثيرة) وكانا أكثر المتأثرين بالإشاعات التي طالتني وطالت اللجنة، من حيث سماعها أو نقلها وأحياناً زيادتها. لم يكن بيني وبينهما -قبل الحرب- أي خلاف، بل كان

هناك معرفة قديمة تتسم بصداقة سطحية. لذلك، اعتقدت خطأ، بأنهما سيتصلان بي فور عودتهما. ليشكراني أو ليسألاني أو ليعاتباني. لكن شيئاً من هذا لم يحصل. لأنهما قبعا في منازلهما يردّدان الإشاعات التي حاك معظمها القيمون على مصالحهما خلال غيابهما. فقلت لأحد الذين كانوا على اتصال معهم: أما أن يحضرا ويسألاني وإما أن يصمتا. فلم يحضرا ولم يصمتا.

استدعتهم اللجنة للحضور إلى شقتي للبحث في كافة الإشاعات التي تتداولها الألسنة. فلم يحضرا، بحجة خوفهما من السلاح والمسلحين (والدنيا -بنظرهما- ما زالت حرباً). أبديت استعدادي للحضور إلى منازلهما، إن هما دعوني، لكنهما لم يدعواني.

دعت اللجنة إلى اجتماع عام يعقد في فندق أمباسادور، لعل السيدين يأنسان بوجود عدد كبير من اللبنانيين، فحضر جميع أعضاء الجالية باستثنائهما والقيمين على مصالحهما. في هذا الاجتماع، وضعنا الحاضرين بصورة كل المستجدات الأخيرة.

التقيت الصديق غسان ناصر بعيد عودته إلى منروفيا، فقال لي معتذراً، إنه من كثرة ما سمع عني من إشاعات كاد يصدقها على الرغم من معرفته بي. فقلت له: لا عليك يا صديقي، من يدري ؟ ربما لو بقيت الحال على ما كانت عليه، لبضعة أسابيع أخرى لكنت أنا نفسي..صدقت هذه الإشاعات.

وعند عودة السيد نرش إلى منروفيا، قال لي مبتسماً: إن كانت الأخبار عنك في ليبيريا تمنحك لقب..رجل السنة. فالأخبار عنك في الخارج تمنحك لقب..رجل القرن. إذ كانت الأخبار تتضخم كلما بعدت عن ليبيريا.

INPFL/157/'90

November 3, 1990

B/Gen. C.C. Iweze
Chief of Staff
E C O M O G
Freeport of Monrovia
MONROVIA-LIBERIA

General Iweze:

We have been informed by the Chairman of the Lebanese Business Community, Bushrod Island, Mr. Moustapha Ali, that a group of Lebanese Businessmen presently in Freetown, Sierra Leone, have expressed their desire to come to the country to invest and establish businesses here.

In our effort to revive our damaged economy and to promote conducive investment climate and to encourage investors to come to the country, we wish to re-echo our invitation to all investors to come to Liberia and do business.

I therefore request that you kindly provide them passage on board your returning vessel to come to Liberia.

Yours truly,

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
ACTING PRESIDENT OF LIBERIA
& FIELD MARSHAL/INPFL

ATTACHED: List of Businessmen.

01

NAMES OF BUSINESSMEN IN SIERRA LEONE
SEEKING TO COME TO LIBERIA

1. Kamal Merhi
2. Ezzat Eid
3. Wahib Kashouh
4. Bassam Mohsen
5. Ali Mohsen
6. Najib Eid
7. Mohamed Lakis
8. Riad Wansa
9. Saiid Fouani
10. Adnan Fouani
11. Hassan Fouani
12. Mohamed Ashour
13. Ahmed Farhat
14. Nazih Younis
15. Azmi Halawie
16. Rasmi Eid
17. Richard Haykel
18. Youssef Hage
19. John Daher
20. Samir Merhi
21. Alex Azar
22. Ahmed Ezzeddine
23. Mahmoud Delbani
24. Ahmed Mattar
25. Ahmed Lakis
26. Belal Khalil
27. Imad Khalil
28. Hikmat Saad
29. Talal Mattar
30. Hasan Dabous
31. Salman Ayash

RESTRICTED

Headquarters ECOMOG
Free Port
Monrovia

HQ ECOMOG/218/G

B/Gen Prince Yeduo Johnson
HQ INPFL
CALDWELL
LIBERIA

04 November, 1990

RE: PASSAGE FOR LEBANESE ON BOARD ECOMOG VESSEL TO MONROVIA

1. I am directed to refer to your letter INPFL/157/90 of November 3, 1990 and inform you that if the Lebanese come on board ECOMOG ship they might not pay any revenue. However, if they come on board chartered vessel, they would pay Port Duties which is the begining of the revival of Liberia economy.

2. I am also to inform you that it might take a very long time before our ships would be able to help the Lebanese as we have limited serviceable vessel but much to carry in.

3. Thank you.

MM BAMAIYI
Brig
Chief of Staff

RESTRICTED

V

٦ كانون أول ١٩٩٠

من لجنة الجالية اللبنانية المكلفة

إلى السيد ل. م المحترم

إن لجنة الجالية اللبنانية المكلفة، بأعضائها المذكورين، تدعو حضرتكم
بصحبة من كانوا قيّمين على مصالحكم أثناء غيابكم عن ليبيريا لحضور
لقاء مصغر في بيت رئيس اللجنة السيد مصطفى الشيخ علي. وذلك لتحليل
التقولات التي بلغت أسماعنا واردة عنكم بخصوص بعض الأمور
وللإجلاء الأمر وبلورة الحقيقة وتأكيد أو نفي الإدعاءات المذكورة.
يعقد اللقاء نهار السبت القادم الواقع في ٨ كانون أول ١٩٩٠
الساعة العاشرة صباحاً.
نأمل حضوركم مع الشكر سلفاً

رئيس اللجنة

مصطفى الشيخ علي

VI

٦ كانون أول ١٩٩٠

من لجنة الجالية اللبنانية المكلفة

إلى السيد س. غ المحترم

إن لجنة الجالية اللبنانية المكلفة، بأعضائها المذكورين، تدعو حضرتكم
بصحبة من كانوا قيّمين على مصالحكم أثناء غيابكم عن ليبيريا لحضور
لقاء مصغر في بيت رئيس اللجنة السيد مصطفى الشيخ علي. وذلك
لتحليل التقولات التي بلغت أسماعنا واردة عنكم بخصوص بعض
الأمور وللإجلاء الأمر وبلورة الحقيقة وتأكيد أو نفي الإدعاءات
المذكورة.
يعقد اللقاء نهار السبت القادم الواقع في ٨ كانون أول ١٩٩٠
الساعة العاشرة صباحاً.
نأمل حضوركم مع الشكر سلفاً.

رئيس اللجنة

مصطفى الشيخ علي

13/كانون أول 1990

دعوة إلى اجتماع

من لجنة الجالية اللبنانية المكلفة
إلى أبناء الجالية اللبنانية
منروفيا - ليبيريا.

إن لجنة الجالية اللبنانية المكلفة تدعو جميع أبناء الجالية اللبنانية لعقد اجتماع عام نهار السبت الواقع في 15/كانون أول 1990 في الامباسادور أوتيل Ambassador Hotel مامبا بوينت، وذلك لبحث المستجدات الحالية والاطلاع على نتائج اجتماع اللجنة برئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة الانتقالية الليبيرية.

عن لجنة الجالية المكلفة
رئيس اللجنة
مصطفى الشيخ علي

على الصعيد الليبيري الرسمي، كان جميع الفرقاء مهتمين بتحضير وفودهم إلى المؤتمر الذي سينعقد بتاريخ 90/12/21 في مدينة بنجول، عاصمة غامبيا، لبحث الحلول السلمية للأزمة الليبيرية.

من أجل هذا كانت قاعدة برنس كخلية نحل، تشهد حركة زيارات من أعضاء الحكومة الانتقالية وقيادة قوات حفظ السلام. وكنت أحضر معظم هذه اللقاءات بطلب من قيادي برنس وأعضاء الحكومة الانتقالية ذاتها، لقناعة منهم أني أستطيع التأثير على برنس أكثر من أي منهم. كان الحوار كله يدور حول وفد برنس جونسون إلى المؤتمر، كماً ونوعاً.

برنس كان يريد أن يرأس وفداً لا يقل عن عشرة أشخاص، أما الحكومة الانتقالية ومعها قوات حفظ السلام، فتريد إقناعه بوفد مؤلف منه وعضو واحد فقط. وهذا ما كان يرفضه برنس رفضاً قاطعاً. كذلك طلب إليه الجنرال دونغنيارو أن يذهب بلباس مدني لا عسكري. وثمة اختلاف وقع حول وسيلة النقل من منروفيا إلى فريتاون، ومن فريتاون إلى بنجول.

بحثت هذه المواضيع على مدى ثلاثة أيام، حاول خلالها أعضاء الحكومة الانتقالية إقناعي بإقناع برنس بأمور لست مقتنعاً بها أصلاً. وكنت أعتذر بقولي: إنها أمور ليبيرية داخلية ولا أسمح لنفسي بالتدخل بها.

كانت أقوى حججهم أن الطوافة التابعة لقوات حفظ السلام هي وسيلة النقل الوحيدة، ولا تستوعب أكثر من برنس وشخص آخر معه. وحجة أخرى مفادها أن ميزانية المؤتمر لا تسمح بأي نفقات إضافية، وكلها حجج وأعذار اعتبرتها واهية.

من الأمور التي ما فهمتها حينها..ولا بعدها. لماذا كانت الحكومة الانتقالية تستعدي برنس جونسون، وهو محسوب عليها أو هي محسوبة عليه. وبرنس أيضاً، الذي لم يجد حججها مقنعة ولا مطالبها واضحة، حدا به عدة مرات، إلى التهديد بمقاطعة المؤتمر.

هل كانت الحكومة الانتقالية، وهذا أغلب الظن، تتصرف بوحي من قوات حفظ السلام التي كانت تريد تحجيم دور برنس، بعد أن فشلت في ضبطه واستيعابه.؟

مع تعنُّت الفرقاء الثلاثة، بدت مقاطعة المؤتمر أمراً واقعاً. حتى صباح 19 ديسمبر، كنت موجوداً حين حضر الدكتور ليفي زانكاي مبعوث الرئيس صوير، إلى مكتب برنس الذي كان يعج برجاله

الذين يأملون بأن يكونوا في عداد الوفد. وراح يكرر على مسامع برنس ليس في الطائرة متسع لأكثر من شخص واحد. (علماً أنه كان على خط منروفيا-فريتاون طائرة شحن خاصة، تستعمل لنقل الركاب). سألت الدكتور زانكاي إن كانت مسألة النقل من منروفيا إلى فريتاون هي العائق الوحيد؟

فأجاب بنعم، مؤكداً التزام الحكومة الانتقالية بكافة نفقات الوفد ما بعد فريتاون..وإلى حين العودة.

فطلبت الاختلاء ببرنس، ودخلت وإياه غرفة نومه، حيث اقترحت عليه أن يذهب بصحبة شخص واحد، على أن يلحق به وفد في خلال 24 ساعة. متمنياً عليه أن لا يزيد عدد الوفد عن خمسة أشخاص، تتكفل الجالية بدفع تذاكرهم إلى فريتاون.

وبعد موافقته طلبت إليه تسمية أعضاء الوفد بغية حسم الموضوع بسرعة من ناحية، وتسمية أعضاء الوفد بعيداً عن الضجيج والإحراج أو الانفعال من ناحية أخرى. وفعلاً بدأ بتسمية الوفد على النحو التالي:

1- Mrs. Collins. تأتي معي (سكرتيرته)

2- Dr. Peter Naigow

3- Dr. Isaac Wiles

4- Mr. James Legay

5- Mr. Daniel Johnson

6- وأنت .. تلحقني

وهنا اعترضت على تسميتي شارحاً قناعتي بالموضوع. فقاطعني باختصار حاسم. إنك تخدم ليبيريا أكثر مما يخدمها الكثير من أبنائها. قال هذا، وتركني في الغرفة وخرج قبل أن يسمع أي تعليق آخر.

لحقت به إلى مكتبه (الغرفة المجاورة) حيث كان ينتظر الجميع. نقل برنس إلى الدكتور زانكاي مطالبه الجديدة، معلناً أسماء الوفد، دون أن يذكر اسمي، منوهاً بأن الجالية اللبنانية تبرعت بثمن التذاكر إلى فريتاون، فصفق الجميع، بعضهم بحماسة وحرارة صادقة، والبعض بتصنع لأن أسماءهم لم تكن في عداد الوفد.

غادر الدكتور زانكاي ليعرض على الحكومة ما سمعه. وكنا في انتظار عودته عندما تبين أن السيد دانيال جونسون (كان يرأس منظمة المتطوعين في الخدمات المدنية التابعة لتنظيم برنس جونسون، ولا تربطه بهذا الأخير أية صلة قرابة) لا يملك جواز سفر. فأخبرنا الدكتور زانكاي بذلك فور عودته بموافقة الحكومة الانتقالية. ووعد بأنه سيهتم بموضوع الجواز.

كذلك طلب برنس من السيد جيمس ليفاي أن يكتب رسالة إلى من يهمه الأمر، تنص على كوني عضواً في وفد برنس جونسون لمحادثات السلام في بنجول. ثم التفت إليّ وقال: لعلها تفيدك في تنقلاتك بين المطارات في غياب التأشيرات اللازمة.

بناءً عليه، غادر برنس في ذات اليوم 19 ديسمبر، برفقة مسز كولنز والجنرال دونغنيارو إلى فريتاون على متن طوافة تابعة لقوات حفظ السلام.

وفي اليوم التالي 20 ديسمبر، التقينا الدكتور زانكاي الذي أفادنا بأن برتوكول الحكومة الانتقالية سيستقبلنا في فريتاون ومعه جواز السفر، لأن وزير الخارجية ماثيو موجود في فريتاون، وهو الذي يوقع جوازات السفر. وكذلك سنستلم تذاكر السفر إلى بنجول بعد أن نمضي ليلة في فريتاون بضيافة الحكومة الانتقالية. فتوكلنا على الله وتوجهنا إلى فريتاون.

في الطائرة كان السيد دانيال جونسون يجلس إلى جانبي، فكتب على ورقة وناولني إياها. قرأت فيها عبارات إنسانية رقيقة، تنم عن إحساس صادق، وتعكس شعوراً إنسانياً راقياً، وهو يشكرني مقَدراً الجهود التي بذلتها وما زلت أبذلها، في سبيل إيصال ليبيريين متنازعين إلى مؤتمر للسلام يصلح ذات البين.

أعجبت جداً بعبارات الثناء والمديح تلك، لأني أحسست بصدقها وعفويتها، فاحتفظت بتلك الورقة..سأقص في مكان آخر كيف مزقتها.

December 16, 1990

TO : ECOMOG

TO WHOM IT MAY CONCERN

Please be informed that Mr. Mustapha Ali, a Lebanese national is a memoer of my delegation (INPFL) travelling to Banjul, Gambia, for the organizing of modalties of the Peace Treaty signed by the warring faction.

Many thanks.

Kind regards,

B/Gen. Prince Yeduo Johnson
FIELD [illegible]/INPFL

وصلنا إلى مطار لونغي Lungi في سيراليون، لم نعثر على أحد من ممثلي الحكومة الانتقالية، لا بروتوكول ولا غيره. سألنا سلطات المطار إن كان برنس جونسون ما زال في فريتاون أم أنه ترك إلى بنجول. فأجابونا أنه في فريتاون، في فندق Cape Sierra ، وبعد إجراء معاملاتنا القانونية من أمن عام وجمارك، تولى خلالها الدكتور Peter Naigow رئيس الوفد، شرح مهمتنا للسلطات السيراليونية. فغض النظر عن جواز سفر دانيال وتأشيرة دخولي.

انتقلنا بنفس الطائرة إلى المطار الصغير في فريتاون، معزين النفس بأن البروتوكول قد يكون هناك. فلم نلتق أحداً من هذا القبيل. تعرَف الدكتور نيغا الذي لم يفاجئه عدم استقبالنا بشيء، إلى أحد الليبيريين وكان معه سيارة، فسأله إمكانية نقلنا إلى الفندق، فتطوع دون تردد.

في الفندق، التقينا المستر Dahn رئيس البروتوكول، سألناه عن عدم استقبالنا، فأجاب لم يكن على علم بمجيئنا. مما يعني أنه لا جواز سفر، ولا تذاكر طائرة إلى بنجول.. ولا حتى غرف نوم. ولما سألناه عن برنس، أجاب لم يحضر قطعاً إلى فريتاون، بل نقل فوراً من مطار لونغي إلى بنجول.

في هذا الفندق، مكثت الحكومة الانتقالية بضعة أشهر قبل انتقالها إلى منروفيا. وفي هذا النزل أيضاً مكث الكبار من رجال الأعمال اللبنانيين، يترقبون الوضع في ليبيريا ويرددون الإشاعات.

ما زالت الحكومة الانتقالية تشغل بعض الغرف في هذا الفندق. وكانت غرفة شاغرة حجزت لبرنس، فنام فيها كل من الدكتور Naigow و الدكتور Wiles . وغرفة ثانية لأحد رجال الحكومة الانتقالية، نمت فيها أنا والسيد Legay أما السيد دانيال جونسون، فاستأجرنا له غرفة في فندق يقع على مقربة منا.

في الصالة التقيت الصديق غازي ناصر، وهو من مغتربي ليبيريا. جلست أستمع إليه يحدثني عن الإشاعات التي تداولها البعض بشأني، أخبار وإشاعات كثيرة، ذهلت لسماعها، لأن ما سمعته في ليبيريا كان نقطة في بحر ما أسمعه الآن.

إن بعض ما سمعته كان مضحكاً وبعضه كان مبكياً، وكله كان مذهلاً، لأن مخيلة الناس أبدعت في الحبك والتحريف والإنشاء.

افترقنا حوالي الثالثة صباحاً، دون أن ينتهي السيد غازي ناصر من كلامه، ودون أن يتسنى لي الرد ولو على جزء يسير مما سمعت. فلضيق الوقت، كان يكلمني بسرعة ليصغي إلى أجوبتي، وكنت أجيبه بسرعة لأسمع ما عنده.

كنت بحاجة لأخذ قسط من الراحة، استعداداً للسفر بعد ساعات قليلة، فصعدت إلى الغرفة وفتحت بابها دون أن يهمني إزعاج السيد Legay الذي كان شخيره يملأ الطابق كله.

سهرت ما تبقى من تلك الليلة، أفكر في ما سمعته من الصديق غازي، متنقلاً بين كافة التهم والإشاعات دون أن أستطيع التركيز على واحدة منها. لأنها تحولت إلى أشباح عفاريت ترقص بصخب، على إيقاع ما يعزفه السيد Legay. حاصرني القلق وضاقت بي الغرفة بعد أن علت أرضها وهبط سقفها وتقدمت جدرانها. حاولت أن أقفز من النافذة أو أن أصرخ، فكبلتني أخلاقي التي تأبى عليّ الهرب.

عفريت تقدم مني وصرخ: الجبان يهرب من ذنب اقترفه، أما أنت فجبنك مزدوج لأنك تهرب من ذنب لم تقترفه.

وقال عفريت آخر: إن أخطأ الفرد فإنه يدفع ثمن خطيئته عاجلاً أم آجلاً، وان أخطأ الرأي العام فهو يفتش عن بديل يدفع الثمن.

وصرخ ثالث: الويل لمن يدفع ثمن أخطاء غيره.

رحت أحدق بوجه هذه العفاريت، فتذكرت أشخاصاً تعرفت إليهم خلال الحرب، إذ قصدوني بطلب خدمة ما. مستعرضاً صور أشخاص لهم علاقة بالإشاعة أو بالقصة التي حيكت حولها الإشاعة، وكلما فرغت من شريط الإشاعات هذا، كنت أعيد قراءته، لعلني أعثر على إشاعة تحمل توقيعاً، أو أكتشف بين سطورها شخصاً يتحمل مسؤوليتها، ليحاسبني على فعلتي أو أحاسبه على قوله، ولو معنوياً.

إن من لا يجرؤ على تحَمل مسؤولية ما يقول، هو الرأي العام، فهو لا يتحمل مسؤولية أقواله. كثيراً ما ينسب الناس لأنفسهم أقوالاً لم يقولوها، وأفعالاً لم يفعلوها، ومعرفة ما لا يعرفونه، دون أن ترمش عيونهم للضرر الذي يمكن أن يلحقوه بسواهم.

استيقظت دون أن أذكر أني غفوت، كنت منهك القوى، ضعيف العزيمة، فرحت أفكر في ما سيأتي، متناسياً ما قد مضى، لعلي أستعيد بعض العزيمة لاستكمال المشوار الذي بدأته.

تجمّعنا، نحن أعضاء الوفد، في صالة الفندق في السابعة والنصف صباحاً. باستثناء السيد دانيال جونسون الذي نام في فندق مجاور، كنت قلقاً بعض الشيء، بينما كان الارتياح بادياً على كل من الدكتور نيغا والدكتور وايلز. إذ راحا يحتسيان القهوة مع السيد دان الذي كان يتناول طعام الفطور بهدوء لا يخلو من التكلف. رحت أستعجلهما للتوجه إلى المطار مبدياً قلقي من تأخر دانيال، فبادر إلى طمأنتي الدكتور نيغا بحجة أن السيد دان يفيد بأن لدينا متسعاً من الوقت، والدليل أنه مسافر على متن الطائرة ذاتها. سألت السيد دان عن بقية وفد الحكومة الانتقالية، تجاهل سؤالي ولم يجب.

اتجهت إلى مدخل الفندق مستطلعاً أمر دانيال، وكأني أستعجل قدومه.

عند المدخل تحرش بي أحد سائقي التاكسي إن كنت بحاجة إلى تاكسي؟

أجبته بنعم؛ ولكن ليس الآن.

فسألني إن كنت مسافراً بطائرة هذا الصباح؟

قلت: نعم

فأجاب معلقاً: يا سيدي أنت لا تملك متسعاً من الوقت، لأن (الفاري) -الباخرة- التي ستعبر بك إلى ناحية المطار ستترك بعد 35 دقيقة، وهذا الوقت يكاد لا يكفيك للوصول إليها.

فسألته: ومتى هو الموعد الثاني (للفاري).

فقال: في المساء فقط، لنقل ركاب شركة ال KLM.

فتعجبت لأمر السيد دان الذي ما زال يتباطأ في تناول فطوره!

فسألت السائق: هل هناك من وسيلة أخرى للوصول إلى المطار، غير (الفاري).

قال: نعم، هناك طائرة الهيلوكبتر، لكنها باهظة الكلفة ويجب الحجز قبل يوم واحد.

هنا أدركت حيلة الحكومة الانتقالية التي تحول دون وصول وفد برنس إلى بنجول.

وصل السيد دانيال جونسون بسيارة تاكسي، طلبت إليه نقل أمتعته إلى سيارة التاكسي التي ستقلنا إلى الفاري. وذهبت في حضور بقية أعضاء الوفد الذين ما زالوا يجالسون السيد دان. قلت لهم إن دانيال قد حضر، وهو ينتظرنا في التاكسي، وعلى من يريد مرافقتنا

أن يتحرك حالاً، وإلا ستترك بدونه، إذ لا وقت لدينا للنقاش.

نهض الجميع، وركبنا التاكسي إلى (الفاري) التي كانت على وشك الانطلاق. فتنفسنا الصعداء إذ كنا آخر من صعد إلى متنها. عادت إليّ بعض الطمأنينة بشيء من الرضى عن النفس.

على متن الفاري التقينا أعضاء وفد الحكومة الانتقالية وعلى رأسهم وزير الخارجية السيد باخوس ماثيو الذي كان من المفروض أن يوقّع جواز سفر السيد دانيال. وما إن وصلنا إلى المطار حتى التقينا السيد دان، طبعاً، الذي حضر بواسطة الهيلوكبتر.

في الطائرة، التقينا فخامة الرئيس ايموس صوير وجميع أعضاء الوفد المرافق له. راح أعضاء الوفدين يحيون بعضهم بعضاً وكأن شيئاً لم يكن. وهنا شاهدت كيف ترتدي الكراهية ثوب الدبلوماسية، فتبدو وكأنها المحبة في يوم زفافها. وهذا ما لا أجيده، لذلك رميت وفد الحكومة بنظرة ملؤها الملامة، وتجاهلتهم بقية الرحلة.

يجب أن لا أنسى أنني اضطررت لدفع ثمن بطاقات السفر من فريتاون إلى بنجول.

وصلنا إلى بنجول عند الظهيرة، وكان الطقس حاراً جداً، إذ كنا نرى من نوافذ الطائرة السراب الذي كان يتصاعد من أرض المطار المكشوفة لشدَة حرارة الشمس. وما إن بلغت الطائرة الموقف المخصص لها حتى بان الوفد الغامبي الرسمي الذي حضر لاستقبال الرئيس صوير. وكان برنس في عداد المستقبلين وبجانبه تقف مسز كولينز والجنرال دونغنيارو. كان يبدو ضائعاً من دون وفده الذي لا يعرف عنه شيئاً. خاصة أن المؤتمر سيفتتح في الساعة الثانية بعد الظهر. قد لا يرانا، لأننا سننتظر في الطائرة حتى يتم نزول وفد الرئيس. فجهدت بأن يراني برنس أو مسز كولينز قبل أن يغادرا أرض

المطار، فوقفت بمحاذاة باب الطائرة حتى تأكدت من أن برنس رآني، فراح يرقص كطفل صغير.

أوقفني الأمن العام، لأني لا أحمل تأشيرة دخول إلى غامبيا، فراح الدكتور نيغا يشرح لهم بأني عضو في وفد ليبيري لمؤتمر السلام الذي سيفتتح بعد حوالي الساعة، وأنه كرئيس لهذا الوفد لا يستطيع أن يتركني في المطار، وتأخر وفدنا سيحرج المؤتمر والمؤتمرين.

غير أن مسؤول الأمن العام بقي يتساءل عن كوني لبنانيا عضواً في وفد ليبيري. مع كل هذه الاعتبارات، بقي مصراً على موافقة قوات حفظ السلام على عضويتي في هذا الوفد، وراح ينصح بالاتصال بمكتبهم في بنجول.

وهذا ما أردت تجنبه بسبب علاقتي بدونغنيارو وسوء التفاهم الذي يشوبها. تذكرت أني دخلت غامبيا منذ ستة أشهر لزيارة صديق يدعى يوسف عز الدين، وكان لهذا الصديق علاقة طيبة مع الأمن العام. فسألت المحقق إن كان يعرف يوسف، فأجاب بنعم، فسألته: ماذا لو تركت لك جواز السفر على أن تنهي المعاملة الرسمية وتسلمه للصديق يوسف. فوافق وانتهى الأمر.

نزلنا في فندق سنيغامبيا الذي استضاف المؤتمر وكل الوفود. قصدنا جناح برنس لنحييه ونعلن عن وصولنا، ثم أسرعنا إلى غرفنا بعد حل مشكلة الغرف هذه، فتبيّن أن لا حجوزات لنا، بدّلنا ملابسنا وتوجهنا إلى قاعة المؤتمر.

افتتح المؤتمر السيد عباس بندو، فرحب بالوفود وتمنى لهم النجاح.

أما الوفود الحاضرة فكانوا:

– وفد the National Patriotic Front of Liberia برئاسة السيد طوماس وايوايو.

– وفـد the Independent National Patriotic Front of Liberia برئاسة برنس جونسون.

– وفد الحكومة الانتقالية برئاسة الدكتور ايموس صوير. ولم يكن لهذا الوفد أكثر من دور مراقب.

ثم حدد موعد الجلسة الأولى المقفلة في الساعة السادسة مساءً.

في خارج القاعة، التقى وفدا الجبهتين وتعانقا بحرارة، محمّلين مسؤولية خلافهما إلى جهة ثالثة.

عدنا إلى جناح برنس، لتقييم المواضيع المطروحة. طلبت بعدها أن أختلي ببرنس، حيث قلت له: أرجو أن تتفهم أني لن أشارك في الجلسات المغلقة للوفود، فإذا شاركت في هذه الجلسات سيكون وضعي عبئاً عليّ من اللبنانيين من جهة، وعبئاً عليك من الليبيريين من جهة ثانية، وعندها سيكون شأني مثل أسامة عبد الكريم الذي اختلفت وإياك من أجله. فقناعتي لم تتغير بهذا الشأن، اعتذرت له عن عدم الحضور والتحقت بكل من الدكتور نيغا والدكتور وايلز اللذين كانا يتهامسان بذات الموضوع، سمعت مقتطفات مما كان يدور بينهما، كما سمعا بعض مما دار بيني وبين برنس.

نظر اليّ الدكتور وايلز وقال: إنك على حق.

فأجاب برنس: كلكم على حق..لكني لا أوافقكم.

انتهى الموضوع دون أن أشارك في الجلسات. وأذكر أن برنس ذاته لم يشارك في معظم الجلسات، وصرف أكثر أوقاته جالساً على شاطئ المحيط المتاخم للفندق.

على هامش المؤتمر التقيت الجنرال دونغنيارو، فتصافحنا لياقة.. وليس اشتياقاً. وكذلك التقيت Scott مراسل الـBBC الذي غطى

أخبار الحرب الأهلية الليبيرية وكان دائم الحضور في قاعدة برنس. فتعانقنا، لأني كنت أجهل أنه حاك بعض الإشاعات حولي.

انتهى المؤتمر في 22/12/90، وغادر المؤتمرون كل إلى قواعده العسكرية، بعد أن مكثوا يومين يمارسون كل ما حرمتهم الحرب منه. يأكلون ويشربون كل ما طاب لهم، ويرتدون أزهى ملابسهم المدنية، يتسامرون ويبتسمون ويضحكون، غادروا وهم متفائلون بلقاء آخر.

أما أنا، فبقيت في بنجول أتدبر أمر سفري إلى إنكلترا لقضاء عطلة الميلاد ورأس السنة مع عائلتي كما جرت العادة. كانت تأشيرة دخولي إلى بريطانيا قد انتهت مدتها، فقصدت سفارتها في بنجول، ولو لم تكن المسألة عائلية لما منحوني تأشيرة الدخول، لسبب أني لست مقيماً في بنجول-غامبيا. من قال إن الأوروبيين لا تعنيهم الصلات العائلية.

لا أستطيع أن أنسى الرفيق والصديق أحمد عز الدين (أبو نبيل) الذي صادف وجوده في غامبيا، وبعد عناق طويل، خرجت وإياه إلى مطعم قريب. طلبنا فنجانين من القهوة، كان "أبو نبيل" متشوقاً لسماع أخبار ليبيريا، فهو من -وجهاء الجالية في ليبيريا- ومغترب قديم فيها. كما كان يود أن يسمع أخباري الشخصية التي طغت- في بعض الأحيان- على كل الأخبار الليبيرية.

وبعد أن أوجزت له أوضاع الحرب والجالية، سألني إن كنت أحتاج إلى مساعدة في تحويل أموالي إلى الخارج، إذ لا يجوز التنقل بأموال ضخمة، على حد تعبيره، كما لا يجوز تركها في الفندق، والأفضل أن أسلمها إلى صهره يوسف عز الدين حتى يتولى أمر تحويلها، بمعرفته وأسلوبه.

كنت أصغي إليه دون أن أصدق ما تسمعه أذناي. فهذا يعني أن الإشاعات وجدت طريقها إلى عقول أعز الناس اليَّ وأقربهم مودة. كان من المفترض أن يكون هؤلاء الأصدقاء عوناً لي في محنتي هذه، لكنهم وقعوا فريسة الإشاعات مثل سائر البشر.

انتابني شعور قويّ بالبكاء وبحاجة إلى التقيؤ، بينما حاولت أن أحافظ على هدوئي، كانت عاصفة من الألم تجتاحني من الداخل. تنبه الرفيق أحمد إلى دمعتين تجمدتا في عينّي، فسألني بحذر شديد: ما بك؟

وراح يسترجع كلامه ليعثر على سبب انفعالي هذا.

فسألته بدوري، ولكن بصوت خافت إذ شعرت بالتهاب حاد وجفاف في حنجرتي: وكم هو المبلغ الذي تفترض أني أحمله.؟

فأجاب: سمعت الناس تتناقل رقماً بملايين الدولارات الأميركية.

وسألته ثانية: كيف تعتقد أني جمعت هذه الملايين؟

صمت.. مفكراً.

قلت له: في حالة الحرب هناك ثلاثة وسائل لجني الأرباح، أن تكون تاجر سلاح، أو أن تحتكر كميات كبيرة من الغذاء والدواء، فتستغل حالة الحرب لجني الأرباح الخيالية. أن تسرق أو تشتري مسروقات (وكلاهما سرقة). ولا أعتقد أن هناك وسيلة رابعة. فمن خلال معرفتك الوثيقة بي، لك أن تحكم بأي وسيلة من هذه الوسائل قد جنيت الملايين التي يتحدث الناس عنها.

أطرق الرفيق أحمد وكأنه يحدّث نفسه، أو يحاسبها على عدم الركون إلى معرفته الطويلة بي. ثم قال:

لعلّي لم أفكر في كل هذه الأمور.. بالشكل الذي تطرحه. بل لعل سروري منعني من التفكير الصحيح، معتبراً أنك محظوظ بالتعويض

عن الخسارة التي حلت بك مع السيد ي.ن، ثم راح ينقل إليّ ما سمعه من إشاعات، كنت قد سمعت بعضها على لسان السيد غازي ناصر. أما بعض الجديد الذي سمعته هو أني اشتريت (ذهب) القصر الجمهوري بعد مقتل دو.

توجهت إلى مطار بنجول حوالي الساعة العاشرة من ليلة عيد الميلاد 24 ديسمبر، لأستقل طائرة الخطوط الجوية البريطانية إلى لندن. كانت المقاعد شبه فارغة. لأن عدد الركاب لم يتجاوز بكثير عدد أفراد الطاقم.

سألتني إحدى المضيفات إن كان في مطار لندن من ينتظرني، وقبل أن أجيبها عللت سؤالها بشرح مفاده أننا سنصل لندن في الصباح الباكر لعيد الميلاد حيث تكون كل وسائل النقل معطلة، وهذا يشمل سيارات الأجرة والأوتوبيس والتراماوي.

كنت قد أعلمت زوجتي بموعد وصولي، فأعلنت استعدادها للحضور إلى المطار. وهذا يعني أنها ستستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً، وهذا ما سيفسد على الأولاد (طارق وزينة) بهجة العيد وما يترافق معه من فتح علب الهدايا الصغيرة المحشوة داخل الجوارب الموضوعة بجانب أسرّتهم، من أجل هذا كله سارعت للتطوع بأني سأتدبر أمري.

وصلنا إلى مطار غاتويك (Gatwick) في تمام السادسة صباحاً، وكان يشهد حركة بطيئة سواء من المسافرين أو الموظفين. استقبلنا موظفو الأمن العام بتحية الميلاد (ماري كريسماس) وبابتسامة العيد المنتشرة على وجوههم.

سألني موظف الجمارك إن كان هناك من ينتظرني، فأيقنت أن موضوع التنقليات أسوأ مما توقعت.

رحت أستعرض وجوه المنتظرين من المستقبلين وأنا خارج من

قاعة الجمارك، لعليّ أعثر على من أتعرف إليه أو يتعرف إليّ. فلم أعثر إلا على نظرات شامتة تقرأ الخيبة في وجهي.باستثناء بعض الوجوه التي كان الفرح فيها يستطلع عزيزاً أو حبيباً، كان معظمها مستاءً من الحضور في مثل هذه الساعة من صباح العيد.

توجهت إلى أقرب مركز للاستعلامات أسألهم حلاً معقولاً. فأجابوني بما يشبه أني بحاجة إلى ليلة قدر تنقلني إلى بيتي، لأن كل ما يسير على الأربعة ومتحرك خارج مبنى المطار، هو الأوتوبيس التابع لشركة الطيران والذي ينقل ركاب الترانزيت إلى مطار هيثرو أو العكس. والأفضل لي أن استقله لأن ليلة القدر أقرب إليّ في هيثرو منها في غاتويك. اتصلت بزوجتي لأطلعها على المستجدات، فأبلغتني بأن جارنا وصديقنا براين Bryan توجه منذ الصباح بصحبة أولاده وابني طارق لاستقبالي في غاتويك، شاهدتهم قبل أن أنهي المخابرة مع زوجتي، فتنفست الصعداء.

في الطريق إلى البيت بدأت أشعر بالطمأنينة تعود إلى نفسي لأنني أصبحت بعيداً عن كابوس الحرب ومستجداتها، فكبوت غافياً حتى وصلنا إلى البيت.

مكثت في بريطانيا ثلاثة أسابيع، تلقيت خلالها عشرات المخابرات الخارجية من أقارب وأصدقاء ورفقاء، بعضهم ليطمئن وبعضهم ليستخبر وبعضهم ليخبر ما سمعه من إشاعات وغيرها.

من أسوأ ما تلقيته من مخابرات، كانت تلك التي تحمل خبراً مفاده أن السيد س.ف يدّعي بأن البضاعة التي سرقت من متجره بيعت عندي. كم تمنيت لو أن ناقل الخبر انتظر عودتي إلى منروفيا، كي لا ينكّد إقامتي مع عائلتي، وكم تمنيت لو أن السيد س.ف تريث وفكر قليلاً قبل أن يلقي تهماً مجانية.

لا شك في أن عودة الوفد إلى ليبيريا من دوني، أوحت لبعض الموهومين بأني جنيت الملايين، بعدم عودتي إلى ليبيريا، إذ إني -على حد زعمهم- اغتنمت خروجي مع الوفد فرصة للهرب. ويبدو أن ناقل الخبر وقائله قد وقعا فريسة اعتقادهما .. فصدقاه.

كثيراً ما ناقشت نفسي بالأسباب والدواعي التي تدفع بالإنسان كي يرمي سواه بشتى أنواع الإشاعات والتهم، غير مبال بالنتيجة التي قد تسيء إليه قبل غيره. وكثيراً ما تساءلت لماذا لم يطرح السيد س.ف اتهامه هذا أثناء وجودي في منروفيا، بل رمى هذه التهمة بعيد رحيلي ببضعة أيام. لا شك في أن حرب المسافات البعيدة سهلة جداً.

عبثاً كنت أحاول إيجاد المبررات لتصرفه هذا، متذكراً معرفتي الطويلة به وإن كانت سطحية فلم يشبها شائبة. إذ لم يكن بيننا أية خلفيات أو مزاحمة تجارية، وكلما التقينا كنا نتبادل التحيّات وأطراف الحديث.

لا شك في أنه تأثر بما سمع ونقل إليه من كلام. فهو كان غائباً خلال معظم فترة الأحداث، ولم يكلف نفسه عناء التحقق مما سمعه، أو ربما أنه ركب موجة كأي جاهل يخاف أن يفوته القطار، فيتعلق به دون أن يدري إلى أين وجهته.

حاولت الإقلاع عن التفكير في هذا الموضوع، داعياً نفسي لعدم الاكتراث بما يقوله الناس -الرأي العام- البغل- فالناس كلها أقوال بعضها يتَقول على بعضها الآخر، هذا شأنهم..لا علاقة لي بهم. والكثير الكثير من مثل هذه المخدرات كنت أتناولها كمهدئ للأعصاب، ريثما أعود إلى ليبيريا للتعاطي مع هذا الموضوع.

انتقلت إلى نيويورك في محاولة مني لإنهاء بعض الأمور العالقة - ديون لي وديون عليَّ - لم أقبض ما هو لي فلم أستطع أن أسدد ما

هو عليّ. مكثت فيها ثلاثة أسابيع، تابعت خلالها أخبار حرب الخليج الثانية، إذ كانت محطات التلفزة الأمريكية تنقل وقائعها بالدقائق والتفاصيل.

من الصعب أن أصف الشعور الذي انتابني حينه، تملكني قلق كبير تشوبه الحيرة وأنا أسمع تصريحات طارق عزيز وجيمس بيكر، وكافة مسؤولي قوى الحلفاء. كنت أهرب من شعوري بعبثية النظام العراقي لأقع في كيديَة دول التحالف، وعلى رأسهم أمريكا.

كنت أهرب من إحساسي ومعرفتي بما ستؤول إليه هذه الحرب، لأغرق في وهم ما أتمناه وأرجوه، مخالفاً كل حسابات العلم والمنطق. كنت متحمساً لشعبي في العراق، متألماً من أجله، كافراً بقيادته التي تخونه عن جهل أو سابق إصرار، لا أدري ما الذي سيسجله التاريخ بحق النظام العراقي. وكيف سيصدر حكمه، لكني أقول وأنا في راحة من ضميري، لو أن قائد النظام العراقي يملك بعض الجرأة التي ادعاها يوم أصر على الحرب، ويحمل في ذاته بعض الشهامة، لأقدم على الانتحار، محاسباً نفسه على الكارثة التي قاد شعبه إليها، طالما أن نظامه لا يسمح للشعب بأن يحاسبه أو حتى يسائله. لقد أدى صدام حسين دوره بنجاح في الحرب ضد العراق، لتدمير قوته العسكرية واقتصاده الواعد بالنهوض.

ليست مفارقة أن يخسر العراق الحرب ويربحها صدام حسين.

من أبشع المناظر التي ارتسمت في مخيلتي، وأثارت في نفسي الاشمئزاز، هي الصورة التي تناقلتها محطات التلفزة العالمية لصدام حسين وهو يطلق النار في الهواء ابتهاجا لسقوط جورج بوش في انتخابات الرئاسة الأمريكية، وكلما طفت هذه الصورة على سطح مخيلتي أشعر بحاجة ماسة للتقيؤ.

على الهامش

مع بدء الغارات الجوية لقوى الحلفاء على العراق وشعبه، رمتنا وسائل الإعلام الأميركية ب(فلاش) عن إنسانية النظام الأميركي، إذ ذكرت عبر شاشات التلفزة خبراً مفاده، أن الطوافات الأميركية نقلت عراقياً من منروفيا إلى فريتاون خلال الحرب الأهلية الليبيرية. لكنها لم تذكر أنها تقاضت 300$ دولار أميركي بدلاً لذلك. وهذه القيمة تعتبر ضعفي ثمن تذكرة السفر العادية في الأيام العادية.

خرجنا عن موضوعنا.

العودة إلى منروفيا

عدت إلى منروفيا عن طريق بنجول-كوناكري، دون أن تحقق زيارتي إلى نيويورك غير خيبات الأمل. التقيت في كوناكري كلاً من الرفقاء سامي حرب وصلاح حمود، فترافقنا إلى منروفيا في أواخر شباط 1991 . وما إن وطئت قدماي أرض المطار في منروفيا، حتى عاد كلام السيد س.ف وكافة الإشاعات إلى واجهة الأمور التي كانت تقلقني وتنغص عليّ حياتي، وتحرمني من صفاء الذهن الذي كنت بأمس الحاجة إليه للتركيز على إيجاد الحلول لمعاناتي من وضعي المالي السيّئ .

لذلك بدأت ترتسم في ذهني الوسيلة التي سأضع بها حداً لكل تلك الإشاعات والتهم، بعد أن باءت بالفشل كل الوسائل السلمية التي يفرضها المنطق. فكان لا بد من اللجوء إلى -الزند- مع عدم قناعتي بهذه الوسيلة، فالعقل لم يستنفد ذاته بعد، ولم يعط الفرصة لذلك. ولكن..مكره أخاك لا بطل. هذه هي المصيبة عندما تكون العلاقة مع جهلاء أو جبناء، أو جهلاء وجبناء في آن واحد.

..كان لا بد من القيام بعملية تأديب سريعة، وهذه قد ينتج عنها شيئان، إمّا أن يصمت مطلقو الإشاعات ومروجوها، خوفاً من أن يتحملوا مسؤولية أقوالهم، لأن بعض الناس تخاف على جلدها أكثر بكثير مما تخاف على كرامتها. وإما أن تفصح عما عندها من معلومات تستند إليها في إشاعاتها، فلا تبقى كرامة الغير عرضة للقيل والقال، وفي كلتا الحالتين ستكون النتيجة لمصلحتي.

كان من الطبيعي أن يقع اختياري على السيد س.ف لأن تهمته لي كانت محددة،(الزيت الذي سرق من عندي، بيع عند مصطفى الشيخ علي) من المفترض على صاحب تهمة محددة بهذا الشكل أن يكون مقتنعاً بها. والاقتناع يجب أن يستند إلى حقيقة ومعرفة، وليس إلى افتراض، لذلك اعتقدت.. خطأً.. بأن عملية تأديبية ستعيد السيد س.ف إلى رشده، أو أنها ستكسر عنده حاجز الخوف فينطق بالحقائق-المفترضة لديه فنعالج الالتباس الحاصل عنده.

لكن شيئاً من هذا لم يحصل، فقال السيد س.ف إنه لا يجرؤ على الكلام، كي لا يحل بغيره ما حل به. وبالنسبة له انتهى الأمر، إذ قال ما قال وحصد نتيجة قوله.

لم أكترث كثيراً بالذين تكلموا في العموميات، وأجادوها. فكلام العموميات لا نستطيع أن نأخذ منه حقاً أو باطلاً. وما أكثر كلام العموميات عند شعبنا.

انتشر خبر زيارتي-بدون دعوة- لبيت السيد س.ف، التي حصلت في اليوم التالي من عودتي إلى ليبيريا، هكذا عرفت الجالية كلها بعودتي. وبدأت الإشاعات تنحصر وتتراجع مع الوقت،لا أدري إن كان خوفاً، أم أن الأمور بدأت تظهر على حقيقتها.

ومع عودتي ابتدأت مرحلة جديدة، مرحلة ما بعد الحرب. وبدأ

اهتمامي بمعالجة وضعي المادي، هذا الوضع الذي تناسيته خلال الحرب. إذ كنت منهمكاً بالأوضاع الناتجة عن الحرب، من جهة، ولأنني لا أستطيع معالجة أزمتي أثناء الحرب، من جهة ثانية. فالحرب بالنسبة لأزمتي كانت مثل الإجازة، هربت خلالها من مواجهة ذلك المصطفى الذي يقطن في داخلي، وهو ملحاح لجوج يحمّلني دائماً مسؤولية أخطائي، ودفع الثمن، يطالبني، يحاسبني دون رحمة أو شفقة. لا يهدأ ولا يركن ولا يهادن، كأنه آلة برمجتها قدرة أقوى من قدرتي، يقلق راحتي ويفسد عليّ أحلامي.

لا أدري كيف تخلصت منه أثناء الحرب، وان لم يكن بالمطلق، وأغلب الظن هو الذي أخذ إجازة مني، لعلمه أني لست قادراً على فعل شيء في مثل هذه الظروف، ولعلمه أيضاً بأني لست انتهازياً يستثمر ويلات الناس ومصائبهم في خدمة مصالحه الخاصة. علماً أني دائماً أسمع من أعماقي صوتاً آخر يقول: ليتني لست هكذا، فالإنسان كلما حاول اكتشاف ذاته، تاه وضاع.

..نعم عاد هذا المصطفى يقرع طبوله من جديد، كأنه استفاق لتوّه، من كبوة غادرة. وراح يعزف، طارق سيبدأ جامعته قريباً، وهذه ستتطلّب مصاريف..قريباً سأبلغ الأربعين، ووضعك المالي اليوم أسوأ بكثير من وضعك قبل عشرين عاماً.. البيت ما زال مرهوناً للمصرف في بريطانيا.(نسيت أن أخبرك أنه عندما انقطعت أخباري عن عائلتي أثناء الحرب لعدم توفر وسائل الاتصال، ارتاحت زوجتي من مطالبة البنك لها، لاعتقادهم بأني قد أكون في عداد الأموات. وإن صح اعتقادهم ستدفع شركة التأمين قيمة الرهن، وينتهي الإشكال)..خاب ظنهم، فعاد البنك للمطالبة، ولكن بلهجة تحمل تهديداً ببيع البيت بالمزاد العلني.

كانت هذه المرحلة من أصعب مراحل حياتي، فوضعي المادي يساوي ثلاثمئة وخمسة وسبعين ألف دولار تحت الصفر، ولا أملك أي مبلغ يخوّلني البدء بعمل تجاري.

أما وضعي المعنوي الذي كنت أستلف على حسابه كلما دعت الحاجة، كان يعاني هو أيضاً من أزمة يصعب عليَّ وصفها أو تسميتها غير أني سأشرحها.

Prince Y. Johnson Consolidated School System
United Nations Drive, Bushrod Island
Monrovia, Liberia

April 11, 1991

Mr. Mustapha Ali
Monrovia, Liberia

Dear Mr. Mustapha,

Having observed your deepest concern in the well being of we the people of Liberia and that of humanity as a whole, I am gratified to state that such an attribute is highly respected.

In fortngoing, the administration of the Prince Y. Johnson Consolidated School System has unanimously selected you as one of its Board Members and also Treasurer.

In this respect, a high power representative from the administration would like to meet with you at your residence at 4:00 P.M., on Friday, 12th april, 1991. The purpose of this meeting is to acquaint you with all of our activities since the Saturday last program on the base.

Kindest regards.

Yours sincerely,

T. Dancher Barclay
Director General

TDB:jso

..إن الإشاعات التي عصفت باتجاهي، لم تنل مني شخصياً، لأني بقيت.. بالرغم منها، فخوراً بنفسي وبما أنجزت. لكنها نالت من كل ما هو حولي، أو على الأقل، هكذا شعرت..وما زلت. إنها نالت من الرأي العام بشكل جعلني أشعر بأن كل ما هو خارج نفسي تحول إلى رأي عام. فالفرق بين ما بثه أو صدقه الرأي العام عن الأموال التي جنيتها خلال الحرب. والواقع الذي أعيشه، كان كبيراً جداً، لا أستطيع أن أتكيف معه. فأي عمل أود القيام به يتطلب رأسمالاً أنا لا أملكه، وطلب أي قرض سيعتبر تطفلاً. فلم أجرؤ على القيام بمثل هذه المغامرة.

جلست أنتظر..لربما يدفع حب الفضول بأحد الأصدقاء ويسألني: ماذا تفعل؟ وماذا تشتغل؟ وبم تتاجر؟

..وطال جلوسي، تسعة أشهر، دون أن يسألني أحد، وهكذا تحوّل رفقائي وأصدقائي إلى رأي عام.

غير أن الناس فسرت جلوسي بدون عمل، أني غنيّ، فالذي يتربع على بضعة ملايين من الدولارات..من كان هذا شأنه، ليس بحاجةٍ الى العمل.

كثيراً ما كنت أهرب إلى الماضي القريب، حين كنت أتلاعب ببضع مئات من آلاف الدولارات، أسلف الأصدقاء بكل ثقة، وأستلف منهم بكل جرأة. ها أنا على الهاتف أطلب من أحدهم خمسين، ستين، أو سبعين أو مئة ألف دولار لبضعة أيام. فيهرع هو وموظفوه لتأمينها إلى مكتبي..وأنا صاحب الجميل.

أما اليوم، ولسببين أساسيين، أنا لا أجرؤ على طلب عشرة آلاف دولار من أحد، السبب الأول يتعلق بالرأي العام، إذ قد يفسر ذلك بأنها محاولة صبيانية لإخفاء الملايين التي جنيتها، أو حصلت عليها خلال الحرب، والثاني يتعلق بي شخصياً إذ لم أعد أتلاعب ببضعة

مئات من آلاف الدولارات، مما أفقدني صلابة الأرض التي كانت تمنحني القوة وأنا واقف عليها، كما فقدت المظلة التي كانت تحمي حقوق الغير من مغامرة تجارية خاسرة، وأنا واقف تحتها.

وأسوأ من هذا كله، هو شعوري بأني عارٍ أمام الناس، والكل ينظر إلى عورتي، على الرغم من ثوب الغنى الذي حاول الرأي العام أن يلبسني إياه.

Soldier of Fortune

إن لم يجد بعض الصحافيين حدثاً يكتبون عنه، فهم يخلقون الحدث الذي يريدون. فإن لم يجد بعضهم حرباً أهلية ليكتبوا عنها، فلا مانع لديهم من افتعال حرب، وإن زهقت بسببها أرواح آلاف الأبرياء. فضمير المهنة يبدو واسعاً جداً لبعض الصحافيين، والحاجة أم الاختراع.

إن مجلة Soldier of Fortune كتبت في عددها الصادر في آذار 1991 مقالاً عن برنس جونسون والحرب الأهلية الليبيرية، وعلى مدى ثماني صفحات أبدع كاتب المقال بقصص وروايات حاكها من وحي مخيلته، غير مكترثٍ بالعواقب التي قد تنتج عن مقاله ويكون ضحيتها أيّ إنسان.

من المفترض أن يكون للكلمة المكتوبة قيمتها وحرمتها أو صدقها وقدسيتها. ويجب أن تكون مسؤولة، لأن الرأي العام يأخذ بها دون أن يبذل جهداً في استقصاء حقيقتها.

لقد ذكر صاحب المقال: أن برنس جونسون لم يكن يعلم أن مصطفى (أنا) كان يقبض بالعملة الصعبة (الدولار الأميركي) ويدفع له بالعملة المحلية التي لا قيمة لها. والكاتب يقصد ضريبة برنس التي تكلمنا عنها.

being civilians killed by Taylor's men some weeks before. The plan was to wait for the 1st Battalion Nigerian Airborne to link up with them.

Back at base, Prince was going over finances with his Lebanese "tax collector," Mustaffa, and his shrew of a German wife. They had convinced Prince that as he was now Monrovia's ruler, he could tax the profiting Lebanese merchants to finance his revolution. Mustaffa would turn up regularly with suitcases full of worthless Liberian dollars. What Prince didn't seem to realize was that all transactions were being made in Uncle Sam's bucks, not Liberian.

I Stand for Democracy

ماذا لو صدق برنس هذا الخبر. هل فكر الكاتب في العاقبة؟ وهل كان يهمه إن قتل شخص أو أشخاص بسبب مقاله هذا؟؟

لو قبلت بالإشاعات وعملت على أساسها لكان وضعي أفضل بكثير مما هو عليه، لأن الناس-عفواً- الرأي العام يخضع لسطوة المال، دون أن يهمه الوسيلة التي جمع بها.

..لو قبلت كرامتي بالإشاعات، لتجمّع حولي بعض المعجبين بمالي وقدرتي وأرائي (فرأي الثري دائما مصيب) كما انفتحت أمامي آفاق وعلاقات جديدة، وجالست..بل وعاشرت الأغنياء..بمالهم، مستثمراً كل هذا في سبيل مصلحتي الخاصة..لكان السيد س.ف من أعز أصدقائي وأقربهم مودة.

في نيويورك، أذكر كيف استقبلني السيد Sigmund Rolat، كالفاتحين الكبار، فأدركت أن الإشاعات وصلت إليه قبلي، وكنت

مديوناً له، إذ كان يمولني قبل الحرب، وكيف راح يعبِّر عن غبطته وسروره إذ بلغ مسامعه أني (قبرت الفقر). وجدت لذة بالإصغاء إلى صدق كلامه، ونبل مشاعره نحوي، وكيف أنه كان دائماً يتنبأ لي بجمع ثروة هائلة. ليتني كنت أستطيع أن أتركه إلى قناعته، لربما فعلت، لو لم أكن مديوناً له. قلت له ثلاث كلمات (هذا .غير. صحيح) كانت كافية لإقناعه هو، ولإسقاط ورقة التين عن جسدي أنا. ففي الحالات الطبيعية كان يفترض بي إقناعه بوضعي المادي الجيد والمستقر..لأنه مُموِّلي. أما في الحالات الشاذة فيضطرّ الإنسان لفضح أسراره، من أجل الدفاع عن نفسه..فينتحر.

كما أني أذكر أن لهجته تغيرت، وكذلك تعابيره وملامحه، لا أدري إن كان سبب هذا التغير مؤاساة أم شماتة. لكني شعرت بالخجل يعتريني بعد أن سقطت أقنعتي وخلت جيوبي من مال كنت أصلاً أملكه، وهذا المموِّل الصديق كان يملك بعضه. ولأول مرة منذ بدء الإشاعات وجدت نفسي أمام رجل يتحسس فعلاً صدق كلامي، فبانت حقيقتي بأني منكوب حرب لا ثري حرب. أوليس للحقيقة رجلان، واحد يقولها وآخر يفهمها.

..ومما لا أنساه أيضاً في نيويورك. أن نسيباً لي وصلته الإشاعات، فسألني عن بعض التفاصيل، وأجبته على مدى ثلاث ساعات أو أكثر. وبعد ثلاث دقائق من الصمت، سألني أن أسلفه عشرين ألف دولار..صدقوني.

أقول- وليس من باب الندم- أني لم أشعر يوماً بحاجتي للمال، لأنه كان يذهب مثلما يأتي، بكثرة وبسرعة. منذ صغري تعلمت تحصيله وصرفه. وكان دائماً متوفراً معي فلم أتعلم الشعور بالحاجة إليه، علماً أني من عائلة فقيرة مادياً.

قصتي مع المال

نشأت في عائلة تتألف من الوالدة وأربعة إخوة وشقيق وشقيقة ، كنت أصغرهم سناً. ترافقت نشأتي مع تحسن تدريجيّ في وضعنا المادي (من فقر غير معقول إلى فقر معقول) وكان ذلك ثمرة جهود أخي أحمد وهو الثالث بين إخوتي.

كنت في العاشرة من عمري، عندما وضعتني إدارة مدرسة التربية الحديثة (برج حمود) لصاحبها المرحوم حسن سبيتي خارج الصف. وأرسلتني إلى البيت مرفقاً بورقة تطالب وليّ أمري بتسديد 6 ليرات لبنانية بدل شهرين، وإلا فلن أعود إلى صفي. حملت الورقة إلى محل أخي أحمد وهو لوالدتي من زوجها الأول والمتوفى، إذ كان وليّ أمري بسبب انفصال أمي وأبي. ناولته الورقة، فنظر إليها ثم وضعها جانبا دون أن يبدي كبير اهتمامه للأمر، فهي لم تكن الأولى من نوعها.

جلست أراقب حركاته وهو مشغول عني مع بعض زبائنه، لعله يدخل يده في جيبه أو درجه ويناولني الليرات الست..كعادته، لكنه لم يفعل، وطال انتظاري مما حدا بي لتذكيره، وبعد أن نظر إليّ مطولاً قال: سأصرف عليك بقدر ما صرف والدي عليّ. فجلست أنتظر من جديد لأعرف كم صرف والده عليه. لكنه تجاهلني كلياً .

بدأت الدنيا تنهار من حولي، فأنا لا أعرف غيره ولياً لأمري، تركت المحل مودعاً إياه بدموع تتدحرج على وجنتيّ، دون أن يأبه بها، فالأمر بات محسوماً بالنسبة إليه.

قصدت البيت لأشكو أمري..وأمره إلى الوالدة. فسألتها، كم صرف والد أخي أحمد عليه في صغره. فأجابت: ..يا حسرتي كان له من العمر سنة واحدة عندما توفي والده.

فأيقنت عظمة المصيبة التي حلت بي.

تعجبت والدتي لأمر أخي أحمد، فهو ليس بعاجز عن تسديد ست ليرات، لكنها اشتمّت أن في الأمر عقاباً لي على ذنب اقترفته. انتظرتْ عودته في الثامنة مساءً، لتسأله عن سبب معاقبتي، فقال لها كي ترسلني إلى الصالون حيث يريد مكالمتي، فتوسمت خيراً، ودخلت غرفتي بوجهها الحنون البشوش وطلبت إليّ أن أسمع كلامه ونصائحه، وأن أوافقه في كل ما يقول، فهو لا يعاقبني إلا لما فيه مصلحتي. قلت: لكني لم أقترف ذنباً يا أمي، فقالت: مش مهم.

وقفت أمامه في الصالون كجندي يمتثل أمام ضابطه..وراح يسألني.

– ماذا قررت أن تفعل؟

– أريد أن أفتش عن عمل.

– وماذا ستفعل بشأن دراستك؟

– ..ولكني لا أملك مالاً للدراسة.

– وماذا لو حصلت على العمل والمدرسة في آن واحد؟

– أكون سعيداً جداً.. ولكن.. كيف؟

– تذهب إلى المدرسة، وتعمل عندي بعد انتهاء دوام المدرسة، أي من الساعة الرابعة حتى الثامنة مساءً، وكل أيام العطل المدرسية، مقابل 5 ليرات في الأسبوع..موافق؟

– نعم، موافق، ولكن متى سأعود إلى المدرسة؟

– غداً، لأني سأسلفك الليرات الست، على أن تحسم من راتبك ثلاث ليرات في الأسبوع.. موافق؟

– ..كدت أطير فرحاً، نعم..موافق.

– ولكن ستكون مسؤولاً عن دفع أقساطك المدرسية وكل مستلزمات المدرسة، من كتب ودفاتر وأدوات قرطاسية..الخ.

– موافق

– وستكون مسؤولاً عن شراء ملابسك.

– موافق

– وستحجب عنك كل أنواع المصاريف.

– موافق

.. وهكذا بدأت حياتي العملية.

ولما بلغت سنّ الحادية عشرة، ناداني أخي ومعلمي أحمد وأفهمني بأني كبرت سنة، مما يفرض عليّ حقوقاً وواجبات إضافية، فلم أفهم قصده، فأردف أنه سيرفع راتبي إلى سبع ليرات في الأسبوع بدل الخمسة. وعليّ أن أبذل جهداً يتساوى مع هذا الأمر. فشعرت فوراً بأني كبرت سنة في إثر زيادة راتبي.

واندفعت أبذل جهداً ونشاطاً على كل المستويات، فتحسنت علاقتي المدرسية وارتفعت معنوياتي بالتعاطي مع كل الأمور، ثم راح أخي علي يعلمني تفصيل وخياطة البنطلون. فتأبطت (مازورة) رافقتني إلى المدرسة، لأصبح في ما بعد خياط المدرسة.

ولما بلغت الثالثة عشرة، طردني أخي أحمد من محله، وطلب إليّ أن أبحث عن عمل في مكان آخر، كما أنه منعني من استعمال مكناته وآلاته. لم أفهم قصده إلا بعد حين.

قصدت خياطي منطقة برج حمود/ سن الفيل كلها، وعملت عندهم جميعاً، إذ لم أستقر أكثر من أسبوع عند واحد منهم إلا وينتهي أمرنا للخلاف.. إن لم أقل الشتائم. فأدركت أن كل الناس

ليسوا أخي أحمد، وعليّ أن أخفف من شراستي وأقبل بالأمر الواقع وأتعاطى مع الآخر بإيجابية تضمن بقائي في عملي. وهذا ما أراده لي أخي أحمد في أصول التعاطي.

في صيف 1966 عملت في معمل جابري وشركاه لتصنيع البلاستيك. بدأت أسبوعي الأول، كعامل تنظيفات بمعاش18 ليرة في الأسبوع، وكان دوام العمل من السابعة والنصف صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر، لاحظت أن غيري من الموظفين لا يتركون العمل في دوامه المحدد. سألت أحدهم عن السبب، فشرح لي أنه يعمل وقتاً إضافياً over time وذلك لغاية السابعة والنصف مساءً، فيتقاضى يومه يومين. وقبل أن ينهي كلامه، قصدت أبا نضال مدير المعمل وشرحت له ما معناه أني كنت مغبوناً، إذ لم يخبرني أحد عن الوقت الإضافي هذا. ابتسم أبو نضال وقال: لك أن تعود إلى عملك إن كنت تود ذلك، فعدت، وتقاضيت 36 ليرة في نهاية الأسبوع.

لم يرق لي عمل التنظيفات فطلبت إلى أبي نضال أن يسلمني وظيفة أخرى. وافق على رغبتي وإلحاحي، وسلمني أسهل المكنات (مكنة الحقن) وكانت تنتج صحوناً بلاستيكية.

في آخر الأسبوع طالبت بزيادة راتبي، طبعاً، فالذي يعمل على مكنة هو غير الذي يعمل في التنظيفات..على حد قولي.

وبعد الأخذ والرد، ارتفع راتبي إلى 42,50 ليرة لبنانية في الأسبوع.

في الأسبوع الثالث، طلبت نقلي إلى مكنة أخرى، هرباً من مكنة الحقن التي سئمتها ومللت وجودها في زاوية موحشة من المعمل، معزولاً عن باقي الموظفين محروماً من أنسهم مع أني كنت أصغرهم سناً، فأشعر فعلاً أن نهاري أصبح نهارين.

..وافق أبو نضال على نقلي إلى مكنة (السحب) وكانت تنتج الأنابيب، وهذه تتطلب الدقة في التعامل مع إنتاجها، إذ لا يجوز شد الأنبوب وهو ساخن أكثر مما يجب، فينقطع، أو الضغط عليه فتسد فتحته ويلتصق. نفذت الإرشادات بحذافيرها، ومنها أن أقص الأنبوب كلما أعلن العداد عن اثنين وخمسين متراً.

وبعد يومين فقط من العمل على هذه المكنة رحت أتساءل: لماذا 52 متر؟ وليس 50 أو 60 ؟ وأتاني الجواب إنهم يبيعونه 50 متراً، لكنهم يسلمونه 52 متراً. كي يتركوا هامشاً لبائع المفرَق-زودة البياع- فرحت أحسب عدد الأمتار (المهدورة) على عدد الأنابيب المنتجة، فاستعظمت الأمر لهول النتيجة. فأخذت على عاتقي أن أقصه على بعد سنتيمترات من الخمسين متراً.

نسيت أن أذكر أن مكنة (السحب) تقع على مقربة من المرحاض. ولا أستطيع أن أنسى روائحها تعصف بأنفي كلما هبت نسمات شمالية، لكني كنت مستأنساً بروّادها، نتجاذب أطراف الحديث، أو السلام المقتضب. خاصة إن كانوا من الجنس اللطيف، علماً أني كنت..وما زلت متأدباً وخجولاً مع الجنس الآخر. كثيراً ما كنت أسترق النظر إليهن في ذهابهن وإيابهن للتمتع بإبداع الخالق في تكوين المرأة.

وذات يوم، وقف أبو نضال يحادثني وهو يمسك بيديه خلف ظهره ويهز رجليه (عادة يمارسها كلما وقف يحادث أحداً) وأنا منهمك بقص أنبوب بحذر كي لا أسد فتحته. وبينما كنت أضعه جانباً لأبدأ بلف آخر، تنبه أبو نضال إلى العداد فقرأ 50,5 متراً. فشهق وعلا صراخه معلناً أني ارتكبت خطأً. ولما أكدت له أن ليس في الأمر من خطأ، صعق وعلا صراخه مؤنباً، ولما أوضحت له أني أقوم بذلك منذ أسبوع..كاد يغمي عليه.

نقلت على أثرها إلى مكنة الفرم، واعتبرت هذه النقلة - عقوبة- لأن صوتها يتعدى الأذنين إلى الدماغ الذي يصدر أوامره إلى الأعصاب، فتضطرب هذه وتأبى الإذعان. فينتقل صوت المكنة وقرقعتها إلى جسدي فأشعر بأن شفراتها تعمل في أمعائي، فالعمل على هذه المكنة يعتبر تضحية. مع صغر حجمها، صوتها أقوى من محركات طائرة في حالة إقلاع.

لأتخلص من الفرامة تلك، رحت أتظاهر بالصمم، فأجعلهم يعيدون كلامهم عدة مرات بحجة أني لا أسمع، فاكتسبتها عادة ترافقني حتى اليوم.

أعادوني إلى وظيفة التنظيفات، فاعتبرتها فترة نقاهة. ثم سلموني مكنة (النفخ) في ما بعد وهذه تنتج كل الأشكال المنتفخة، بواسطة إبرة تضغط الهواء داخل معجون البلاستيك فيأخذ شكل القالب الذي هو فيه. وهذه المكنة تعتبر أضخم المكنات في معمل..نا وأهمها. يديرها شخص واحد يساعده حوالي الأربعة أشخاص، غالباً من الجنس اللطيف. كنت أنا هذا الشخص الواحد، وكانت مهمة النساء الأربع توضيب الإنتاج بعد استئصال الأحرف الزائدة بواسطة سكاكين يدوية، غير أن استئصال الزوائد هذه، مسألة أسهل، وبدون سكاكين إذا كان الإنتاج ما زال ساخناً. فرحت أدرب أقدامي على تشغيل المكنة بضغط أزرارها، حتى تتفرغ يداي لخلع الزوائد. كان أبو نضال يراقب التطورات، مسجلاً انطباعاته بهز رأسه..ورجليه معاً.

ولما استتب الأمر، وأصبح باستطاعتي التخلي عن ثلاثة موظفين، تعوّذ أبو نضال من الشيطان، وراح يحضر نفسه لمعركة السبت القادم (يوم دفع الرواتب)، إذ نادراً ما مر سبت دون أن أطالب بزيادة راتبي لسبب أو لآخر. فكيف بالسبت القادم وأنا أملك سبباً وجيهاً لذلك.

..جاء السبت، وكانت المعركة المنتظرة حامية ، فهو يصر على عدم الزيادة، وأنا أصر على أني وفرت عليه ثلاثة موظفين ويحق لي نصف رواتبهم على الأقل. لشعوري بعدالة مطلبي كنت عنيداً في موقفي، فلم أصغ إلى كل شروحاته التي اعتبرتها واهية. إلى أن صرخ بوجهي وقال بلهجته الشامية (لك ابني شو بتريدني طردهن من وظائفهنَ حتى أعطيك نص معاشتهن) .. فلم أنبس ببنت شفة، بل غرقت في صمت عميق، إذ تحسست ولأول مرة في حياتي فعل الوجدان أو الضمير، لمس أبو نضال علامات التراجع في موقفي، ووجهي الذي كان يفصح عن صمتي. فأدرك أنه أصابني إصابة قاتلة. كان قد ارتفع راتبي وأصبح في حدود الستين ليرة أسبوعياً.

استمررت في هذا المعمل حتى موعد افتتاح المدارس، وكان راتبي قد ارتفع إلى حدود الستين ليرة أسبوعياً. أبلغت أبا نضال بعزمي على العودة إلى المدرسة، وأني سأترك العمل يوم الخميس القادم، لأبدأ استعدادي لدخول المدرسة يوم الإثنين الذي يليه.

وبعد أن أنهيت عمل يوم الخميس، طلب إليّ أن أعود يوم السبت لأتقاضى أجرة الأيام الأربعة. قبلت ممتعضاً من ديكتاتورية كبار السن يمارسونها على صغاره. فلماذا لا يدفع لي اليوم وينتهي الأمر؟

لا يستطيع الإنسان أن يكشف ذاته، مهما بلغ من العلم والمعرفة، فإياك أن تقول إنك تفهم نفسك أو تفهم غيرك. فالذات البشرية هي مثل الطبيعة والكون والحياة، لا يستوعبها إلا من استوعب أسرار الحياة كلها. فمن منا يستطيع أن يدّعي هذه المعرفة. نحن دائماً نتلمس المعرفة، ونكتشف أجزاءً من نواحي معيَّنة، فالثوابت التي ندعيها ما هي سوى حدود زمنية مؤقتة لمعرفتنا الزمنية المؤقتة لجزء واحد من ناحية واحدة للحياة التي لا حدود لها.

الثابت الوحيد هو أن الحياة حركة دائمة، تتغير وتتبدل، تؤثر في الإنسان فيتطور، لكنه لا يستطيع مواكبتها لأنه يتحرك بدافع الحاجة والضرورة فقط، ثم تتراخى عزيمته حينما يحصل على ما يبتغيه.

من منا يستطيع أن يتصور إنجازاته لو أنه استغل كل قواه المادية والروحية من طاقة وقدرة وجهد. فنحن نجهل قيمة هذه القوى وقدرها، فكيف نستطيع أن نقيِّم فعلها.

المجتمعات مثل الأفراد، تتمايز قواها، الفاعل منه والمعطل. نحن نتعاطى مع تجارب الحاضر بالخبرة التي اكتسبناها من تجارب الماضي ونأنس له، لأنه لا يلقي على عاتقنا مسؤولية التفكير في الحاضر، ولا يخيفنا أو يقلقنا مثل المستقبل المجهول.

إن جعنا، شعرنا بحاجة للطعام، وان لم نجده شعرنا بحاجة لإيجاده. كذلك شعورنا بعبء المسؤوليات هو حاجتنا لإيجاد الحلول، وشعورنا بالقلق هو حاجتنا لإيجاد الطمأنينة. فالإنسان يتكيف مع حاجاته بجهد يبذله لبلوغها، أو بجهد لا يبذله للتهرب منها.

الطفل النامي لا يلجأ إلى خبرته في تقييم أموره أو معالجتها. إذن هو لا يملك رادعاً يمنعه من المغامرة والدخول في تجارب جديدة. ولا يملك ماضياً يهرب إليه، بل هو يملك أحلاماً مستقبلية وحسّاً يتبعه في جميع تصرفاته.

فالذي يفقد حب المغامرة كالذي يفقد قدميه في منتصف طريق طويل.

ألم نشعر أحياناً بأن إحساسنا يدفعنا إلى مغامرة جديدة، والخوف يثنينا دائماً عنها. ما هو الخوف؟ أليس هو شعوراً مكتسباً من تجربة فاشلة؟ قد ننسى تجاربنا الفاشلة، أو نتناساها، لكننا لا نستطيع أن نقتلع الخوف الذي نمته في مشاعرنا.

نعم. خرجنا عن الموضوع. ولكن لا بد من كلمة أخيرة في هذا الصدد. ففي تلك الفترة من عمري، كنت منفتحاً على الحياة، يقودني إليها إحساسي بها، أتعاطى معها بثقة تلقائية بالنفس، ليس في الدنيا من هو أرفع شأناً مني..وليس فيها من هو أدنى، فالطفولة بريئة من كل هذه التعقيدات والحواجز، وهذه نتعلمها على كبر، هذه تكبل العقل إن لم تشلّه، وتقضي على شهيته في نهل المعرفة.

..عدت يوم السبت لأتقاضى بدل الأربعة أيام، وبعد أن فرغ أبو نضال من دفع رواتب جميع الموظفين في الطابق السفلي من المعمل. تأبط دفاتره وطلب اليّ اللحاق به إلى الطابق العلوي حيث المكتب، ففعلت. دخلنا مكتبه، فجلس خلفه بعد أن ضغط زراً كهربائياً وراء الباب، سمعت على أثرها هديراً ناعماً في الحائط، فإذ بمكنة صغيرة معلقة في الحائط تنفخ هواءً بارداً. أيقنت أنه مكيف هواء، لطالما سمعت به، واليوم تعارفنا. كان أبو نضال منهمكاً في دفاتره، يحسب ويحسب، تعجبت لأمره، أهو يحسب أجرة أربعة أيام، أم ودائع بنك أنترا عن أربع سنوات خلت. وبعد انتظار طويل انخفضت معه حرارة المكتب وارتفعت حرارتي. دفع إليّ بدفتر لأوقع بجانب رقم يشير إلى قيمة ما تساويه أيامي الأربعة. ثم دفع بدفتر آخر وطلب إليّ التوقيع بجانب رقم يساوي تقريباً نصف ما تقاضيته خلال فصل الصيف كله. ذهلت وسقط القلم من يدي، ثم خُيّل إليّ أن في الأمر نوعاً من الشفقة أو العطف. شعرت بالإهانة وثارت في نفسي نقمة كالإعصار، تمنيت حينها لو كان من جيلي أو كنت من جيله، لضربته أو شتمته أو الاثنين معاً.

ارتميت على الكرسي وانفجرت باكياً وأنا أخفي وجهي بين يديّ. سمعت أبا نضال يقول بصوت مرتبك: ليس في الأمر ما تعتقده يا بني، وليس هذا المال بحسنة أقدمها لك. فأنا مثلك موظف في هذه

الشركة، أقوم بتنفيذ تعليمات أصحاب المعمل لا أكثر ولا أقل. ثم صمت برهة وتابع: هذه حصتك من الأرباح المقدرة من حسابات السنة الماضية. عليك أن تفهم يا بنيّ أن الموظفين هم شركاء فعليون في عملية الإنتاج، ولهم نصيبهم من الأرباح.. فقاطعته قائلاً: لكننا نتقاضى ثمن أتعابنا. فأجاب: ليست رواتبنا سوى رأسمالنا، لأنها قيمة الجهد الذي نبذله، ولو لم يتفاعل هذا الجهد (رأسمالنا) مع مال أصحاب المعمل (رأسمالهم) من أين ستأتي الأرباح، التي هي فائض رأسمالنا ورأسمالهم.

كان لكلامه هذا وقع جميل في نفسي وعقلي وقلبي. فوقفت معتذراً وأنا أمسح دموعي، فاستطرد قائلاً: كان بإمكاني أن أهمل مسألة أرباحك هذه، لكونك غير مستقر في هذه الشركة، واسمك غير مدون رسمياً بسجل الموظفين. لكن الجهد الذي بذلته خلال فترة عملك كان كبيراً بحيث لا أستطيع تجاهله. وأكمل، لو كان لدي عشرة موظفين مثلك، لكان باستطاعتي التخلي عن الأربعين موظفاً. علقت جملته الأخيرة وساماً على صدري، ما زلت أحمله حتى اليوم.

خرجت من مكتبه دون أن تلامس قدماي الأرض، إذ كنت أعوم في نشوة من المديح والفرح.

ما زالت ذاكرتي تحتفظ بهذا الانتصار وكثيراً ما يرفع من معنوياتي في ساعات الشدة.

هكذا ترافقت حياتي العملية مع حياتي المدرسية، وتعلمت تحصيل المال مع تحصيل العلم، دون أن أغرق بالفائض من المال، لأني أنفقته في تمويل مشاريع حضور حفلات السينما، واستئجار الدرّاجات، وشراء سندويشات الفلافل والشاورما لرفاق المدرسة.

فالحياة إن تهبك أشياء تأخذ منك أشياء.

اكتسبت من تجاربي ثقة كبيرة بالنفس، فكثرت قفزاتي بالهواء، وسواء هبطت واقفاً أو واقعاً سأتدبر أمري، لكنني، بالمقابل، افتقدت طفولتي فلم أعش عبث الطفولة وبراءتها، لهوها ومرحها وشقاءها، هذه حلقتي المفقودة.

هكذا بدأت قصتي مع المال الذي عرفته وعرفني، حذقت كسبه وصرفه-ولا أقول تبذيره- لكنني لم أتعلم تخزينه والاحتفاظ به. فالإنسان يحتفظ بالأشياء من خوفه على حاجتها، ولا يتعلم خوفه من الحاجة، إلا بعد حاجة.مع طفري في بعض الأحيان، وضيقتي المادية في أحيانٍ أخرى، لم أشعر يوماً أني في عوز أو حاجة. وهذا ما وضعني-في نظر الناس- في مستوى مادي أكبر بكثير مما أنا فيه. طبعاً لم يضرّني هذا الاعتقاد الخاطئ بشيء، إلا عندما أقول لأحدهم أني أمر في ضائقة مادية..ولا يصدقني.

ولسبب لا أدريه، كلما زاد إنتاجي، زادت معه نفقاتي وسائر التزاماتي المادية. لعل هذه الالتزامات، ذاتها، كانت حافزاً يدفع للإنتاج. والمحرض الذي استجابت له نفسي، لتحصيل ضعف ما أنفق، فضلاً عن أن أهدر وقتي بالتندم على ما أنفقته، بل لأستنفر قواي في تحصيل أضعافه.

..علماً بأن الكثير من هذه الالتزامات ما كان ضرورياً، بل كان تماشياً مع أسلوب ونمط حياة أتبعه منذ أيام المدرسة.

وهنا أذكر حادثاً حصل في بداية الحرب اللبيبرية، حين بدأت المؤن تنفد من خزائننا، وأخصها الرزّ الذي كان يعوضنا نحن اللبنانيين عن الخبز. بينما هو الغذاء الأساسي للشعب الليبيري، وكانت الحفنة منه تقايض ببراد مسروق أو تلفزيون ملّون. كان عندي منه ثلاثة أكياس، يزن مجموعها 150 كلغ، وكان ذلك في أوائل تموز 1990.

قصدني جاري السيد م.ن يطلب بعض الرز له ولزوجته، فملأت له كيساً، شكرني وخرج. التقاه السيد سامي الجمل على البوابة، الذي راعه أن يرى كيس الرزّ بيد السيد م.ن، فأسرع إليَ يؤنبني على فعلتي وهو يبصق كلامه بسرعة ألف كلمة في الثانية، ويتهمني بالغباوة لأن السيد م.ن أخذ الرزّ لكلابه وليس له كما ادعى. لأنه يملك منه الأفضل نوعية ما يكفيه وزوجته أكثر من سنة. وراح سامي يتهمني بالتصرف بما هو ليس ملكي، فالرزّ الذي بحوزتي هو ملك عام لسكان مجمع أنترا، وسيحتاجونه إذا ما طال عمر الحرب. واتهمني بالتبذير إذ لا يجوز-على حد قوله- الكرم في مثل هذا الوقت.

بعيد رحيل السيد سامي، جلست إلى نفسي أفكر في ما قاله كل منهما، وهما يعرف كل منهما الآخر أكثر مما أعرف أنا أحدهما.. من منهما الصادق؟؟؟ وماذا لو حجبت الرز عن السيد م.ن وهو ينطق بالصدق؟؟؟ وماذا لو أتاني ثانية يطلب مما عندي؟ هل أعطيه؟ أم أرده خائباً؟؟؟ وهو لم يكن أول من طلب رزاً وأعطيته في تلك الفترة. إذ شارف الكيس الأول على نهايته، وهل أقول لأحدهم (ليس عندي) بينما أنا ما زلت متربعاً على ما يزيد عن مئة كلغ. وهكذا ركنت إلى قناعتي، بأنه وبأسوأ الأحوال أن يكونوا هم الكذابين وليس أنا.

انتابتني كل هذه الخواطر وأنا جالس أفكر في الصواب والخطأ. إذ ليس في الدنيا ما هو أسوأ من أن تكون مرتاح الضمير لعمل خير قمت به، فيأتي من يقول لك إنك زرعت الخير في غير موضعه. فهؤلاء لا يقومون بعمل الخير إلا إذا كان استثماراً، فيزرعونه حيث هم راغبون في حصده.

بعد كل هذه الخواطر، ركنت إلى القرار الذي يجعلني في راحة

من ضميري ومنسجماً مع ذاتي ونمط حياتي.

مع انتهاء شهر تموز كان قد وصل برنس إلى منروفيا وتعرفت إليه، ثم أعطاني ما يزيد عن سبعمئة كيس رز كي أبيعها له.

هكذا تعاملت مع المال في أيام السلم، كما تعاملت مع الرزّ في أيام الحرب.

ولأن حديثاً يجر آخر لا بد من ذكر حادثة أخرى حدثت قبيل الحرب بقليل.

بعد أن بلغت أزمتي المادية حدتها .. وجديتها .. تبين أن المدعو ي . ن يختلق الأكاذيب للتهرب من مستحقاتي لديه وليست مسألة وقت وأزمة عابرة كما كان يدّعي منذ بضعة أشهر. كنت جالساً في مكتبي والرفيق جورج فزع نفتش عن وسيلة نتدبر بها مبلغ ألفي دولار ولو لبضعة أيام، وكنا نستعرض من له بذمتنا كي نتجنبه، ومن ليس له كي نطرق بابه. إذ ومع انتكاستي الكبرى ما زلت قادراً على الاستلاف لحساب سمعتي. كما أني ما زلت قادراً على اللهو والمرح وكأن المفلس هو شخص آخر وليس أنا. تذكرت أن لدي ثلاثمئة دولار كنت قد قبضتها منذ أكثر من سنة، ورميتها خلف الخزنه لكونها قطعاً صغيرة من فئة الربع دولار بكيس من القماش. وضعتها فوق المكتب بإصبعين فقط لكثافة طبقة الغبار التي تعلو الكيس، وقلت للرفيق جورج ممازحاً: ها لقد خففت عليك المهمة وأصبحنا بحاجة لألف وسبعمئة دولار بدلاً من ألفين. في هذه الأثناء ظهرت فجأة بباب المكتب امرأة عربية، لم ننتبه لدخولها لأن الموظفين كانوا قد غادروا المكتب كعادتهم في كل سبت بعد الظهر وسألت عن مصطفى الشيخ علي. قلت : نعم قالت: أريد مكالمتك..إن سمحت .

تطوع الرفيق جورج بالخروج.. فسألته أن يبقى وخرجت معها إلى

صالة الانتظار. روت لي قصة مفادها أنها من الكيان الشامي اقترنت برجل لبناني منذ خمس سنوات، رزقت منه بولدين.. ثم هجرها منذ بضعة أشهر ذهب إلى فريتاون ولم يعد. وعليها أن تعيل ولديها. واليوم حضرموظف من شركة الكهرباء وقطع عنها التيار الكهربائي حتى تسدد فاتورتها البالغة ثلاثمئة دولار .

كان بودي أن أضحك لتشابه المبلغ الموجود مع المبلغ الذي تطلبه. لكن حزنها وبؤسها منعاني من ذلك. قلت: سأعطيك المبلغ.. ولكن قولي لي ما الذي دفع بك إليَّ ونحن لسنا على معرفة مسبقة.؟ أجابت: أتيت بدافع نصيحة شخص يعرفك.

دخلت المكتب وناولتها الكيس معتذراً عن وضعه وشكله. ثم دخلت المكتب ثانية وجلست بصمت، وكان الرفيق جورج يراقبني. وقال: الآن يلزمنا ألفا دولار مجدداً أليس كذلك.؟

قلت: نعم قال:

متى ستغير نمط حياتك وتدرك أنك في عُسر.؟

قلت: أنا مدرك ذلك تماماً، ولكن المطلوب أن يدركوا هم أولاً. ثم وإن قلت لها لا أقدر على مساعدتها، هل كانت ستصدقني.؟ ومن ثم ما هو الفرق بين أن أكون مديوناً بأربعمئة ألف دولار وأربعمئة ألف وثلاثمئة دولار.؟ لكن بالنسبة لها حلت مشكلتها.

وبعد مرور نحو العام على هذه الحادثة كنت في مطعم أنتظر قدوم شخصين قد دعوتهما إلى العشاء. فإذ بسيدة على قدر من الجمال والأناقة تقترب مني وتلقي التحية وكأنها تعرفني من قبل. نظرت إلي وقالت: ألا تذكرني.؟

فقلت لها مبتسماً: يؤسفني أن لا أتذكر جمالاً مثل هذا.

قالت: قصدتك منذ سنة لتساعدني بثلاثمئة دولار. قلت: نعم إني أذكر قصة الثلاثمئة دولار جيداً، لكن يؤسفني جداً إني لا أتذكرك.

قالت: أعرف جيداً أنك لن تنسى قصة الثلاثمئة دولار. أتسمح لي بأن أقول لك لماذا لن تنساها.

فابتسمت لها وقلت : تفضلي.

قالت: لأنك لم تكن تملك غيرها.

طبعاً أخذتني الدهشة ولكني سالتها: وما أدراك أني لم أكن أملك غيرها.؟

فقالت: عندما أخذتها منك، سألني صديق كيف تدبرت أمرك،؟ فرويت له ما جرى فقال وهو يعرفك جيداً: كيف يساعدك مصطفى الشيخ علي وهو مفلس.؟ فأدركت حينها أني قسوت عليك. قلت: بربك قولي لي: لو فعلاً قلت لك آنذاك أني لا أقدر على مساعدتك، هل كنت فعلاً تصدقينني.؟

قالت: طبعاً لا.!

فضحكنا معاً ضحكاً طويلاً.

* * *

نحن نرسم من قناعاتنا حدوداً نعيش ضمنها، ومهما حاولنا تخطيها، نبقى دائماً على مقربة منها. نخترقها في لحظات فوراتنا العاطفية، ثم لا نلبث أن نعود إليها عندما نهدأ. أما الذين يخترقونها بالمطلق فيمسون مجانين أو عباقرة.

من قناعاتي الثابتة أن لا أدفع أكثر من 30 دولاراً ثمناً لقميص أرتديه. بينما أنا أدفع أكثر من هذا بكثير ثمناً لقميص أهديه. لعمري

ما أنفقت أكثر من عشرة دولارات ثمن ولاعة سجائر. بينما أنا أشتري ولاعة من ذهب هدية لصديق. وهكذا دواليك في كل ما يعنيني من حاجات.

غير أني ذات يوم كنت في نيويورك وأعاني الكثير من الضغوط النفسية والمادية، وأشعر بأني على حافة انهيار عصبي، وما زاد في الطين بلّة أني كنت على موعد هام في صبيحة اليوم التالي، سأحتاج فيه إلى كل معنوياتي وصفائي الذهني. نزلت من غرفتي في فندق أديسون ثم رحت أطوف في شوارع المدينة، كمن يبحث عن لاشيء. كانت خطواتي انعكاساً لتفكيري، سريعة أحياناً وبطيئة أحياناً أخرى. أقف أمام واجهات المحلات، أستعرض محتوياتها، إلى أن لفت نظري حذاء في إحدى الواجهات وثمنه 1300 دولار، دخلت المتجر واشتريته ببديهية اخترقت أسوار قناعتي وحصونها (سر أذيعه لأول مرة).

في اليوم التالي، انتعلت حذائي الجديد وذهبت إلى موعدي المذكور. ومع كل نظرة أصوبها نحو حذائي كانت ترتفع معنوياتي إلى أن بلغت حد النشوة، كيف لا وأنا أشعر بأن حذائي أفصح من لساني.

انتهى اللقاء (لمصلحتي) وانتهى معه ذلك الاختراق العظيم. إذ عدت التزم حدود المألوف من قناعتي. فلم أصبح مجنوناً ولا عبقرياً، بل عدت إنساناً عادياً..جداً.

كثيراً ما تمنعنا أخلاقنا عن الشتم، وهذا لا يعني أن ليس هناك من يستحق الشتيمة. أو أننا عاجزون عنها. وكثيراً ما يتملكني شعور جامح بأن أبصق علناً على الوجه القبيح من شعبي، إن في نفسي توقاً عظيماً لأخرج عن كل المألوف من عاداتنا وتقاليدنا العاصية على

التطور والرقي، وفي نفسي رغبة أعظم لأبول على بعض تماثيلنا وكل كتب التاريخ التي تكتب عنها، وكل الشوارع التي تحمل أسماءها.

أنا لا أدعي أن كل ما أقوله صواب أو قاعدة أدعو إلى تطبيقها. إذ لا ميزان أو ترمومتر نقيس به اختلاجات النفس وانفعالات الإنسان وردات فعله، مع اعترافي بأن كل شيء يبقى نسبياً، لكن من هو الذي يحدد قيمة هذه النسبة، إذ لكل إنسان موازينه النسبية الخاصة، والخاضعة إلى قناعاته المكتسبة من تجاربه، وكثيراً ما يستعمل موازين غيره.

غير أني لم أتوخَّ في كل تصرفاتي وما أكتبه إلا قناعتي والانسجام مع ذاتي، دون أن يعني ذلك أن قناعتي ثابتة لا تتغير، لأنها محكومة بنتيجة اختباراتي وقدرة استيعابي للحياة، والملتزمة دائماً بسنّة التطور والارتقاء. وهذا ما لا يحصل، طبعاً، بين ليلة وضحاها.

ها هي قصتي مع المال، وقلت أشياء كثيرة..وربما لم أقل شيئاً.

وكيف لا تطول والإنسان ينفق عمره في قبض المال وصرفه، وليس بين الناس من لم تتأثر حياته بالمال، سواء كان المال غاية أم وسيلة، وسواء سلكنا القادوميات في تحصيله أو الطريق السوي، إن جنيناه أم ورثناه، فهو سلاح ذو حدين، قد يشرف صاحبه أو يذله، قد يستر عيوبه أو يفضحها.

لكل منا قصته الطويلة مع المال، وإذا ما توخينا الصدق في الحديث عنها، فأكثرنا يخشى التحدث بها.

ها قد نسيت الأسباب التي دفعت بي للتحدث عن قصتي مع المال، وما كنت أتوخاه من هذا السرد الذي طال وشتّ القصد منه.

ها أنا أقول في صفحات ما كان باستطاعتي قوله في سطور،

علماً أني لم أقل كل شيء، ليس لأني أملك ما أخشى قوله، بل لأنه خروج عن الموضوع.

المهم في العامين 1986 و 1987 كنت في قمة إنتاجي المادي، وقمة مساهمتي في التخفيف من مصائب الناس، مما حدا بأحد رفقاء العمل أن يقترح عليّ تغيير اسم المكتب من آرام إنترناشيونال إلى الصليب الأحمر أو الأمم المتحدة للإغاثة. إذ شهد المكتب حركة يعز نظيرها في مثل هاتين المؤسستين. ومما حدا أيضاً برفيقي وصديقي وأستاذي المرحوم فؤاد صعب (أبو عمر) الذي قضى كل لحظة من عمره مقاتلاً على الجبهات الأمامية في معركة الحياة، نكب في بعض المواقع وانتصر في مواقع أخرى، وذاق من الحياة حلوها ومرها. لكن حزنه كان كبيراً، حتى في ساعات انتصاره، لأن انتصارات النخبة من أمثاله، لم تكن حافزاً للسواد الأعظم من شعبه..أن يقول لي" قد لا تلائمك الظروف في المستقبل كما هي اليوم. وأنا لا أود أن أثنيك عن عمل الخير، بل أوصيك بالحذر. فان وقع غيرك فأنت قادر على نجدته، أما إن وقعت أنت، فستكون وقعتك كبيرة لا يستطيع أحد على إنقاذك".. صدقت يا أبا عمر.

حينها كان أبو عمر يتكلم بلسان ابن الستينات وكنت أصغي إليه بأذن ابن الثلاثينات.

..وحينها أيضاً، كنت أحمل من الانتصارات رصيداً يحفزني دائماً للولوج في مغامرات جديدة، ومن الحذر ما يجنبني الكوارث، ومن الثقة بالنفس غروراً لا حد له، طبعاً، لقد تخلل انتصاراتي الكثير من خيبات الأمل، وكنت قادراً على تخطيها.

غير أنه، وبالمفهوم النسبي، ليس هناك إنسان يستطيع أن يتخطى كل خيبات الأمل. قد يكون بعضها أكبر من قدرته على استيعابها.

خلاصة

علمتني الحياة أن أفتش دائماً عن نفسي في كل مكان أقيم فيه. وأن أفتش عن قلبي في كل عمل أقوم به. فالذي لا يجد نفسه في الزمان والمكان هو يحصي أيام عمره ولا يحياها.

والذي لا يضع قلبه في كل أعماله هو يحصي ساعات عمله، دون أن يكون منتجاً.

علمتني الحياة أن لا أحيا خارج الزمان والمكان. وأن لا أكون مقيداً بزمان معيّن أو مكان معيّن. فالاستقرار الذي ننشده هو في داخل نفوسنا وليس في خارجها. فالنفس البشرية تواقة إلى المعرفة أولاً، ثم إلى الحرية ثانياً.

علمتني الحياة أن لا أركن إلى محطة واحدة من محطاتها، وأعتبرها قدري..خوفاً من أن تشل قدرتي.

لذلك كانت في حياتي محطات، وكلما فقدت نفسي في محطة، وجدتها في محطة أخرى، تماماً، كما كنت أتنقل من مكنة إلى أخرى في معمل البلاستيك.

فأنا ما أممت مكانا أو سرت في طريق، إلا وجدت بعضاً من ذاتي فيه.

وفي سياق تجربتي هذه، أدركت أن الله قيمة، هو قيمة كل الكائنات وكل الأشياء، وكلما تعمقت معرفتنا بهذه الأشياء، تعمقت معرفتنا بالله. وكلما احترمنا قيمة هذه الأشياء، تجسد أيماننا بالله.

وكل إساءة للسبب أو الغاية التي من أجلها وجدت هذه الأشياء، هو إساءة لله ذاته.

إن المحافظة على الأشياء أو الكائنات وحسن استعمالها واحترام

غايتها، هو الإيمان المطلق بالله في أرقى مراتبه.

هكذا تعلمت أن أنظر إلى الأشياء من خلال احترام قيمتها، وتعلمت أن أنظر إلى غيري من الناس، كوني جزءاً منهم إذ كنت أرى بعضاً من نفسي في كل إنسان مهما كان شأنه.

وهكذا نما في عقلي وقلبي، الإحساس بمواطنيّ وضرورة التعامل معهم بمحبة، لأنني جزء من كل فرد منهم كما هم جزء مني.

تعلمت أن لا أكره ما لا أحب.

وأن أنسى ما يجب أن أكرهه.

فالكراهية حمل ثقيل.

تعلمت أن أكون منفتحاً على غيري، متواصلاً معه، إذ لا أعتقد أن في الدنيا من هو غير قادر أن يكون معلماً لي..أو تلميذاً.

* * *

عودة إلى الحرب الليبيرية

تسعة أشهر، بدأتها وأنا عازم على الاعتكاف لمعالجة أزمتي المادية. مع المحافظة على الحد الأدنى من علاقتي ببرنس جونسون، الذي بدأت تصرفاته تزعجني وتقلقني يوماً بعد يوم. لكنني..ومن حيث المبدأ كنت مديناً له بالخدمات التي أسداها للجالية اللبنانية خلال الحرب، ثمرة علاقتي الشخصية به، فأصبحت زياراتي له أقل بكثير من زياراته لي.

نيتي هذه لم تمنع بعض اللبنانيين والليبيريين وحتى أعضاء الحكومة الانتقالية، من الاتصال بي، كلما اعترضت علاقتهم ببرنس شائبة، اعتقاداً منهم أني ما زلت الشخص المسموعة كلمته من قبله، وفي

كل مرة كنت أتدخل لديه لأمر ما، كنت ألعن أبويّ.. وأنشر غسيل جدي الأعلى إن كنت سأعيد الكرّة.

وهنا أذكر بعض التدخلات تلك.

1- كانت البضاعة التي وجدت طريقها إلى قاعدة برنس مصدراً للكثير من الإشكاليات واللغط، فمن جهة، كانت سبباً لموت الكثيرين من رجال برنس، وعلى يده شخصياً، حين يتهمهم بالسرقة. ومن جهة ثانية، كان وجودها عند برنس إدانة له، يستعملها خصومه السياسيون، وهذا ما دفع ببعض المقربين إليه، أن يطلبوا إيجاد حل ممكنٍ ومعقولٍ لهذه المسألة. فقصدته في صباح أحد باكراً (يوم تفاؤله).

قبل أن يعكر صفو مزاجه أحد، جلسنا على ضفة النهر، أمام منزله، وطرحت على مسامعه مساوئ وجود كل هذه المسروقات عنده، ويجب أن يتخلص منها بأسلوب يرفع من رصيده، ويحسن من سمعته، فاقترحت عليه حلّين؛ الأول أن يدعو جميع المعتقدين بأن ممتلكاتهم أو بعضها في قاعدته ليتعرفوا عليها. ويستلموها بعد إثبات ملكيتها، لقاء أن يدفعوا تبرعاً لتنظيم برنس الذي حافظ عليها؛ والثاني بأن يجمع مقاتليه وخاصة هؤلاء الذين دخلوا منروفيا معه، ويوزع عليهم هذه الموجودات بدل رواتب لم يتقاضوها.

لكنه رفض الأمرين رفضاً قاطعاً، مستعملاً شتى أنواع الحجج. وخاطبني بلهجة أقرب إلى التأنيب. فارقته قبل أن ينكشف امتعاضي وتنقطع شعرة معاوية بيننا.

وبعد أيام قليلة أوفد برنس أحد معاونيه إلى شقتي، ليبلغني أن برنس يريد بيع بعض إطارات السيارات، لأنه بحاجة ماسة لبعض المال، كي يغطي مصاريف سفر أحد وفوده لمحادثات السلام.

فأدركت أنه يسترضيني ويبرر حاجته للاحتفاظ بالبضاعة، وبالتالي حاجته للمال وصرفه على بعض الضروريات من أجل السلام. فسألت موفده لماذا أرسلك إليّ ولم يرسلك إلى السوق مباشرة لبيع الدواليب. فأخبرني بأنه جال في سوق الدواليب كله ولم يعثر على أحد يرغب في شرائها. ومن أجل هذا أوفده إليّ. فقلت له، طبعاً لأنها بضاعة مسروقة ولا يشتريها إلا من أراد أن يقوم بمغامرة، طلبت إليه أن يبلغ برنس بأني سوف لا أعرض البضاعة إلا على أصحابها، إن وافق على ذلك فعليه أن يرسل لي لائحة بأحجامها وأعدادها ونوعيتها.

وفعلاً عاد الموفد مع اللائحة المطلوبة، وبعد أن تبين لي أن معظم هذه الدواليب يخص لبنانيا من آل الأشقر. فقصدته وتباحثت معه، وبعد أن أبدى استعداده لدفع نسبة مئوية (25٪) على ما أذكر. حضرت للقاء لإنهاء الأمر في ما بين الفريقين، بعد عدة محاولات أفشلتها مزاجية برنس المتأثرة بالخمرة.

* * *

جاءني ذات يوم شاب ليبيري يطلب إليّ التدخل لدى برنس، لإخلاء سبيل امرأتين يحتجزهما في قاعدته. وهم من أقارب العجوز Gabriel Fangalo، أحد كبار قبيلة الغيو التي ينتمي إليها برنس نفسه، ويكون هو ذاته الذي أتينا على ذكره عند اكتشاف جثث مقاتلي برنس على الشاطئ.

روى لي هذا الشاب أن سبب اعتقالهما يتعلق بثلاجة، كان برنس قد أعطاهما إياها، وهو يطالب بثمنها أو إرجاعها. ومختصره إن الثلاجة موجودة في قصر الديكور-مقر الحكومة الانتقالية- في حين أن العلاقة قد ساءت بين برنس وهذه الحكومة، لأسباب أتينا على ذكرها سابقاً.

اعتذرت عن التدخل في هذه القضية بحجة أني لم أزر برنس منذ فترة طويلة، وعلاقتي الفاترة به لم تعد تخولني التدخل في مثل هذه القضايا.

لكن الشاب أصر على كوني الوحيد القادر على حل هذه القضية، فتعجبت لإصراره، فسألته لماذا لا يتدخل العجوز فانغالو مباشرة مع برنس لحل هذا الإشكال، فهو أحد كبار القبيلة. فأجابني بأن العجوز فانغالو وكافة أعضاء الحكومة الانتقالية أوفدوه إليَّ.

فقلت؛ إن كان ما تقوله حقيقة، فلماذا لم يحضر أحدهم إليَّ وكلهم يعرفونني وأعرفهم أكثر منك أنت.

لم يدعني وشأني إلا بعد أن أخذ وعداً بأني سأحاول قدر المستطاع، ريثما يحضر إليَّ أحد أعضاء الحكومة أو العجوز فانغالو.

في ذات اليوم، استلمت اتصالاً لاسلكياً من بنجول-غامبيا وكان المتكلم هو الدكتور ألفرد كوولا رئيس الوفد الذي أرسله برنس مؤخراً إلى بنجول. يطلب إليّ أن أنقل إلى برنس خبر رجوع الوفد إلى ليبيريا غداً أي في اليوم التالي، فنقلت الخبر بواسطة الرفيق عزام الذي أخبر برنس بأن الوفد استقبل في بنجول ودعاه إلى حفلة عشاء أصدقاء لنا هناك، وكان عزام يلمح بذلك إلى الصديق يوسف عز الدين المقيم في بنجول.

غير أن برنس راح يوحي ويعمم أن أقارب مصطفى قد تحملوا كافة مصاريف الوفد في بنجول. (أو على الأقل هكذا وصلتني الأخبار مساءً) فقلت، إنها عادته في التعبير عن عظيم شأنه، وكيف أنه يملك مؤيدين ومساندين وداعمين في كل مكان.

في اليوم التالي بدأت مخاوفي تكبر، من أن يصدق برنس نفسه ويحاسب رئيس وفده على هذا الأساس. فتحركت باتجاه مكتب

المتطوعين المدنيين حيث كان برنس موجوداً ذلك الصباح، لأقف على حقيقة هذا الإيحاء، وإن كان فعلاً مصدره برنس أو الرفيق عزام.

توافق وصولي مع وصول الوفد، فجلسنا جميعنا في مكتب برنس، نتجاذب أطراف الحديث. وصادف أيضاً وصول الدكتور بيتر نيغا، الذي أصبح نائب رئيس الحكومة الانتقالية. وكان برنس مرتاحاً، يمزح ويناقش. اغتنمتها فرصة أفاتحه بموضوع المرأتين المحجوزتين، وبعد همس ووشوشة وتشاور مع الدكتور نيغا، طلبت إلى برنس الاختلاء به، فانتقلنا إلى غرفة مجاورة، يرافقنا كل من الدكتور نيغا والدكتور كوولا. وما إن بدأت الكلام حتى طلب إليَّ برنس أن لا أتدخل بهذه القضية. أما تعقيب كل من نيغا وكولا على ذات الموضوع فشجعني على الإصرار عليه. فأجابني بأنه يريد ثمن الثلاجة، فأدركت أن في الأمر غير ما هو معلن. لذا عرضت عليه، ممازحاً، أن أدفع ثمن الثلاجة. فأطرق هنيهة وقال: ليأتِ العجوز فانغالو ويأخذهما، أنا لا أريد ثمن الثلاجة، وكذلك لا أريد إيذاءهما، بل أريد التحدث إلى أكبر رجل مسن في قبيلتنا، فأنا بحاجة لبعض نصائحه.

وبعفوية نطقت أنا والدكتور كوولا بذات السؤال: أين تريد مقابلته؟

ها هنا..اذهبوا وأحضروه إني أنتظركم.

تبادلت أنا والدكتور كوولا النظرات، وكأن أحدنا يقرأ أفكار الآخر..وسألناه

أتعدنا بأنك لا تؤذيه، فأجاب

وهل أستطيع أن أؤذيه بوجودكما.؟

سررنا بذلك، وهممنا بالخروج باتجاه قصر الديكور لإحضار العجوز فانغالو. التفتنا إلى نائب الرئيس الدكتور نيغا، وسألناه إن كان يود مرافقتنا، فاعتذر بحجة أنه مشغول. يبدو أنه أدرك ما ستؤول إليه هذه القضية.

والجدير ذكره أن العجوز فانغالو كان يخاف الحضور إلى القاعدة، بعد الحادثة التي ذكرتها. إذ خيب رأيه أمل برنس.

انطلقت بسيارتي يرافقني الدكتور كوولا باتجاه القصر، حيث قابلنا العجوز فانغالو (لا أذكر إن أخبرتك بأنه كان سفيراً لليبيريا في مصر) وشرحنا له ما في الأمر.

فأبدى مخاوفه من اللقاء مع برنس، حتى ولو كان هذا اللقاء في مكتب المتطوعين، لكننا أعطيناه ضمانتنا كما أخذناها من برنس. فقال العجوز: إنه لا يثق ببرنس ولا بضماناته. ثم اقترح أن يكون اللقاء في شقتي القريبة من مكتب المتطوعين.

..عدنا بصحبة العجوز فانغالو، جلس ينتظر في شقتي بعد أن ناولته زجاجتين من البيرة الباردة، تركناه يلاعب برنس الصغير، وذهبنا إلى حيث ينتظرنا برنس الكبير، فلم نجده، غير أنه ترك لنا خبراً بأن نلحق به إلى القاعدة.

رجعنا إلى شقتي وقد أحبطت عزائمنا، نقلنا إلى العجوز انطباعاتنا، طالبين إليه أن لا يذهب إلى القاعدة لأن برنس لم يلتزم بمكان اللقاء. وربما سوف لا يلتزم بباقي التعهدات، وعلى جانبي هذا الموضوع كنا نحتسي البيرة حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. حين انتصب العجوز وكأن الخمرة تركت مفعولها القوي فعاد شاباً في ربيع العمر، وبصوت فيه نبرات العزم والرجولة قال: سأذهب إليه، وليكن ما يكون، فأنا المعني قبل غيري بفك أسر هاتين المرأتين

لأنهما نسيباي، ثم نظر إلينا نظرات نسر وقال هيوا إليه.

في القاعدة، قصدنا منزل الكولونيل فارني، بعد أن أخبرنا أن برنس هناك. استقبلنا على الرحب والسعة، أمضينا أكثر من نصف ساعة من المجاملات بين برنس وفارني وفانغالو. كدنا نلوم أنفسنا (كوولا وأنا) ونتنفس الصعداء لو لم يصدر برنس أوامره باعتقال فانغالو.

أوثقوا يديه؛ قالها برنس آمراً جازماً حاسماً، لكن رجاله تباطأوا بتنفيذ الأمر، وراحوا ينظرون إلى فارني، كأنهم يستجدونه تدخلاً يشفع لشيخهم. فالليبيريون يحترمون-بالفطرة- كبار السن.

قلت أوثقوا يديه؛ رددها برنس بصوت حسم ترددهم، فهرعوا إلى فانغالو يكبلون يديه. طلب إذنا بالتبول، فأعطي له بعد تردد.

نشط الجميع بالتوسل إلى برنس، بينما جرت العادة أن يتشفوا ويشمتوا من كل شخص انقلب عليه برنس، إنما كان لهذا العجوز الضخم الجثة وضع خاص.

شخصياً، شعرت أن برنس انقلب عليّ، كوني معنياً بسلامة هذا الرجل، مع أنه أخذ قراره بالمجيء إلى القاعدة. غير أن برنس لا يعرف ذلك، وعليه أن يراعي حقيقة أنه كلفني مع الدكتور كوولا بإحضاره.

لاقوني به إلى منزلي؛ قالها برنس بعصبية وانصرف.

لحقنا به جميعاً باستثناء فارني.

في منزله، ازدحم الفضوليون وراحوا يعلقون على الموضوع، فتعالى ضجيجهم بين موافق ومتحفظ، إذ لا يجرؤ أحد على الاعتراض. برنس كان داخل غرفته، على الأرجح لتناول طعامه. أنا

والدكتور كوولا بقينا في الصالون، نعلق على ما يجري بنظراتنا مع هز رؤوسنا.

فوضى الحضور، أشبه ما يكون بتلاميذ مدرسة خرج أستاذهم من الصف.

هدأوا جميعا عندما سمعنا صراخ برنس، يطلب من بعض رجاله إحضار فانغالو ومرافقته إلى ما أسماه "زيمبابوي" ففهمت أنها تعني اسم سجن أو معتقل بعيد عن القاعدة. أدخلوا العجوز إلى جيب برنس الذي انطلق بسرعة جنونية، وكنت متهيّئاً للحاق به مع الدكتور كوولا.

بدأ الظلام يلف تلك المنطقة الحرجية، وكانت وجهتنا محطة ضخ المياه الترابية الموحلة والكثيرة الحفر. اضطررت أن أخوض غمارها قبل أن يضيع مني برنس. خاصة عندما دخلنا طريقاً فرعية وضيقة، خيل إليّ أكثر من مرة أن سيارتي ستستقر في قعر حفرة كبيرة في منتصف الطريق أو على إحدى جانبية، انتهت قادوميتنا هذه أمام كوخ ناءٍ وحيدٍ بحراسة بعض المسلحين. أوقف برنس الجيب بطريقة التف بها حول نفسه، فالتقى مع سيارتي وجهاً لوجه. قفز من الجيب كأنه يقوم بحركات تدريبية ثم التف حول الجيب وطلب من العجوز فانغالو النزول.

نزل الدكتور كوولا بينما رحت أنا أعاني ضيق المكان لأجعل سيارتي في وضع يخولني اللحاق ببرنس دون أن أقفل عليه طريقه.

فتح باب الكوخ، اقتيد العجوز إلى داخله، وعلى ضوء شمعة مضاءة في الداخل، لمحت الامرأتين اللتين كنا في صددهما، وراحتا تعانقان العجوز قبل أن يوصدوا الباب، أما برنس فطلب من رجاله

الاحتراس الشديد وأسرع بالعودة إلى منزله، وكنت أنا والدكتور كوولا على أعقابه.

مرة ثانية في منزل برنس، تجمع الفضوليون ولكن بأقل عدد من أول مرة، إذ تجاوزت الساعة الثامنة والنصف مساءً لم يعد باستطاعة برنس أن يتجنبني ويهمل حضوري، فسألني: ألم تتعب بعد؟ لماذا لا تذهب إلى بيتك وتستريح؟ فأجبته: وكيف أستريح والرجل الذي حضر إليك بحمايتي وبتعهدٍ منك يهان ويعتقل.. وربما سيقتل. ما كان يجب عليك أن تورطني بهذا الشكل.

فقال: لقد احتلت عليك وعلى الدكتور كوولا، ولو لم أفعل ذلك لما حضر العجوز فانغالو إلى هنا.

قلت: لكني سأخسر مصداقيتي، وإن خسرتها فسوف لا أستطيع أن أساعدك بشيء بعد اليوم، لذا أرى أن تختار بين علاقتي بك وإطلاق سراح العجوز ونسيبتيه.

لقد طغى الصمت على بقية الحاضرين، لأنهم لم يعتادوا رؤية من يتحمل مسؤولياته الأخلاقية في وقت تطغي عليه لغة السلاح والقتل.

أما برنس، فقد أصدر أوامره بإحضار فرشة ليأخذها للعجوز حتى ينام عليها، فطلبت إليه أن يحضر فراشين لأني سأنام بجانب العجوز، إذ ليس بوسعي العودة بدونه تحت أي ظرف.

عندها، التفت برنس إلى الدكتور كوولا موجهاً إليه تهمة تبذير الأموال في رحلته إلى بنجول، مشيراً بذلك إلى (أقربائي) الذين تكفلوا بمعظم المصاريف (هذا غير صحيح)

ثم ارتفعت وتيرة اتهامه موحياً بأن الدكتور كوولا حاول العبث مع زوجته (زوجة برنس) التي كانت في عداد الوفد، ثم أمر الدكتور كوولا بالركوع أرضاً.

ففعل الدكتور كوولا وهو يحاول الدفاع عن نفسه ورد التهم.

أما أنا فأدركت أن برنس يحاول إرباكي إن لم أقل ترهيبي ودفعي للانسحاب والتخلي عن موقفي من قضية العجوز فانغالو. هذا كان أصعب موقف نفسي أمرّ به منذ بداية الأزمة الليبيرية. ولأول مرة شعرت بأن برنس قد لا يتوانى عن إيجاد تهمة يوجهها إليّ شخصياً إذا ما اقتضت حاجته لذلك.

بقيت واقفاً صامتاً والغضب يحقن الدم في رأسي، وأفكار كثيرة تراودني دون أن أرسو على واحدة منها.

والدكتور كوولا ما زال راكعاً على الأرض، مرتجف الأطراف شاحب اللون متهدج الصوت. وبرنس يقصفه بشتى أنواع التهم والإذلال.

لا أدري كم مضى من الوقت ونحن على هذه الحال، وبرنس يزداد حدة وانفعالاً، فخفت إذا ما استمر على هذه الوتيرة أن يصبح الدكتور كوولا في خبر كان.

فعدت أطالبه بفراش ثانٍ حتى أنام بالقرب من العجوز.

نظر إليّ برهة وطلب أن ألحق به إلى مكتبه، ففعلت، وراح يسألني متذمراً، لماذا لا تترك هذه الأمور وتذهب وشأنك. فأعدت على مسامعه مسؤوليتي عن إحضار العجوز، وهذا ما يجعلني متهماً بالتواطؤ معك من قبل الحكومة الانتقالية. فقاطعني قائلاً: إن كان هذا ما في الأمر..فلا عليك سوف ألفق عليك تهمة وأسجنك معه.

قلت: هذا قد يبرر موقفي مع الحكومة الانتقالية، ولكن ماذا عن مصداقية أحدنا مع الآخر، ألم تعدني بعدم التعرض له. قال: طبعاً وأؤكد لك أني لن أمسه بسوء، وباستطاعتك أن تحضر غداً وتستلمه. قلت: موافق..ولكن ماذا عن الدكتور كوولا؟ هل أستطيع أخذه

معي هذه الليلة، فأنا متأكد من أن أقاربي في بنجول لم يقوموا بأكثر من دعوة وفدكم للعشاء فقط. ولا أدري كيف أوحي لك بأنهم تحملوا مصاريف الوفد.

ابتسم قائلاً: باستطاعتك أن تأخذه معك، وهكذا كان.

في اليوم التالي حضرت بصحبة الدكتور كوولا إلى القاعدة، لاستلام العجوز كما وعدني برنس، وكان الدكتور كوولا قد تعافى كلياً من أزمة البارحة، وارتفعت معنوياته وكأن شيئاً لم يكن، فكان موقع تعجبي وافتخاري، إذ إن شخصاً آخر لن يعود إلى القاعدة.

في الثامنة صباحاً كنا في القاعدة، فأخبرنا بأن العجوز في أحد بيوت القاعدة، بعد أن أتوا به من (زيمبابوي). وفعلاً، وجدناه مستلقياً على أحد الأسرّة، فارتحنا لكونه بصحة جيدة ومعنوياته مرتفعة، إذ قال لنا: كل ما في الأمر أن برنس كان يريد التحدث إليّ.. وقد تحادثنا معظم الليلة الماضية.

هكذا انتهت حادثة العجوز ونسيبتيه، الذي راح يردد بعدها أني تواطأت مع برنس لاعتقاله..فرحت ألعن أبويّ من جديد.

دانيال جونسون

عيّنته الحكومة الانتقالية رئيساً لبلدية منروفيا، بعد أن رشحه برنس لهذا المنصب. وما إن استقر به الكرسي، واستطاب له المركز، حتى كثرت نساؤه، وتورمت وجنتاه، وتضخمت رقبته، وتهدل صدره، وانتفخ بطنه، وتكور كرشه ولبس نظارة سوداء، لكنها لم تحجب شهيته للمال والسلطة، وغدا جاحداً للمعروف وانتهازياً بعد أن كان متطوعاً يرأس تنظيم المتطوعين.. .لو كان جالساً إلى جانبي وهو في مركزه هذا، هل كان سيكتب لي ما كتبه ونحن في طريقنا

إلى بنجول حينذاك. تلك الورقة التي احتفظت بها حتى فقدت مصداقيتها وقيمتها. فمزقتها.

* * *

الوضع الأمني للبلاد، بقي يتأرجح بأحسن حالاته، بين الفلتان الأمني وعدم الاستقرار. وطغمة من السياسيين رفعتهم تقلبات الأحداث ليتبوأوا مناصب سياسية عليا، وهم، بغالبيتهم، عدا عن كونهم عديمي الخبرة، وفرضتهم الظروف، لا تحركهم مثل عليا، بل تحركهم مطامعهم ومصالحهم الخاصة.

أما قوات حفظ السلام، فتحولت بمعظم فصائلها إلى وحدات تجارية، تتعاطى كل أنواع التجارة، بما فيها تجارة السلاح.

أما أنا وبعد أن قضيت فترة طويلة-تسعة أشهر-عاطلاً عن العمل والإنتاج، وذلك من شباط 1991 لغاية تشرين أول من تلك السنة. لأسباب شرحتها سابقاً..وبعد أن تخطيت حاجز الارتباك، وقفزت فوق كل ما قال وقيل، وسوء الوضع المادي لعائلتي، وتلك الكرتونة التي كان يضعها ابني طارق في حذائه كي لا تلامس قدماه الأرض، وبعد أن انحسرت الإشاعات، كل هذه الأسباب مجتمعة، جعلتني أستلف من الرفيق أحمد بشير مبلغ عشرة آلاف دولار، ومثلها من الرفيق سامي حرب بواسطة حضرة المدير، وكذلك من السيدة Ursula Raeder مبلغ ثمانية آلاف دولار. ومن الرفيق عزام سبيتي مبلغاً تمدد وتقلص حسب حاجتي إليه. باشرت عملاً تجارياً وعدت إلى سكة الإنتاج، فعادت إليَّ بعض الطمأنينة، غير أني لم أنعم بها سوى سنة واحدة فقط.

* * *

ففي 15 أكتوبر 1992 أطلقت قوات تايلور قذيفتين باتجاه المرفأ، حيث تقيم قوات حفظ السلام، سقطتا على بعد بضعة أمتار من شقتي. وكانتا بداية حرب جديدة أطلق عليها اسم حرب الأخطبوط Octopus War

في البدء لم نأخذ هذه المسألة على مأخذ الجد، فالقصف المدفعي المتبادل قد تعودنا عليه، بين الحين والآخر، قبل كل اجتماع بين المتفاوضين، أو بعده، حسبما تقتضيه مصلحة هذا الفريق أو ذاك كوسيلة ضغط أو اعتراض، أو مقدمة لحوار من نوع آخر.

على مدى خمسة أيام، القصف يشتد يوماً بعد يوم، وأخبار تتسرب هنا وهناك عن تسلل رجال تايلور إلى منروفيا، خاصة عبر منطقة المستنقعات المحيطة ببشرود أيلاند، فالأمور كانت تسير نحو الأسوأ. والمؤشرات تدل على أن تايلور يريد دخول العاصمة، ومع هذا بقيت حركة السير طبيعية وكذلك الحركة التجارية.

في ظهيرة اليوم الخامس اشتعلت، فجأة، منطقتنا بإطلاق النيران، مما أكد اعتقادنا بأن التسلل قد حصل فعلاً، وها هي قوات حفظ السلام تشتبك معهم. وبسرعة بدأنا نسمع نيران الأسلحة الرشاشة في منطقة المستنقعات كلها. وهذا ما وضعنا نحن مجمع أنترا في وسط ما اعتقدناه قتالاً، ومع سرعة انتشار النيران، تجمع سكان أنترا في معمل النبيذ، لكونه المكان الأكثر أماناً، هرولنا إليه وكل منا يحمل بعض المؤن والحاجات الضرورية، كل ذلك حصل بعفوية تدل على الخبرة التي اكتسبناها في هذا المجال، كما أن عبد الله حمدان وعبدالله سبيتي نقلا معهما الهاتف، وخلال دقائق معدودة بدأنا نتلقى المخابرات من كل صوب، هذا يستفسر عما يحصل وذاك يطمئن وآخر يعلّق، وفي خارج ملجأنا هذا، جبهة قتال تزداد حدة

وشراسة، إذ خيل إلينا بأن القتلى بالمئات والجثث تتكدس في الشوارع.

الرفيق عزام على الهاتف، يعلق على الأحداث كأنه خبير عسكري. وعبدالله حمدان يقوم بتحضير ركوة قهوة، والرفيق عبدالله سبيتي يطمئن زوجته وأولاده، ومواطنون ليبيريون يعلّقون على ما يجري وكأن الأمر لا يعنيهم. واثنان من موظفينا الليبيريين خرجا إلى ساحة المبنى ليلتحقا برجال تايلور عند وصولهم، وهما أصلاً ينتميان إلى قوات برنس.

وصلتنا عدة خبريات عن برنس، بعضها يقول إنه التحق مع رجاله بتنظيم تايلور المهاجم، وبعضها يقول إنه يقاتلهم، والبعض الآخر يقول إن رجال تايلور هاجموا قاعدة برنس ولم يعرف عنه إن كان حياً أو ميتاً. وغيرها يقول بأنه توارى عن الأنظار مع حفنة من رجاله، أو أنه لجأ الى الأحراج ليقاتل تايلور من جديد.

تملكني شعور بالقلق والخوف، ما شعرت بمثله في بداية الحرب منذ سنتين. فالأمر يختلف، لأننا معنيون هذه المرة، وكذلك مجمع أنترا برمته. نعم نحن مستهدفون لعلاقتنا ببرنس الذي استعدى كل الفئات، ولا شك في أن هذا الاستعداء سيرتد وبالاً علينا في حال نفذ أي فريق الى منطقتنا، سواء فريق تايلور أو فريق الجيش الليبيري الموالي لجماعة دو أو فريق Ulimo إن لم أقل قوات حفظ السلام ذاتها، في حال غياب برنس أو تغيبه عن الساحة.

لم يكن يخيفني الموت، فلسبب لا أدريه هو شعور غير محتمل، إذ كان يخيفني هو دفشة أو ركلة أتلقاها من شامت أو متعنت أو كيديّ أو سكران.

فالعقل وحسابات المنطق كلها تقول بوجوب مغادرة مجمع أنترا في

أول فرصة ممكنة، وبالتالي مغادرة ليبيريا ولو لفترة وجيزة، كي لا تكون كرامتنا عرضة لفشة خلق، أو تسلية.. لنشوة منتصر.

هدأ إطلاق النار وعاد الشارع الرئيسي يعج بالسيارات، فكل الذين اختبأوا، عادوا يحاولون الوصول إلى منازلهم.

اغتنمت هذا الهدوء فرصة لجمع من هم حولي، وصارحتهم بما كان يجول في خاطري، مشدداً على ضرورة الاستفادة من هذا الهدوء، لأننا مستهدفون.

اتفقنا على أن يبقى الرفيق سليم عز الدين، الذي كان يعاونني في تجارتي، وعبدالله حمدان، فهما لم يكونا معروفين لدى أي جهة.

أنا، وعزام، وعبدالله سبيتي وزوجته وأولاده، وبرنس الصغير، والسيدة Ursula Raeder والرفيق محمد فياض، مع ما خف حمله من متاعنا وأغراضنا الشخصية. فتوجهنا إلى ممبا بوينت Memba Point حيث توزعنا على منزلي حضرة المدير والرفيق سامي حرب، الواقعين قرب السفارة الأميركية.

استعملنا خلال تنقلنا سيارة السيدة أوشي إذ كانت موظفة في منظمة أطباء بلا حدود MSF، وسيارتها تحمل إشارة المنظمة، فلم يتعرض لنا أحد، ولحقت بنا إحدى سيارات الرفيق عزام الذي أصبح تاجراً للسيارات المستعملة. أما سيارتي والمعروفة من قبل الكثيرين، أودعتها داخل أحد المستودعات في مجمع أنترا.

مكثنا في ضيافة الرفيق سامي وحضرة المدير يومين، تابعنا خلالهما الأحداث الجارية إذ كانت حرباً حقيقية بين قوات تايلور وقوات حفظ السلام، استعملت خلالها المدفعية وراجمات الصواريخ من قبل الفريقين، مع تقدم بسيط أحرزته قوات تايلور باتجاه محطة أوميغا . OMEGA هذه المحطة (كانت تعتبر أهم مركز تجسس

أميركي في العالم) التي وقعت بيد تايلور مع من فيها من موظفين أميركيين وعددهم 11 موظفاً..على ما أذكر.

كما أحرزت قوات تايلور تقدماً آخر باتجاه قاعدة برنس، التي سقطت أيضاً. فلجأ برنس إلى قوات حفظ السلام التي ساعدته باجتياز النهر، أما نائبه الكولونيل فارني فقد التحق بقوات تايلور، وأعتقد أنه خُيِّر بين الموت والالتحاق.. فالتحق.

أما برنس الذي حاول خلال هذين اليومين، وهو في ضيافة قوات حفظ السلام، في بلاغات أصدرها عبر الراديو، مخاطباً رجال تايلور (معظمهم من قبيلة برنس) بأن يلقوا سلاحهم..لأنهم مضللون من قبل شارلز تايلور..الخ.

غير أن بلاغته لم تلق تجاوباً..فالرجل خسر مصداقيته على جميع المستويات.

وبطلب خاص من السفارة الأميركية، تحركت القوات السنغالية التي التحقت مؤخراً بقوات حفظ السلام، وكانت أكثر نظامية من غيرها. لاسترداد محطة الأوميغا وتحرير الرعايا الأميركيين المحجوزين ضمنها.

نجحت القوة السنغالية بتحرير الرعايا، لكنها أخلت المحطة لصعوبة الاحتفاظ بها من الناحية العسكرية، فالأحراج تحيطها من جهاتها الأربع، وهكذا يصعب على جيش نظامي القتال فيها، كما يسهل على الثوار مهاجمتها والتسلل إليها.

* * *

مقابل أربعة آلاف دولار أميركي-دفعها الرفيق عزام- قبلت إحدى الطائرات الصغيرة (11 راكباً) أن تقلنا إلى سيراليون. بعد أن

وافقت إحدى الوحدات الغينية أن ترافقنا إلى المطار الذي تمر طريقه عبر مواقع قوات الجيش الليبيري. وصلت إحدى الناقلات العسكرية الغينية قبلنا إلى المطار، وانتشرت قواتها في زواياه، الأمر الذي لحظه أكثر من في المطار، مما أثار اللغط حول هذه الشخصية التي تستحوذ على كل هذه الحماية، ولكن سرعان ما تلاشت تساؤلاتهم عند وصولنا مع الناقلة الثانية. مقابل ذلك لم تطلب منا القوات الغينية إلا أن ننقل معنا جريحين، ففعلنا، كان ذلك في 22 أكتوبر 1992.

علمنا أن برنس نقل إلى لاغوس/نيجيريا مع مجموعة من نسائه وزوجته الثانية. أما زوجته الأولى (والدة برنس الصغير) فانتقلت مع الكولونيل فارني إلى منطقة تايلور. وعندما علمنا بوجودها في نمبا/ليبيريا غادر الرفيق عزام بصحبة برنس الصغير إلى نمبا، كي يسلم الصغير إلى أمه. عرفنا لاحقاً بأنها التحقت مع ابنها ببرنس الأب في لاغوس، حيث بدأ برنس جونسون بتدريب الجيش النيجيري. وما زال في لاغوس حتى كتابة هذه السطور.

بعد بضعة أيام من رحيلنا، هوجم مجمع أنترا، وأطلقت النار، ترهيباً على كل من الرفيق سليم والرفيق اللاحق عبدالله حمدان. ومطلقو النار يسألونهم: أين مصطفى؟

تعرض مجمع أنترا إلى أكثر من سرقة، بعد أن اضطر الرفقاء إلى هجره حفاظاً على حياتهم، هكذا..رجعت على الحديدة، بعد أن خسرت كل شيء من جديد.

دخلت كوناكري وجيوبي ملأى ب1900 دولار، دفعت من أصلها 700 دولار للسيدة أوشي ثمن تذكرة سفر إلى ألمانيا-دفعة على الحساب- استضافني أحد الأصدقاء القدامى، السيد نمر فاعور. مكثت عنده -ضيفاً ثقيل الدم- لخمسة أشهر فقط.

أميركي في العالم) التي وقعت بيد تايلور مع من فيها من موظفين أميركيين وعددهم 11 موظفاً..على ما أذكر.

كما أحرزت قوات تايلور تقدماً آخر باتجاه قاعدة برنس، التي سقطت أيضاً. فلجأ برنس إلى قوات حفظ السلام التي ساعدته باجتياز النهر، أما نائبه الكولونيل فارني فقد التحق بقوات تايلور، وأعتقد أنه خُيِّر بين الموت والالتحاق.. فالتحق.

أما برنس الذي حاول خلال هذين اليومين، وهو في ضيافة قوات حفظ السلام، في بلاغات أصدرها عبر الراديو، مخاطباً رجال تايلور (معظمهم من قبيلة برنس) بأن يلقوا سلاحهم..لأنهم مضللون من قبل شارلز تايلور..الخ.

غير أن بلاغته لم تلق تجاوباً..فالرجل خسر مصداقيته على جميع المستويات.

وبطلب خاص من السفارة الأميركية، تحركت القوات السنغالية التي التحقت مؤخراً بقوات حفظ السلام، وكانت أكثر نظامية من غيرها. لاسترداد محطة الأوميغا وتحرير الرعايا الأميركيين المحجوزين ضمنها.

نجحت القوة السنغالية بتحرير الرعايا، لكنها أخلت المحطة لصعوبة الاحتفاظ بها من الناحية العسكرية، فالأحراج تحيطها من جهاتها الأربع، وهكذا يصعب على جيش نظامي القتال فيها، كما يسهل على الثوار مهاجمتها والتسلل إليها.

* * *

مقابل أربعة آلاف دولار أميركي-دفعها الرفيق عزام- قبلت إحدى الطائرات الصغيرة (11 راكباً) أن تقلنا إلى سيراليون. بعد أن

وافقت إحدى الوحدات الغينية أن ترافقنا إلى المطار الذي تمر طريقه عبر مواقع قوات الجيش الليبيري. وصلت إحدى الناقلات العسكرية الغينية قبلنا إلى المطار، وانتشرت قواتها في زواياه، الأمر الذي لحظه أكثر من في المطار، مما أثار اللغط حول هذه الشخصية التي تستحوذ على كل هذه الحماية، ولكن سرعان ما تلاشت تساؤلاتهم عند وصولنا مع الناقلة الثانية. مقابل ذلك لم تطلب منا القوات الغينية إلا أن ننقل معنا جريحين، ففعلنا، كان ذلك في 22 أكتوبر 1992.

علمنا أن برنس نقل إلى لاغوس/نيجيريا مع مجموعة من نسائه وزوجته الثانية. أما زوجته الأولى (والدة برنس الصغير) فانتقلت مع الكولونيل فارني إلى منطقة تايلور. وعندما علمنا بوجودها في نمبا/ ليبيريا غادر الرفيق عزام بصحبة برنس الصغير إلى نمبا، كي يسلم الصغير إلى أمه. عرفنا لاحقاً بأنها التحقت مع ابنها ببرنس الأب في لاغوس، حيث بدأ برنس جونسون بتدريب الجيش النيجيري. وما زال في لاغوس حتى كتابة هذه السطور.

بعد بضعة أيام من رحيلنا، هوجم مجمع أنترا، وأطلقت النار، ترهيباً على كل من الرفيق سليم والرفيق اللاحق عبدالله حمدان. ومطلقو النار يسألونهم: أين مصطفى؟

تعرض مجمع أنترا إلى أكثر من سرقة، بعد أن اضطر الرفقاء إلى هجره حفاظاً على حياتهم، هكذا..رجعت على الحديدة، بعد أن خسرت كل شيء من جديد.

دخلت كوناكري وجيوبي ملأى ب1900 دولار، دفعت من أصلها 700 دولار للسيدة أوشي ثمن تذكرة سفر إلى ألمانيا-دفعة على الحساب- استضافني أحد الأصدقاء القدامى، السيد نمر فاعور. مكثت عنده -ضيفاً ثقيل الدم- لخمسة أشهر فقط.

في كوناكري التقيت صديقاً قديماً آخر كان قد هجر منروفيا قبلي بسنتين، هو الحاج محمد كابا Mohamed Kaba غيني الجنسية. أسلفني مبلغاً وقدره 40،000 دولار وبدأنا عملاً مشتركاً، وهكذا غدوت منتجاً من جديد..ألم أقل لك إنني محظوظ.؟

شكراً

بعد أن ألقيت ضوءاً ساطعاً على شخصية برنس جونسون، سلبياته وايجابياته، وذلك حرصاً على الدقة التي توخيتها في نقل الحدث التاريخي إلى القارىء العزيز أو من يهمه الأمر.

غير أني ومن الزاوية الشخصية وما كنت أمثله حينه، لا يسعني إلا أن أقول شكراً كبيرة لهذا الرجل، وذلك للحقائق التاريخية التالية:

1- لولا برنس جونسون لهجر جميع اللبنانيين من منروفيا أسوة بما حصل في مناطق تشارلز تايلور والرئيس دو، كمقدمة للاستيلاء على ممتلكاتهم بيوتاً ومتاجر ومستودعات.

2- لولا برنس جونسون لما استطاع أحد أن يستلم غرضاً واحداً من المرفأ، بعد أن تعرض المرفأ لعملية نهب شاملة من قبل اللصوص وبعض قوات حفظ السلام الأفريقية.

3- في مناطق برنس جونسون لم تسجل حادثة قتل واحدة تعرض لها أي لبناني، على الرغم من وجود غالبيتهم في مناطقه. عكس ما حصل في مناطق الرئيس دو وتشارلز تايلور.

4- في مناطق برنس جونسون استتب الأمن إلى حد كبير، ففتحت المتاجر أبوابها وتوفرت المواد الغذائية وكافة السلع. فسميت مناطقه بالأراضي المقدسة.

5- لم يكن لبرنس جونسون أي مطامع شخصية بالمال.. بل لصرفه على رجاله ونسائه.. وشهرته.

أما كيف استطعت أن أتعامل معه في الوقت الذي كان يخافه كل الناس. فهذا ليس لغزاً كما اعتقد البعض، ولم أكن على معرفة به قبل الحرب كما اعتقد البعض الآخر. بل لأن برنس كان يعرف تمام المعرفة بذكائه الفطري وبديهيته، أني لا أبغي أي منفعة شخصية في كل علاقتي به. هكذا عرفني واحترمني ووثق بي. أكثر بكثير من بعض الذين عملت لأجلهم.

وبرنس ذاته أدرك ذلك، عندما قال لي بعد عودتي في شباط 1991 أي بعد مؤتمر بنجول. "لو صدقت عشرة بالمئه فقط مما قاله لي بعض مواطنيك عنك خلال غيابك، لقتلتك حالاً."

من أجل كل هذا وذاك لا أستطيع إلا أن أقول لهذا الرجل.. شكراً.

«**هذا ليس كل شيء**» اخترته عنواناً لمذكراتي خلال الحرب الأهلية الليبيرية.
ولا أقول إني استوحيته من أحداثها. بل من حقيقة أني لم أكن عازماً على
وضع كتاب بهذا الخصوص. فلو كان الأمر كذلك لكنت قد دوّنت في حينه كل
التفاصيل والصور الفوتوغرافية الشاهدة على الأحداث. ومن ثم أطلقت عليه
«**هذا كل شيء**».

وهنا لا بد من توجيه شكر خاص للسيدة الألمانية Unsula Raeder
المعروفة باسم (أوشي) لاستعانتي بالتواريخ المدوّنة في مفكرتها.
وأوجه شكري أيضاً. وبشكل عام. لكل الذين شوّهوا وحرّفوا الحقائق. ومنهم
من قام بذلك على مسامعي.. فاضطررت لوضع هذا الكتاب لعله يلقي ضوءاً
على تلك الحقبة من تاريخ ليبيريا.

واعتذر عن التأخير بنشره لسبب وجيه. فأنا لست بكاتب محترف. وهذا يعني
بأني كنت أكتب يوماً وأهجر عشرة. شأن من يكتب قصاصاً مدرسياً. لا من
يهوى الكتابة.

مع كل هذا وذاك إني لم أتوخّ غير الدقة في نقل المعلومات التي كنت شاهداً
على معظمها. بغض النظر عن الأسلوب الذي اتبعته في السرد. وهو أسلوب
فوتوغرافي أكثر منه أسلوب فنان.

«**هذا ليس كل شيء**» لم أقصد به أني حجبت. عن قصد. أو غير قصد. أي
معلومات. إلا ما تاه عن ذاكرتي بفعل النسيان أو لعدم أهميته.

فليس في هذه الفترة كلها وعلى تسارع الأحداث فيها. معلومة واحدة يعيبني
التحدث عنها.

15 - 5 - 1995
مصطفى الشيخ علي